علي بن أبي طالب رضي الله عنه

بين الإنصاف والجحود

رمضان أحمد عبد ربه عصفور
كبير الأئمة بوزارة الأوقاف

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعـة الأولى

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

إهـــــداء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾

[الأحزاب : ٣٣]

« عليٌّ مع القرآن ، والقُرآن مع عليٍّ لن يفترقا حتى يردا عَلَى الحوض »

[أخرجه الطبراني والحاكم والسيوطى]

« إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة : عليٌّ وعمارٍ وسلمانَ »

[رواه الترمذى والحاكم]

« لا يحب عَليًّا منافٌق ولا يبغضه مؤمنٌ » [رواه الترمذى]

قـيـل تشـقى بحُب آل النبى   قلت هذا كـلام غـاو غـبى

فاز كلب بحب أصحاب كهف   فكيف يشقى محب آل النبى

سيدى يا رسول الله

- هذا السفر عن على : صاحب القول الجلى .
- قدوة العالم والسالك والولى .
- المجاهد الصابر والجواد السخى .
- العابد الزاهد والمؤمن التقى.
- أهديكموه حبا فى الله . والنبى .
- عليكم الصلاة والسلام والآل والصاحب الوفى .
- واشفع فى عبد هائم فى حبكم : أيها النبى.

(يهلك فى الإمام إثنان)

روى النسائى بسنده عن على كرم الله وجهه قال : قال رسول الله ﷺ :

«يا على : فيك من عيسى مثل . أبغضته يهود حتى بهتوا أمه . وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذى ليس فيه» .

[ورواه الحاكم وصححه فى المستدرك . ورواه البخارى فى التاريخ]

مقدمة

● الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين . ولا عدوان إلا على الظالمين . أحمده وأستعينه وأستهديه وأستغفره من الذنوب والآثام.

● والصلاة والسلام على نبى الهدى سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

● ورضى الله عن صحابته الكرام البررة. مصابيح الهدى. وزوجاته أمهات المؤمنين الطاهرات العفيفات. والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

● وبعد : لقد طُلب منى منذ أربع سنوات أن أصنف مؤلفا عن سيدنا الإمام الشهيد أبى الشهداء أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه. فقلت لصاحبى : إن الكتابة عن هذا الصحابى الجليل. أمر صعب وبضاعتى متواضعة. وعشت هذه السنوات الأربع وأنا أقدم رجلا وأرجع الأخرى. لأن الإمام رضى الله عنه لم يكن رجلا عاديا يسهل التعامل مع مسيرته الإيمانية فهو أحد الخلفاء الأربعة وأحد العشرة المبشرين بالجنة. كما أنه رجل يحب الله تعالى ورسوله ﷺ ويحبه الله عز وجل ورسوله ﷺ. تربى فى بيت النبوة منذ نعومه أظفاره. أسبق الناس تصديقا وإيمانا. وأقواهم حجة وأوسعهم علما وأقواهم رأيا. وأمضاهم عزما. وأرجحهم قضاء وفتيا. وأشجعهم قتالا وفتوة. وأعظمهم فداء وألينهم عريكة. وأوسعهم صدرا وأكثرهم صبرا. عفيف طاهر، زاهد ورع. جواد كريم. سمح حليم وقد كان مع عظمته وقوته سهلا لينا متواضعا.

له عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منزلة رفيعة، وعند صحابته الكرام قدر كبير ومكانة عالية أحبه كل من حوله. وأجله كل من عرفه. هلك بمحبته شيعته. وضاع كل من بالعداء ناصبه.

ونجا بمحبته كل من آمن بحبيبه ﷺ واهتدى. وعرف حدود الله وأتقى واقتدى، إنه الإمام على رضى الله عنه الذى تعارضت فيه الروايات عند المؤرخين

والباحثين. فالكثير من مرويات المؤرخين فيها أثر الصنعة وخصوصا ما جاء عن طريق الشيعة والخوارج ولم تُبحث ولم تُقيَّم ووُضعت بالكتب والمراجع هكذا كما تلقوها من البدو والعربان من الغالين والقالين.

لذلك عانيت كثيرا من كبريات كتب التاريخ للمسعودى والطبرى وابن قتيبة وبعض المؤلفين المحدثين وخاصة المتشيعين. والأمر جد خطير ويحتاج إلى جهد كبير. وهذا الذى بين يديك يا أخى هو جهد المقل أرجو أن أكون قد وفقت ولو بقدر ضئيل. فالنية مخلصة والجهد صادق والغاية سامية والعمل متواضع. فإن أكن قد وُفِّقت فما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. وإن كان غير ذلك فأرجو الله تعالى العفو والمغفرة. إنه هو الغفور الرحيم.

أخى القارئ هذا الذى بين يديك هو كتاب: على بن أبى طالب بين الإنصاف والجحود.

ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أشكر كل من قدم لى يد المعونة بإبداء الرأى أو تقديم بعض المراجع والوثائق التاريخية وخصوصا الأخوين الكريمين: محمد عبد الوهاب فايد، ومحمد هاشم جزاهما الله خيرا.

أما الأخ الفاضل الحاج وهبة حسن وهبة - فله شكر خاص لتعاونه الصادق فى إخراج هذا الكتاب ومن سبقه جزاه الله عنا خيرا. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

القاهرة (حدائق القبة)
فى التاسع من ذى الحجة ١٤٢٢ هـ
٢١ من فبراير ٢٠٠٢م

المؤلف
رمضان احمد عبد ربه عصفور
كبير الأئمة بوزارة الأوقاف

فضل الصحابة رضى الله عنهم

تعريف الصحابى [1] :

لقد ذكر علماء الحديث وعلماء الأصول عدة تعاريف للصحابى . وأصح هذه التعاريف وأشملها هو : ما ذكره الحافظان : العراقى وابن حجر العسقلانى رحمهما الله تعالى :

وهو : أن الصحابى هو : من لقى النبى ﷺ مؤمنا به . ومات على الإسلام فيدخل فى هذا التعريف : من طالت مجالسته للنبى ﷺ أو قصرت . ومن روى عنه ﷺ أو لم يرو عنه . ومن غزا معه ﷺ أولم يغزُ معه .وكل مكلف من الجن والإنس . أما الملائكة ففيه خلاف .

وكذلك من أسلم ثم أرتد ثم عاد للإسلام قبل وفاة النبى ﷺ .

ويخرج من هذا التعريف : من لقيه ﷺ - كافرا به - ولو أسلم بعد وفاة النبى ﷺ لأنه لم يجتمع به وهو مسلم .

وكذلك أهل الكتاب من اليهود والنصارى حتى لو أسلموا بعد وفاته ﷺ .

وكذلك من أسلم ثم أرتد عن الإسلام ومات على ردته، وهؤلاء كانوا قلة كعبد الله بن خطل وربيعة بن أمية بن خلف، ورجل من الأنصار كان من كتَّاب الوحى . ثم ارتد فمات فلفظته الأرض فهذا التعريف بمحترزاته هو الصحيح المختار عند المحققين كالبخارى وأحمد بن حنبل ومن تبعهما .

وقال العلامة ابن الجوزى رحمه الله تعالى - بعد أن ذكر عدة تعاريف للصحابى :

---

(١) راجع الإصابة لابن حجر والاستيعاب لابن عبد البر « فضائل الصحابة الكرام » الخليل العزامى .

وفصل الخطاب فى هذا الباب: أن الصحبة إذا أطلقت فهى فى المتعارف تنقسم إلى قسمين:

أحدهما: أن يكون الصاحب معاشرا. مخالطا. كثير الصحبة. فيقال: هذا صاحب فلان. كما يقال: خادمه. لمن تكررت خدمته. لا لمن خدمه يوما أو ساعة.

والثانى: أن يكون صاحبا فى مجالسة أو مماشاة، ولو ساعة. فحقيقة الصحبة موجودة فى حقه وإن لم يشتهر بها. أ.هـ

ثم ذكر ابن الجوزى: أن عموم العلماء على القول الثانى. وأنهم عدوا فى الصحابة من لم يغز معه ومن توفى رسول الله ﷺ. وهو صغير السن، ومن وفد عليه ﷺ ولو مرة .. وهكذا.

ويترتب على هذا: صحة القول برجحان رتبة من لازمه ﷺ وقاتل معه. أو قتل تحت رايته ﷺ على من لم يلازمه أو لم يحضر معه إلا مشهدا، وإن كان شرف الصحبة حاصلا للجميع، كما قرره الحافظ ابن حجر العسقلانى رحمه الله تعالى وغيره.

ثبوت الصُّحبة:

وذكر أهل العلم بالحديث والأصوليون أن شرف الصحبة يثبت للشخص بأمور خمسة؛ وهى:

أولا: أن يثبت ذلك بطريق التواتر بأنه صحابى. كالعشرة المبشرين بالجنة ونحوهم رضى الله عنهم.

ثانيا: بالاستفادة والشهرة التى لم تبلغ حد التواتر كضمام بن ثعلبة وعكاشة بن محصن ونحوهما.

ثالثا: بشهادة صحابى معروف الصحبة. كشهادة أبى موسى الأشعرى لجممة بن أبى حممه الدوسى الذى مات بأصبهان مبطونا. فحكم له بالشهادة.

رابعا: أن يخبر عنه آحاد التابعين الثقات بأنه صحابى، وهو رأى ابن حجر رحمه الله.

خامسا: أن يقر الشخص على نفسه بأنه صحابى فيقبل قوله بشرطين:

١ - أن يكون ثابت العدالة - كما جزم به الآمدى وغيره.

٢ - المعاصرة: فيعتبر ذلك بمضى مائة سنة وعشرين سنة من هجرة النبى ﷺ وذلك لما رواه الشيخان عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات ليلة العشاء فى آخر حياته. فلما سلم. قال: «أرأيتكم ليلتكم هذه؟ فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد».

زاد مسلم من حديث جابر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول - قبل أن يموت بشهر - «أقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة اليوم يأتى عليها مائة سنة وهى حية يومئذ».

وذكر ابن حجر رحمه الله تعالى ضابطا يستفاد منه صحبة جمع كثير. قال:

- كانوا لا يؤمرون فى المغازى إلا الصحابة. فمن تتبع الأخبار الواردة فى الردة والفتوح وجد من ذلك شيئا كثيرا.

- كانوا لا يولد لأحد مولود إلا أتى به النبى ﷺ فدعا له. وهذا يؤخذ منه شئ كثير جدا أيضا.

- لم يبق بمكة والطائف أحد سنة عشر إلا أسلم وشهد حجة الوداع.. أ.هـ [الإصابة: ١/ ٩، ١٠] إن آخر من مات من الصحابة على الإطلاق هو:

أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثى رضى الله عنه بمكة (١١٠ هـ) كما جزم به غير واحد وصححه الذهبى.

وآخر من مات بالمدينة : محمود بن الربيع وقيل سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنهما .

وآخر من مات فى الكوفة : عبد الله بن أبى أوفى وقيل : عمرو بن حريث - رضى الله عنهما .

وآخر من مات فى الشام : عبد الله بن بسر المازنى رضى الله عنه .

وآخر من مات بالبصرة : أنس بن مالك رضى الله عنه .

وآخر من مات فى مصر : عبد الله بن الحارث بن جزء رضى الله عنه .

وآخر من مات فى اليمامة : الهرماس بن زياد الباهلى رضى الله عنه .

وأما عدد الصحابة فليس له ضابط يحصيهم لكثرتهم . وقد روى عن أبى زرعة الرازى رحمه الله قال : قبض رسول الله ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه ورآه من رجل وامرأة .

ولكن ابن حجر فى الإصابة يقول : (لم يحصل لنا من ذلك جميعا الوقوف على العشر من أسامى الصحابة بالنسبة لما جاء عن أبى زرعة الرازى)

وأجمع علماء أهل السنة على : أن أفضلهم الخلفاء الأربعة ثم باقى العشرة ثم أهل بدر ثم أهل أحد ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية، والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار أفضل ممن جاء بعدهم والله أعلم .

* * *

فضل الصحابة فى القرآن الكريم والسنة الشريفة

لقد ورد فى القرآن الكريم آيات كثيرة تبلغ مائة وسبعين آية فى ست وعشرين سورة تقريبا منها الخاص بعموم الصحابة (٩٣ آية) ومنها الخاص بالمهاجرين والأنصار (٢٩ آية) ومنها الخاص ببعض الصحابة (٤٥ آية) .

وردت هذه الآيات فى مدح الصحابة رضى الله عنهم . والثناء عليهم وبيان فضلهم وشرفهم وبيان صفاتهم وعلو مقامهم ورفعة شأنهم ومكانتهم مهاجرين وأنصارا .

فهذه الآيات تصرح بكمال إيمانهم وصدقهم ورضاه سبحانه وتعالى عنهم ورضاهم عن الله عز وجل وتوبتهم وتوبة الله عليهم وغفرانه لهم وتأليفه بين قلوبهم ونشر المحبة والمودة والألفة فيما بينهم . مبينا ما لهم من الفلاح والفوز بنعيم الله تعالى ورضوانه . وما وعدهم به من النصر والتأييد والفتح والتمكن ، وما أمدهم به من أمداد السماء وما خصهم به من ولايته لهم . وما أيد به نبيه المصطفى ﷺ .

وسنذكر بعض الآيات المنزلة فى فضل الصحابة الكرام لنسترشد بها . والله يهدى من يشاء ويؤتى فضله من يشاء . لأنه ذو الفضل العظيم والهادى إلى الصراط المستقيم .

(١) قال الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا * وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح : ١٨ ، ١٩]

(٢) قال الله عز وجل : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ

شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ٢٩]

(٣) قال الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة : ٢٥ ، ٢٦]

(٤) قال الله تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٨٥ - ٢٨٦]

(٥) قال الله تعالى : ﴿ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٦٢ ، ٦٣]

(٦) قال سبحانه وتعالى : ﴿ لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[التوبة : ٨٨ ، ٨٩]

(٧) قال الله عز وجل : ﴿ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد : ١٠]

(٨) قال الله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر : ٨ – ١٠]

وهكذا يبين لنا المولى عز وجل آثار نعمته على الصحب الكرام . ووصفهم بالإيمان الصادق والجهاد فى سبيل الله باموالهم وأنفسهم نصراً لله ولرسوله ﷺ وأنهم يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة لذلك هم كلهم مهاجرون وأنصار قد رضى الله عنهم ورضوا عنه فاعد لهم من النعيم المقيم فى جنات الخلد ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وقد ورد فى السنة الشريفة أحاديث كثيرة . عن النبى ﷺ تبين فضلهم ومنزلتهم وتشيد بمكانتهم ورفعة قدرهم عند الله تعالى ونبيه ﷺ وتبين صفاتهم وحليتهم وتشهد بعدالتهم وجميل خصالهم . نذكر منها :

(١) روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « بعثت من خير قرون بنى آدم . قرنا فقرنا . حتى كنت من القرن الذى كنت منه » .

(٢) وروى البخارى ومسلم عن عمران بن حصين رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم . ثم الذين يلونهم قال عمران : لا أدرى أذكر بعد قرنه : قرنين أو ثلاثة – ثم إن بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن » .

زاد مسلم : (ويحلفون ولا يستحلفون) .

(٣) روى مسلم عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلى معه العشاء. قال: فجلسنا فخرج علينا. فقال: « ما زلتم ههنا » قلنا: نعم يا رسول الله. صلينا معك المغرب ثم قلنا: نجلس حتى نصلى معك العشاء. قال: « أحسنتم - أو أصبتم » قال: فرفع رأسه إلى السماء - وكان كثيرا ما يرفع رأسه إلى السماء فقال: « النجوم أمنة للسماء. فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد. وأنا أمنة لأصحابى. فإذا ذهبتُ أتى أصحابى ما يوعدون. وأصحابى أمَنَة لأمتى. فإذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون ».

(٤) روى الخطيب البغدادى فى الكفاية عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تسبوا أصحابى، فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا. ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه ».

(٥) وروى أيضا من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لأحدكم فى تركه. فإن لم يكن كتاب الله فسنة منى ماضية، فإن لم يكن سنة منى ماضية فما قال أصحابى. إن أصحابى بمنزلة النجوم فى السماء فأيما أخذتم به اهتديتم. واختلاف أصحابى لكم رحمة ».

(٦) وروى أيضا من حديث سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « سألت ربى فيما اختلف فيه أصحابى من بعدى فأوحى الله إلى: يا محمد. إن أصحابك عندى بمنزلة النجوم فى السماء. بعضها أضوأ من بعض. فمن أخذ بشئ مما هم عليه من اختلافهم فهو عندى على هدى ».

(٧) وروى الإمام الشافعى بسنده إلى أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله اختارنى. واختار أصحابى. فجعلهم أصهارى وجعلهم أنصارى وإنه سيجئ فى آخر الزمان قوم يتنقصونهم. ألا فلا

تناكحونهم. ألا فلا تنكحوا إليهم .. ألا فلا تصلوا معهم. ألا فلا تصلوا عليهم. عليهم حلت اللعنة».

يقول الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادى فى كتابه الكفاية [1]:

«عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم فى نص القرآن .. ثم يقول: والأخبار فى هذا المعنى تتسع وكلها مطابقة لما فى نص القرآن وجميع ذلك يقتضى طهارة الصحابة. والقطع على تعديلهم ونزاهتهم. فلا يحتاج أحد منهم – مع تعديل الله تعالى لهم. المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق له .. على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شئ مما ذكرناه. لأوجبت الحال التى كانوا عليها – من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد. والمناصحة فى الدين وقوة الإيمان واليقين – القطع على عدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدّلين والمزكين. الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين» ثم قال: أخبرنا أبو منصور: محمد بن عيسى الهمدانى حدثنا صالح بن أحمد الحافظ قال: سمعت أبا جعفر: أحمد بن عبد الله يقول: سمعت محمد بن سليمان التسترى يقول: سمعت أبا زرعة يقول: «إذا رأيتم الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق. لأن الرسول ﷺ عندنا حق. والقرآن حق. وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله – ﷺ – وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى، وهم «زنادقة».

ثم يقول البغدادى: وأبو زرعة الذى أعلن زندقة من ينتقص أحدا من الصحابة هو: عبيد الله بن عبد الكريم الرازى من موالى بنى مخزوم. كان أحد الأئمة الأعلام. قال عنه الإمام أحمد: ما جاز الجسر أحفظ من أبى زرعة.

وقال الإمام أبو حاتم: إن أبا زرعة ما خلّف بعده مثله. توفى سنة ٢٦٤ هـ رحمه الله تعالى.

---

(١) مقدمة محب الدين الخطيب لكتاب العواصم من القواصم ص ٣٢، ٣٤.

فضل على بن أبى طالب رضي الله عنه

روى البخارى ومسلم عن سهل بن سعد رضى الله عنه . أن رسول الله ﷺ قال : « لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله عليه » قال : فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ . كلهم يرجو أن يعطاها . فقال : أين على بن أبى طالب ؟ قالوا : يشتكى عينيه يا رسول الله . قال : فأرسلوا إليه . فلما جاء بصق فى عينيه ودعا له فبرئ حتى كان كأن لم يكن به وجع . وأعطاه الراية . فقال علىّ : يا رسول الله : أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا . قال : « ابتدئ على رسلك حتى تنزل بساحتهم . ثم ادعهم إلى الإسلام . وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه . فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم » وأخرجه أبو حاتم .

وفى رواية أبى حاتم عن أبى هريرة : قال رسول الله ﷺ : « لأدفعن الراية اليوم إلى رجل يحبه الله ورسوله » . . . الحديث .

وفى رواية لمسلم عن أبى هريرة : قال رسول الله ﷺ يوم خيبر : « لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله . يفتح الله عليه » .

وعن أم سلمة رضى الله عنها أن النبى ﷺ : جلل على الحسن والحسين وعلى وفاطمة كساء . وقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » (١) .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله » .

قال أبو بكر : أنا هو يا رسول الله ؟ قال : لا .

قال عمر : أنا هو يا رسول الله ؟ قال : لا ولكن خاصف النعل .

---

(١) أخرجه الترمذى وقال : حسن صحيح .

وكان – أى النبى ﷺ – أعطى عليا نعله يخصفها» [أخرجه أبو حاتم]

وروى المحب الطبرى [1] عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً** ﴾ [البقرة: ٢٧٤] قال: نزلت فى على بن أبى طالب. كانت معه أربعة دراهم. فأنفق فى الليل درهما. وفى النهار درهما، ودرهما فى السر ودرهما فى العلانية.

فقال له رسول الله ﷺ: ما حملك على هذا؟

فقال: أن استوجب على الله ما وعدنى. فقال: ألا إن لك ذلك. فنزلت الآية. وتابع ابن عباس. مجاهد وابن السائب ومقاتل. أ.هـ.

ومنها قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ** ﴾ [المائدة: ٥٥] الآية نزلت فى على (خرجه الواحدى).

ومنها قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا** ﴾ [السجدة: ١٨] قال ابن عباس: نزلت فى على بن أبى طالب. والوليد بن عقبة بن أبى معيط لأشياء بينهما. (خرجه الحافظ السلفى).

ومنها قوله تعالى: ﴿ **هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ** ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ **وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ** ﴾ [الحج: ١٩–٢٤].

وعن أبى ذر أنه كان يقسم لنزلت هذه الآية فى على وحمزة وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وعتبة بن ربيعة. وشيبة بن ربيعة. والوليد بن عتبة. (أخرجه الباسلى) (كانوا المتبارزين فى غزوة بدر).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: ليس آية فى كتاب الله عز وجل ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ إلا وعلىّ أولها وأميرها وشريفها. ولقد عاتب الله أصحاب محمد فى القرآن وما ذكر عليا إلا بخير [2].

---

(١) الرياض النضرة: ٦٤٦.

(٢) ذكره الطبرى فى الرياض النضرة: ٦٤٧ وقال: خرجه أحمد.

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ ... ﴾ الآيات من سورة الإنسان. قالوا: نزلت في على وفاطمة وابنيهما. ا.هـ الرياض النضرة.

وقوله تعالى: ﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾

[الشورى: ٢٣]

روى الواحدى فى التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما نزلت. قال رجل: مَن هؤلاء الذين أوجب الله علينا محبتهم يا رسول الله؟ قال: «علىّ وفاطمة وابناهما».

وروى أحمد عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: كنا مع رسول الله ﷺ عند امرأة من الانصار. صنعت له طعاما. فقال النبى ﷺ: «يدخل عليكم رجل من أهل الجنة» فدخل أبو بكر رضى الله عنه. فهنيناه.

ثم قال ﷺ: «يدخل عليكم رجل من أهل الجنة» فدخل عمر رضى الله عنه، فهنيناه ثم قال ﷺ: «يدخل عليكم رجل من أهل الجنة».

فرأيت النبى ﷺ يدخل رأسه تحت الوَدىِّ ويقول: «اللهم إن شئت جعلته عليا» فدخل علىّ رضى الله عنه. فهنيناه. [ورواه الطبرانى فى الأوسط والبزار وصححه الحاكم وأقره الذهبى].

وروى أحمد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: كنا نقول فى زمن النبى ﷺ.

رسول الله ﷺ خير الناس. ثم أبو بكر ثم عمر رضى الله عنهما.

ولقد أوتى ابن أبى طالب ثلاث خصال. لأن تكون لى واحدة منهن أحب إلىَّ من حمر النعم.

زوجه رسول الله ﷺ ابنته وولدت له.

وسد الأبواب إلا بابه فى المسجد.

وأعطاه الراية يوم خيبر [حسنه الحافظ ابن حجر فى الفتح].

وروى أحمد وابن أبى شيبة عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ ولأبى بكر رضى الله عنه. يوم بدر «مع أحدكما جبريل. ومع الآخر ميكائيل. وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال - أو يكون فى الصف» [ورواه ابن أبى عاصم والبزار وصححه الحاكم وأقره الذهبى].

وروى البخارى ومسلم عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال: خلف رسول الله ﷺ على بن أبى طالب فى غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله. تخلفنى فى النساء والصبيان؟

فقال: «أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى. غير أنه لا نبى بعدى».

روى مسلم عن على رضى الله عنه قال: والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبى الأمى ﷺ إلى: أن لا يحبنى إلا مؤمن. ولا يبغضنى إلا منافق».

روى مسلم عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا بماء. يدعى خُمًّا بين مكة والمدينة. فحمد الله وأثنى عليه. ووعظ وذكر ثم قال:

« أما بعد: ألا أيها الناس. فإنما أنا بشر. ويوشك أن يأتى رسول ربى. فأجيب. وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما: كتاب الله. فيه الهدى والنور. فخذوا بكتاب الله. واستمسكوا به. فحث على كتاب الله. ورغب فيه. ثم قال: وأهل بيتى. أذكركم الله فى أهل بيتى. أذكركم الله فى أهل بيتى. أذكركم الله فى أهل بيتى».

قيل: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده. قيل: ومن هم؟ قال: هم آل علىّ. وآل عقيل. وآل جعفر وآل عباس. قيل: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم.

فهذا بعض ما جاء فى فضائل الإمام على كرم الله وجهه. ومناقبه كثيرة وردت بها نصوص كثيرة قال الإمام أحمد والنسائى وإسماعيل القاضى وأبو على النيسابورى رحمهم الله تعالى: «لم يرد فى حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء فى على رضى الله عنه».

وكان السبب فى ذلك أنه تأخر. ووقع الاختلاف فى زمانه. وخروج من خرج عليه. فكان سببا لانتشار مناقبه. ومن كثرة من كان بيّنها من الصحابة. ردا على من خالفه.

فكان الناس طائفتين. لكن المبتدعة قليلة جدا، ثم كان من أمر على رضى الله عنه ما كان فنجمت طائفة أخرى حاربوه. ثم اشتد الخطب فتنقصوه. واتخذوا لعنه على المنابر سُنّة. ووافقهم الخوارج على بغضه، وزادوا حتى كفروه. مضموما ذلك منهم إلى عثمان رضى الله عنه.

فصار الناس فى حق علىّ ثلاثة: أهل السنة. والمبتدعة من الخوارج والمحاربين له من بنى أمية وأتباعهم. فاحتاج أهل السنة إلى بث فضائله. فكثر الناقل لذلك لكثرة من يخالف ذلك وإلا فالذى فى نفس الأمر أن لكل من الأربعة – رضى الله عنهم – من الفضائل إذا حرر بميزان العدل لا يخرج عن قول أهل السنة والجماعة أصلا. أ.هـ فضائل الصحابة الكرام.

ورحم الله إمامنا الشافعى رضى الله عنه قال:

آل النبى ذريعتى ... وهمو إليه وسيلتى
أرجو بهم أعطى غدا ... بيدى اليمنى صحيفتى

وقال رضى الله عنه ينكر على المنكرين إنكارهم:

إذا فى مجلس تذكر عليا ... وسبطيه وفاطمة الزكية
يقال: تجاوزوا يا قوم هذا ... فهذا من حديث الرافضية

برئت إلى المهيمن من أناس   يرون الرفض حب الفاطمية

وقال: إن كان رفضا حب آل محمد   فليشهد الثقلان أنى رافضى

وقال شيخنا المرحوم محمد زكى إبراهيم رائد العشيرة المحمدية:

قيل أتشقى بحب آل النبى   قلت: هذا كلام غاو غبى

فاز كلب بحب أصحاب كهف   فكيف أشقى بحب آل النبى؟

* * *

ابن عم رسول الله ﷺ

● **هو : الإمـام** : على بن أبى طالب بن عبـد المطلب بن هاشم بن عبـد مناف . كرم الله وجهه ابن عم رسول الله ﷺ .

● **وأمــه** : فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف . رضى الله عنها .

لقد أسلمت وصحبت رسول الله ﷺ وهاجرت إلى المدينة المنورة وماتت بها . وصلى عليها النبى ﷺ . ونزل فى قبرها . ودعا : « اللهم إنى أسألك بحقى وبحق الأنبياء من قبلى أن تغفر لأمى فاطمة بنت أسد » .

وتولى دفنها . وألبسها قميصه . وأثنى عليها خيرا فقال : « إنها كانت من أحسن خلق الله صنيعا إلى . بعد أبى طالب » .

من هذه الأسرة الهاشمية – أبا وأما – الماجدة العريقة فى السيادة والريادة والشرف جاء على بن أبى طالب كرم الله وجهه . فورث الفضائل والمكارم والمحاسن كابرا عن كابر واجتمعت له صفات وسمات الأسرة الكريمة : من الشجاعة . والمروءة . والكرم والسّخاء والطهارة والعفة . والحزم والعزم . والصدق والوفاء والحب والإيثار . يتوج ذلك كله ماضى هذه الأسرة العريق فى السيادة والريادة .

فلقد كان آباؤه وأجداده هم سدنة الكعبة والقائمين على أمرها ورعاة بيت الله الحرام كما كانوا يقومون على خدمة حجاج البيت . كما كانوا يطعمون الجائع ويكسون العارى ويقرون الضيف . يجلهم العرب جميعا فى شبه الجزيرة العربية لرعايتهم للكعبة المشرفة ولزوارها، ولنجدتهم ومروءتهم ومعاونتهم لكل من يستحق العون .

وكان أبو طالب؛ رجلا كريما . وقويا وصلبا . وحازما . وصاحب مروءة . ورث عن أبيه : عبد المطلب – بعد موته – أمر تربية النبى ﷺ الذى مات جده وعمره ثمانى سنوات فعهد جده بأمر تربيته إلى عمه : أبى طالب . فكان

أبو طالب عند حسن الظن به فتولى أمر ابن أخيه واعتنت به كثيرا زوج عمه : فاطمة بنت أسد رضى الله عنها التى لم تفرق بين محمد ﷺ وبين أولادها . فكانت تعتبره أحد أبنائها . وكان ﷺ يعتبرها أما له بعد وفاة أمه وجده . وكان أبو طالب أخا شقيقا لأبى محمد ﷺ وظل الصادق الأمين يعيش فى كنف عمه أبى طالب وزوجه فاطمة بنت أسد حتى تزوج الصادق الأمين بالسيدة : خديجة بنت خويلد رضى الله عنها . فانتقل إلى بيت الزوجية . ولم يقطع النبى ﷺ علاقته وولاءه بعمه وبأسرته الكريمة . ومقرًا لهم بحسن رعايتهم له .

ولد على بن أبى طالب رضى الله عنه : قبل بعثه النبى ﷺ بعشر سنين فى جوف الكعبة . وكان اسمه الذى سمته به أمه « حيدرة » وهو من أسماء الأسد ، فأحبت أن تحيى فيه اسم أبيها « أسد » فدعته بمعناه ولم تدعه بلفظه . ولكن أباه – وقد رأى ابنه قد علا شرفا بمولده فى الكعبة – سماه « عليا » وكان اسم على من الأسماء النادرة فى الجاهلية كاسم « محمد » . وأما فى الإسلام . فيقول المسعودى : لم يتقلد الخلافة إلى هذا الوقت – وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة من خلافة المتقى لله العباسى – من اسمه على إلا على بن أبى طالب . وعلى . المكتفى بالله العباسى بن المعتضد العباسى .

وكان على رضى الله عنه أصغر أولاد أبى طالب . وأكبر منه : جعفر وعقيل وطالب . وبين كل منهم وأخيه عشر سنين .

وكنيته المشهورة : أبو الحسن – وكناه رسول الله ﷺ : أبا تراب .

فقد روى البخارى : أن النبى ﷺ جاء بيت فاطمة . فلم يجد عليا فى البيت . فقال : أين ابن عمك ؟ قالت : كان بينى وبينه شئ فغاضبنى فخرج فلم يَقِلْ عندى (من القيلولة) فقال رسول الله ﷺ لإنسان : انظر أين هو ؟ فجاء فقال : يا رسول الله . هو فى المسجد راقد . فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع قدْ رداؤه عن شقه وأصابه تراب . فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه . ويقول : « قم أبا تراب » .

وقد كانت هذه الكنية . أحب الكنى إليه . ففى البخارى (باب الاستئذان) ما كان لعلى اسم أحب إليه من أبى تراب . وأنه كان يفرح إذا دعى به .

ولكن أعداء الإمام من بنى أمية كانوا يعيرون بها الإمام . ويسبونه بها على المنابر . ويجعلونها له نقيصة ووصمة . فكأنما كسوه بها الحلى والحلل – كما يقول الحسن البصرى – وكأنما كانوا يأخذون بيا فوخه إلى السماء . كما قال الخليفة الخامس : عمر بن عبد العزيز [١] .

ولا أدرى كيف يجعلونها نقيصة ووصمه؟ والذى كناه بها هو : رسول الله ﷺ فهل كنى النبى ﷺ عليا بما يوصم به ويسب؟ إنه الحقد الأسود والعصبية العمياء . وكناه الرسول ﷺ أيضا : بأبى الريحانتين . رواه البخارى والطبرانى [٢] ولما أتم على رضى الله عنه من عمره ست سنوات أصاب أهل مكة جدب شديد . وقحط عظيم وكان أبو طالب كثير العيال وغير ميسور الحال .

ذكر أحمد بن يحيى البلاذرى وعلى بن الحسين الأصفهانى : أن قريشا أصابها أزمة وقحط . فقال رسول الله ﷺ لعميه : حمزة والعباس . ألا نحمل ثقل أبى طالب فى هذا المحل . فجاءوا إليه وسألوه أن يرفع إليهم ولده ليكفوه أمرهم . فقال : دعوا لى عقيلا وخذوا من شئتم – وكان شديد الحب لعقيل فأخذ العباس . طالبا . وأخذ حمزة جعفرا وأخذ محمد صلى الله عليه وآله وسلم عليا . وقال لهم : قد اخترت – من اختاره الله لى عليكم – عليا .

قالوا – أى المؤرخون – : فكان على عليه السلام فى حجر رسول الله ﷺ منذ كان عمره ست سنين [٣] .

وأقول : إن الله سبحانه وتعالى قد أراد بذلك أن لا يكون لأحد من خلقه جميل على حبيبه صلى الله عليه وآله وسلم . فها هو رسول الله عليه الصلاة

---

(١) مشهد الإمام على فى النجف . للمرحومة د . سعاد ماهر ص ١٧ ، ١٨

(٢) وهو فى جمع الجوامع للسيوطى برقم ١٠٤٦١ حـ ٢ ص ٨٨ مجمع البحوث الإسلامية والريحانتان هما : الحسن والحسين رضى الله عنهما .

(٣) المصدر السابق نقلا عن ابن أبى الحديد بشرح نهج البلاغة : ١٥

والسلام بمكنه الله عز وجل من رد جميل عمه الذى رباه . بأخذه عليا ابنه ليربيه فى حجره . وتكون هذه بتلك وزيادة عليها . بزوجه ابنته سيدة النساء . الزهراء رضى الله عنها لما بلغ مبلغ الرجال وأمر آخر . إن الفرق كبير بين بيت النبوة وبيت أبى طالب .

لقد انتقل الغلام الصغير من بيت أبيه . سيد قريش . إلى بيت محمد ﷺ سيد الأولين والآخرين .

وفى بيت النبوة تفتحت عينا علىٍّ . على نمط من الحياة جديد رأى فيه ابن عمه محمدا ﷺ باحثا عن الحقيقة . يتعبد بملة أبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام . نائيا بنفسه عن جاهلية قومه ووثنياتهم وأصنامهم . فكان يذهب إلى غار حراء شهرا فى السنة يعبد ويتأمل ويفكر فى إبداع الخالق العظيم وهو فى حيرة من أمره حتى كان المبعث العظيم والاصطفاء الكريم لرسول الله ﷺ (ووجدك ضالا فهدى) أى كنت حائرا لا تدرى من أمر النبوة والشريعة شيئا حتى هديناك .

وكان الغلام علىّ يتأمل فى كل ما يدور من حوله من أمر ابن عمه . الذى كان يعيش فى كنفه . ويترعرع فى بيته . يتفيأ ظلال صاحب الخلق العظيم صلى الله عليه وآله وسلم وتحت رعاية السيدة الجليلة : خديجة بنت خويلد رضى الله عنها أول نساء النبى عليه الصلاة والسلام وأم الذرية الطاهرة . فكانت أما ثانية لعلى رضى الله عنه . الذى شرفه الله تعالى بإسلام أمه فى الولادة التى أسلمت بعد عشر . وإسلام أمه فى التربية التى كانت أول الناس إسلاما . وكان علىّ أيضا أول الرجال إسلاما وهو فى العاشرة من عمره .

وكانت هذه الحياة الكريمة فى بيت محمد ﷺ تبعد عليا عن حياة اللهو والعبث فلم ينشأ كلداته من أبناء قريش الذين يقضون حياتهم فى اللهو وأحاديث الهوى ومزامير البادية وأغانى السُّمَّار ومجون الجاهلية . وإنما نشأ علىٌّ فى حياة هادئة جادة عاقلة يأخذ من ابن عمه . حميد الصفات وكريم الأفعال . فكانت تلك الحياة طاهرة . نقية طيبة .

صفات الإمام وأوصافه

كان سيدنا الإمام على كرم الله وجهه - كما قال واصفوه . مما روى فى الرياض النضرة للمحب الطبرى.

وفى الاستيعاب لابن عبد البر وفى غيرهما ونقل عن جابر وابن الحنفية وأبى سعيد التيمى وابن لبيد وغيرهم - ربعة من الرجال إلى القصر أقرب . أسمر اللون حسن الوجه . واضح البشاشة . أدعج العينين عظيمهما . أذلف الأنف . أصلع ليس فى رأسه شعر إلا من خلفه . ناتئ الجبهة له حفاف كأنه إكليل . وكان عنقه إبريق فضة . كث اللحية طويلها تملأ صدره لا يغير شيبه . عريض المنكبين لهما مشاس كمشاس السبع الضارى. لا يبين عضده من ساعده قد أدمجت إدماجا، عبل الذراعين. شثن الكفين. وكان كبير البطن. يميل إلى السمنة فى غير إفراط . أقرى الظهر. عريض الصدر. كثير شعره. ضخم الكسور. عظيم الكراديس غليظ العضلات ممشى الساقين ضخم عضلة الذراع دقيق مستدقها. ضخم عضلة الساق دقيق مستدقها. يتكفأ فى مشيته على نحو يقارب مشية النبى ﷺ وإذا مشى إلى الحرب هرول .

وقد نشأ عليه السلام قوى البنيان مكين التكوين. وظل كذلك فى شبابه وكهولته وفى شيخوخته. فكان كما قال واصفوه ودلت عليه أخباره. قوى الساعد واليد قوة بالغة. ما صارع أحدا إلا صرعه. ولم يبارز أحدا إلا قتله. إذا أمسك بذراع أحد فكأنه أمسك بنفسه فلا يستطيع أن يتنفس. وقد يقتلع الفارس من ظهر جواده بيده، ويرمى به الأرض غير جاهد ولا حافل.

فعل ذلك أيام صفين. (بأحمر) مولى بنى أمية لما هم أن يضرب عليا بعد أن قتل كيسان مولاه. فوضع على يده فى جيب درع (أحمر) وجذبه عن فرسه وحمله على عاتقه ثم ضرب به الأرض. فكسر منكبه وعضديه. وأجهز عليه الحسين وابن الحنفية رضى الله عنهما وهو الذى حمل بابا بخيبر عجز عن قلبه

النفر من الأشداء واتخذه ترسا حين سقط ترسه عند فتح حصن نارعم أحد حصون خيبر المنيعة.

وروى الطبرى عن أبى نافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: خرجنا مع على بن أبى طالب حين بعثه رسول الله ﷺ برايته. فلما دنا من الحصن. خرج إليه أهله فقاتلهم. فضربه رجل من اليهود فطاح ترسه من يده. فتناول على رضى الله عنه بابا كان عند الحصن. فتترس به عن نفسه فلم يزل فى يده. وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده حين فرغ فلقد رأيتنى فى سبعة أناثامنهم. نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه. وروى أنه جعل الباب قنطرة اجتاز المسلمون عليها (الخندق) إلى داخل أبنية هذا الحصن.

وهو مع قوته البالغة كان شجاعا. ما نكل عن مبارزة. ولا ارتاع من كتيبة. ولا هاب قرنا مهما تكن صولته وشهرته.

ففى وقعة الخندق وتسمى أيضا (غزوة الأحزاب) أقدم على مبارزة فارس تحسب له الجزيرة العربية ألف حساب وقتله. ذلك هو: عمرو بن عبد ودّ (العامرى) [1] أ.هـ.

وأول ما عرف من شجاعة على رضى الله عنه. مبيته مكان النبى ﷺ فى ليلة الهجرة، وهو يعلم حقيقة موقف قريش من رسول الله ﷺ. ولربما يظفرون بعلى ويقتلونه فى فراشه ظنا منهم أنه النبى عليه الصلاة والسلام ولكنه نام فى فراش النبى ﷺ فى شجاعة وفدائية نادرة.

---

(١) مشهد الإمام على فى النجف: ٢٠، ٢١ والرياض النضرة: ٥٧٤، ٥٧٥.

الدعج: شدة سواد العين مع سعتها. الذلف: قصر الأنف وصغره.

الحفاف: الطرة حول رأس الأصلع.

المشاش: رءوس العظام كالمنكبين والمرفقين والركبتين. عبل الذراعين: ضخمهما.

شثن: غليظ. أقرى الظهر: شديده. ضخم الكسور: الأعضاء.

الكراديس: جمع كردوس وهو كل عظمتين التقتا فى مفصل. حمش الساقين: دقيقهما.

وكان رضى الله عنه مع شجاعته وفتوته. يتورع عن البقى والعدوان فلا يبدأ أحدا بالقتال وله مندوحة عنه. يقول لابنه الحسن رضى الله عنه: « لا تَدْعُوَّن إلى مبارزة فإن دعيت إليها فاجب. فإن الداعى إليها باغ. والباغى مصروع».

وقديما قالوا: وعلى الباغى تدور الدوائر.

وكان الخوارج يفارقون عسكره ليحاربوه، فقيل له: إنهم خارجون عليك فبادرهم قبل أن يبادروك. فقال: «لا أقاتلهم حتى يقاتلونى وسيفعلون».

وفى وقعه صفين: خرج من أصحاب معاوية (رضى الله عنه) رجل يسمى: كريز بن الصباح الحميرى. فصاح بين الصفين: من يبارز؟ فخرج إليه رجل من أصحاب على (رضى الله عنه) فقتله. ووقف عليه ونادى: من يبارز؟ فخرج إليه آخر فقتله وألقاه على الأول. ثم نادى: من يبارز؟ فخرج إليه الثالث. فصنع به صنيعه بصاحبه. ثم نادى رابعة من يبارز؟ فأحجم الناس. ورجع من كان فى الصف الأول إلى الصف الذى يليه. وخاف على أن يشيع الرعب بين صفوفه. فخرج إلى ذلك الرجل المدلّ بشجاعته وبأسه فصرعه ثم نادى نداءه حتى أتم ثلاثة صنع بهم صنيعه بأصحابه. ثم قال مسمعا الصفوف: يا أيها الناس: إن الله عز وجل يقول: (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص) ولو لم تبدءونا ما بدأناكم .. ثم رجع إلى مكانه) [1].

وكان على كرم الله وجهه صاحب مروءة وعفو فى معاملة خصومه مهما تكن إساءتهم قويا كان أو ضعيفا على السواء.

لقد ظفر بمروان بن الحكم فى وقعة الجمل وهو من ألد أعدائه. فعفا عنه. وصفح عن سعيد بن العاص الأموى. وعفا عن عمرو بن العاص رضى الله عنه.

وعفا عن أهل البصرة حين قدر عليهم ورفع السيف عنهم. ولما منعه جنود معاوية ماء الفرات. وسألهم الماء فمنعوه. ولما رأى أنه الموت لا محالة تقدم

---

(١) مشهد الإمام على ٢٥، ٢٦ نقلا عن كتاب: أعيان الشيعة.

بأصحابه وحمل على عساكر معاوية حملات كثيفة حتى أزالهم عن مراكزهم وردهم إلى الصحراء وملك الماء فأشرفوا على الهلاك . فسألوه الماء فقال له أصحابه : امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك ولا تسقهم منه قطرة واقتلهم بسيوف العطش . وخذهم قبضا بالأيدى فلا حاجة لك إلى الحرب فقال : لا . والله لا أكافئهم بمثل فعلهم . افسحوا لهم عن بعض الشريعة – أى مورد الماء – ففى جد السيف ما يغنى عن ذلك فأخذ كل منهما بالشريعة مما يليه[1] .

وكان الإمام كرم الله وجهه زاهدا فى الدنيا يقول سفيان (إن عليا لم يبن آجرة ولا لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة) .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : (أزهد الناس فى الدنيا على بن أبى طالب) .

وقد بلغ من زهده وعزوفه عن الدنيا أنه لم يقتن ضيعة ولا ريعا . وكان متقشفا فى لباسه وطعامه . وكان يأكل الشعير . وتطحنه امرأته بيديها . وكان يتحرى طيب الطعام ولا يتناول من الطعام ما فيه شبهة يقول (لا أحب أن يدخل بطنى ما لا أعلم) .

كما كان على رضى الله عنه لين الجانب شديد التواضع سهل الانقياد . ورغم ذلك كان مهابا وكانت فيه دعابة روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لعلى : (لله أبوك لولا دعابة فيك) وقال لمن سألوه فى الاستخلاف : (ما أظن إلا أن يلى أحد هذين الرجلين : على أو عثمان فإن ولى عثمان فرجل فيه لين . وإن ولى على ففيه دعابة . وأحرى به أن يحملهم على الطريق)[2] لكن دعابة على رضى الله عنه ليست معيبة . لأن أخلاقه وتاريخه وأقواله ونوادره مع صحبه وأعدائه ليس فيها ما يدل على خلق الدعابة فضلا عن الدليل على الإفراط فيه كما ذكره المرحوم عباس محمود العقاد فى عبقرية الإمام .

---

(١) شرح نهج البلاغه بتصرف ١ / ٢٣ ، ٢٤ .
(٢) الدكتوره سعاد ماهر فى مشهد على فى النجف ص ٣١ .

لقد كان سيدنا الإمام يتمتع بحميد الصفات وكريم الأوصاف والأخلاق. يذكر له ذلك أصدقاؤه وأعداؤه. ولا عجب فى هذا ولا غرابة لأن عليا تربى فى بيت النبوة وشرب من كأس الوصف المحمدى وتادب بكريم صفات وأخلاق الصادق الأمين وكان لحسن صحبته للمصطفى وأصحابه الأثر الكبير حتى كان هو على بن أبى طالب كرم الله وجهه الذى أحبه الله تعالى ورسوله ﷺ.

ولقد أجاد ضرار بن ضمرة الكنانى فى وصف تلك الأخلاق الباهرة والمكارم النادرة وأبان عن جوهرها ومكنوناتها. عندما سأله معاوية أن يصف عليا. فقال ضرار: (كان – والله – بعيد المدى. شديد القوى. يقول فصْلاً. ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه. وتنطق الحكمة من نواحيه. يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته.

كان – والله – غزير العبرة. طويل الفكرة. يقلب كفه. ويخاطب نفسه. يعجبه من اللباس ما قصر. ومن الطعام ماخشب – أى ما غلظ وخشن من الطعام.

كان – والله – كأحدنا. يدنينا إذا أتيناه. ويجيبنا إذا سألناه. وكان مع تقربه إلينا. وقربه منا. لا نكلمه هيبة له. فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم. يعظم أهل الدين. ويحب المساكين. لا يطمع القوى فى باطله. ولا ييأس الضعيف من عدله.

فأشهد بالله لقد رأيته فى بعض مواقفه – وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه – يميل فى محرابه. قابضا على لحيته. يتململ تململ السليم. ويبكى بكاء الحزين فكأنى أسمعه الآن وهو يقول: يا ربنا. يا ربنا. يتضرع إليه. ثم يقول للدنيا: إلى تغررت؟ إلى تشوفت؟ هيهات.. هيهات. غرى غيرى. قد بنتك ثلاثا فعمرك قصير ومجلسك حقير. وخطرك يسير. آه. آه من قلة الزاد. وبعد السفر ووحشة الطريق) فبكى معاوية رضى الله عنه وقال: رحم الله أبا الحسن كان

والله كذلك، وهذا الوصف البديع الأخاذ كاف لمعرفة خلق عليّ وسجاياه واكتشاف أغوار نفسه. وآفاق روحه الطاهرة[١].

وقال فيه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه: (أزهد الناس فى الدنيا على بن أبى طالب) رحم الله أبا الحسن. كان على جانب كبير من الخلق العظيم. وكيف لا يكون كذلك؟ والذى رباه هو رسول الله ﷺ فأشربه حسن الخلق. وحميد الصفات حتى كان على مثلا أعلى لمن عداه فى التمسك بالقيم الأخلاقية العظيمة رضى الله عنه هذا: وقال معاوية لضرار بعد ما سمعه: فكيف حزنك عليه باضرار؟

قال: حزن من ذبح ولدها بحجرها. فهى لا ترقأ عبرتها. ولا يسكن حزنها. ثم خرج[٢].

وسئل الحسن البصرى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه. فقال (كان والله سهما صائبا من مرامى الله على عدوه. ربانى هذه الأمة وذا فضلها وذا سابقتها. وذا قرابتها من رسول الله ﷺ. لم يكن بالنؤومة عن أمر الله. ولا بالملومة فى دين الله. ولا بالسروقة لمال الله. أعطى القرآن عزائمه وعلم ما فيه حتى قبضه الله إليه. ففاز برياض مؤنقة. وأعلام مشرقة)[٣] رضى الله عنه.

* * *

(١) الخلفاء الراشدون ص ٤٧٥ - ٤٧٦.
(٢، ٣) مشهد الإمام على: ٣٢.

إســــلامُ علــىّ

اختلف فى تحديد سن على بن أبى طالب كرم الله وجهه . يوم أسلم . فقد روى فى سيرة ابن هشام : قال ابن إسحاق : كان أول ذَكَرٍ من الناس آمن برسول الله ﷺ . وصدق بما جاءه من عند الله تعالى . على بن أبى طالب عليه السلام ابن عبد المطلب بن هاشم . وهو ابن عشر سنين يومئذ . وكان مما أنعم الله على علىّ ابن أبى طالب . أنه كان فى حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام .

وقد ذكر هذه الرواية الطبرى فى تاريخه . كما روى عن الكلبى قال : أسلم على وهو ابن تسع سنين . وعن مجاهد قال : أسلم على وهو ابن عشر سنين(١) .

وذكر المسعودى فى مروج الذهب قال : كان على يوم أسلم صبيا يكفله رسول الله ﷺ وتمام هذا القول : أن أول من أسلم من النساء : خديجة . ومن الرجال : أبو بكر ومن الصبيان : على . ومن الموالى : زيد ، رضى الله عنهم أجمعين(٢) .

وذكر قبل هذا القول . قوله – مشيرا إلى الروايات المختلفة : قد تنوزع فى على بن أبى طالب كرم الله وجهه وإسلامه . فذهب كثير من الناس إلى أنه لم يشرك بالله شيئا فيستأنف الإسلام . بل كان تبعا للنبى ﷺ فى جميع أفعاله . مقتديا به وبلغ وهو على ذلك وأن الله عصمه وسدده ووفقه لتبعيته لنبيه عليه الصلاة والسلام لأنهما ما كانا مضطرين ولا مجبورين على فعل الطاعات . بل مختارين قادرين . فاختارا طاعة الرب . وموافقة أمره . واجتناب منهياته . ومنهم من رأى أنه أول من آمن وأن الرسول – ﷺ – دعاه وهو موضع التكليف بظاهر قوله عز وجل (وأنذر عشيرتك الأقربين) .

وكان بدؤه بعلى . إذ كان أقرب الناس إليه وأتبعهم له . ومنهم من رأى غير ما وصفنا(٣) . وأقول : إن من المسلّم به أن سيدنا على كرم الله وجهه نشأ مسلما

---

(١) تاريخ الامم والملوك للطبرى : ٢ / ٥٧ ، ٥٨ .

(٢ ، ٣) مروج الذهب : ٢ / ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

ولما بعث رسول الله ﷺ ظل على رضى الله عنه فى متابعته والاقتداء به صلوات الله وسلامه عليه.

وهذا الخلاف الذى ذكره المؤرخون وكتاب السيرة. عن سن على وقت إسلامه. بل كان من الأوفق لهم أن يحددوا سن على وقت بعثة رسول الله ﷺ. فقد قال ابن إسحاق: ذكر بعض أهل العلم. أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة وخرج معه على بن أبى طالب. مستخفيا عن عمه أبى طالب وجميع أعمامه وسائر قومه. فيصليان الصلوات فيها. فإذا أمسيا رجعا. فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا. ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان. فقال لعلى: أى بنى ما هذا الدين الذى أنت عليه؟ قال: يا أبت. آمنت بالله وبرسول الله وصدقته بما جاء به. وصليت معه لله. واتبعته فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يدعك إلا إلى خير. فالزمه. أ. هـ الطبرى وابن هشام وروى أن عليا قال لابن عمه – حين طلب منه أن يشاور أباه فى إسلامه: (يا ابن عمى إنى سمعت وأجبت. وإنى أشهد بشهادة الإسلام. أن لا إله إلا الله وأنك لرسوله ثم قال: يا رسول الله ما كنت لأسمع لأبى طالب أو أشاوره فى دينى. فقد خلقنى الله ولم يشاوره فى خلقى.. إنى هديت يا رسول الله بك إلى ربى. فلأعبدنه ابتغاء وجهه).

والقول الصحيح كما قلنا ونقول: إن عليا رضى الله عنه نشأ مسلما متبعا لرسول الله ﷺ قبل البعثة وبعدها. وهو ما رجحه أكثر من واحد كابن عبد البر والعاملى وغيرهما من الرواة والمؤرخين.

يقول ابن أبى الحديد فى شرحه: كان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوما. كما كان غاية الغايات فى التقوى والورع. ومنه تعلم الناس صلاة الليل وملازمة الأوراد وقيام النافلة. وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده. أن يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير فيصلى عليه ورده. والسهام تقع بين يديه وتمر على

صماخيه يمينا وشمالا فلا يرتاع لذلك. ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته. وما ظنك برجل كانت جبهته كثفنة – الثفنة من البعير هى: الركبة – البعير لطول سجوده.

وأنت إذا تأملت دعواته ومناجاته ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله وما يتضمنه من الخضوع لهيبته والخشوع لعزته. والاستخذاء له. عرفت ما ينطوى عليه من الإخلاص. وفهمت من أى قلب خرجت وعلى أى لسان جرت[1] أ. هـ.

لقد كان سيدنا على رضى الله عنه عظيما طول سنى حياته إسلاما وصحبة وجهادا وعلما وقضاء وإمرة حتى لقى ربه عز وجل راضيا مرضيا.

إن المطلع على حياته والقارئ لسيرته ليقف مشدوها أمام عبقرية هذا الرجل الذى تفتحت عيناه واستقبل صباه بعبادة العلى الكبير فى وقت كانت قريش تعبد فيه أحجارها وأصنامها. ولكن عليا شرفه الله تعالى بعدم السجود للأصنام كما روى أنه وهو جنين فى بطن أمه كان يتعرض فى بطنها ويمنعها من السجود للأصنام إن هى أرادت كما يعبد قومها رضى الله عنها. وهنيئا لها بهذا الوليد الذى أحبه الله تعالى وأحبه رسول الله ﷺ الذى قال: لأُعطينَّ الراية غدا لرجل يحبه الله ويحبه رسول الله[2]. الحديث فإذا هذا الرجل المحبوب من ربه عز وجل ورسوله هو: على بن أبى طالب كرم الله وجهه.

* * *

(١) شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٧.

(٢) الحديث بطوله رواه أحمد فى المناقب وأخرجه ابن إسحاق فى السيرة.

في صحبة الرسول ﷺ

كان على رضى الله عنه أول صحابى من صبيان قريش وفتيانها . وكان أبو بكر رضى الله عنه أول صحابى من رجالاتها وسادتها . وكانت خديجة رضى الله عنها الزوجة الحنون العاقلة القوية أول زوجة وأول صحابية من نسائها وعقيلاتها . وكان زيد بن حارثة رضى الله عنه الذى أنزل الله تعالى فيه قرآنا يتلى . أول صحابى من مواليها وضعفائها فقوى بالإسلام وتشرف بالصحبة وعلا شأنه بقربه من المصطفى ﷺ صحب على رضى الله عنه رسول الله ﷺ وكان دائما قريبا منه وتحت بصره يأخذ عنه الوحى المنزل . ويسمع منه التبيان والبيان المفصل ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** ﴾ [النحل : ٤٤] فكان على حريصا على أخذ القرآن والسنة من فى رسول الله ﷺ بإيمان صادق . وفهم واع . وإخلاص لا حدود له . حتى ملئ إيمانا وعلما حتى صار فيما بعد هو المرجع الكبير لميراث النبوة .

لذلك كان على بين أصحاب رسول الله ﷺ محل تقدير وإعجاب وحب وانبهار . ولا عجب فى هذا ولا غرابة . لأنه على الذى سبقهم جميعا وهو فى حداثة سنه . إلى الإيمان بالله عز وجل والتصديق بنبوة ابن عمه ﷺ روى المحب الطبرى فى الرياض النضرة . عن على عليه السلام قال : قلت يا رسول الله أوصنى قال : (قل . ربى الله ثم استقم) فقلت : ربى الله . وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) . . قال : (ليهنك العلم أبا الحسن لقد شربت العلم شربا) .

ثم قال : أخرجه : البخترى والرازى . وزاد : (ونهلته نهلا) .

وروى أيضا : عن عبد الله بن عياش الزرقى وقد قيل له : أخبر عن هذا الرجل على بن أبى طالب فقال : إن لنا أخطارا وأحسابا . ونحن نكره أن نقول فيه ما يقول بنو عمنا . قال : كان رجلا تلعابة . يعنى : مزاحا . وكان إذا فزع . فزع إلى

ضرس من حديد . قال : قلت وما ضرس من حديد ؟ قال : قراءة القرآن . وفقه فى الدين . وشجاعة . وسماحة) وقال : أخرجه أحمد فى المناقب .

إن عليا رضى الله عنه كان فى صحبته من الخيرة . إيمانا وعلما وأدبا وشجاعة وفتوة وشدة وسماحة ورحمة ولينا . كان ينزل على العدو كالصاعقة فى جراة وشجاعة وشدة . وكان مع المؤمنين . سمحا ورحيما ولينا وكريما .

ويكفى على فخرا أن أستاذه الذى تتلمذ عليه وتربى فى حجره هو خير البشر وسيد الناس سيدنا محمد ﷺ . لذلك كان قويا فى الحق . ولا تأخذه فى الله لومة لائم كان يقول الحق ويحكم به بكل ما يملك من قوة . لذا كان ناصحا أمينا . وناصرا مستقيما .

(١) الهجرة إلى المدينة :

لقد قضى على بن أبى طالب رضى الله عنه ثلاثة عشر عاما فى صحبة الرسول ﷺ . من المبعث إلى الهجرة . يتلقى عنه القرآن بنفس مرهفة . وقلب واع . وذكاء وقاد، وعزم متهلل أكيد . وروح حرة شفافة . فأشرب قلبه ولاء للقرآن منقطع النظير . فكان واحدا ممن سبق وممن صدق . فنال الحسنيين . وحاز المكرمتين . وصلى مع النبى إلى القبلتين .

وتكاملت شخصية على بكل خصائصها الموروثة من آبائه . والمكتسبة من حجر النبوة . وراح يسطر فى تاريخ الدعوة أبهى الصفحات . المترعة بالمواقف الرائعة والبطولات النادرة .

وحين نستقبل حياة الإمام ومواقفه . فإننا نجد روضات يانعات . يفوح عبيرها بالبطولة والرجولة . والمروءة والنخوة . والصدق والفداء . والتقى والطهر والنقاء .

ولقد جاءت حادثة الهجرة النبوية لتخط لعلى – رضى الله عنه – واحدا من أبرز الأمثلة على بطولة روحه . وقوة شكيمته . وشجاعة نفسه . ورباطة جأشه

وصدق افتدائه لصاحب الرسالة ﷺ بالنفس. وحبه وطاعته له. ولو كان فى ذلك مواجهة أسياف قريش مجتمعة(١).

فلما عزم رسول الله على الهجرة من مكة المكرمة إلى يثرب - المدينة - وأخبر بذلك أبا بكر الصديق رضى الله عنه. جاءه الأمين: جبريل عليه السلام وأخبره أن قريشا قد أجمعت على قتله. وقد أعدت لذلك عدتها. وأمره ألا يبيت تلك الليلة على فراشه الذى كان يبيت عليه.

لذا فإنه يلزم أن يأخذ مكانه ﷺ. رجل يشغل أبصار المحاصرين لبيته والمراقبين لفراشه من خلل الباب. فالأمر حينئذ محتاج إلى فدائى. يفدي رسول الله ﷺ ويعمى على القوم خروج المصطفى ﷺ مهاجرا.

ومن يكون لذلك إلا فتى مثل عليّ رضى الله عنه. يلى. إنه على بن أبى طالب رضى الله عنه فهو خير فتى يقوم بهذا الأمر. قال له رسول الله ﷺ (نم على فراشي وتسج ببردى هذا الحضرمي الأخضر. فنم فيه. فإنه لن يخلص إليك شئ تكرهه منهم) واستقبل عليّ الأمر الصادر له من النبى ﷺ بالرضا. سمع فأطاع. لأنه يعلم أن النبى ﷺ لا ينطق عن الهوى. لذا لم يأبه بالنتيجة أيًّا كانت ما دام ذلك فى سبيل الله عز وجل.

نام على رضى الله عنه فى فراش النبى ﷺ. وخرج رسول الله ﷺ على فتيان مكة المحيطين ببيته. وأخذ بيده حفنة من تراب وأخذ الله أبصارهم عنه - فأخذ ينثر التراب على رءوسهم. وهو يتلو قوله تعالى: ﴿**يسٓ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ** ..﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ**﴾ [الآيات من ١ - ٩ سورة يس].

وظل المحاصرون للبيت فى موقعهم حتى جاءهم رجل. فأخبرهم بأن محمدا قد خرج وألقى التراب فوق رءوسهم. فهبوا مسرعين. ونظروا من خلل الباب فرأوا

---

(١) الخلفاء الراشدون: ٤٥٣.

عليا نائما فظنوه محمدا ﷺ – فقالوا: والله إن هذا لمحمد نائما على برده. فلم يبرحوا مكانهم حتى أصبحوا. وفى الصباح قام علىّ من فراش رسول الله ﷺ وخرج عليهم. فقالوا: والله لقد صدقنا الذى حدثنا.

وحفظ الله تعالى. عليا وحماه منهم تصديقا لوعد النبى ﷺ له. وإكراما وكرامة لهذا الفدائى البطل الذى اختار الله تعالى ورسوله ﷺ منذ حداثة سنة رضى الله عنه وأرضاه.

لقد هاجر النبى ﷺ يرافقه صاحبه الصديق الأكبر. أبو بكر رضى الله عنه وخلف بمكة علىّ رضى الله عنه. ليبيت مكانه تعمية على قومه.. ثم يقوم برد الودائع والأمانات التى كانت عند رسول الله ﷺ لبعض أهل مكة. لأنها أمانة والأمانة لابد أن تؤدى لصاحبها ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٨] فمكث على رضى الله عنه بمكة ثلاث ليال وأيامها. رد فيها ما كان عند رسول الله ﷺ من الودائع.

وفى هذه الأيام الثلاثة كان على يجابه قريشا التى بلغ منها حنقها وغيظها مبلغا عظيما على النبي ﷺ وكل من تبعه على دينه. وظل على يواجه تحرشاتهم به وشتمهم وسبهم وهو رابط الجأش. عالى الهمة. ولم تخفه قريش بصلفها وجبروتها وكيف يخاف وهو الفتى الفدائى الذى ملأت الشجاعة نفسه وخالطت كيانه وقد منحه الله تعالى كل أسباب القوة والشجاعة بنوعيها الروحى والمادى.

وبعد ما اطمأن الفتى الفدائى على تمام تنفيذه لأوامر النبى ﷺ عزم على المسير لكى يلحق بالمصطفى ﷺ بالمدينة المنورة. فخرج وحده مخترقا الصحراء الواسعة القاحلة. ولم يرهبه ما تقوم به قريش من انتشار بعض رجالاتها فى الصحراء بحثا عن النبى ﷺ وأتباعه. وقطع الفيافى والقفار فى رباطة جأش وثقة بالنفس. وقيل هاجر مع علىّ بعض المسلمين(١).

---

(١) تقول مصادر الشيعة: إنه هاجر ومعه الفواطم: فاطمة بنت النبى. فاطمة بنت أسد. فاطمة بيت حمزة فاطمة بنت الزبير وأيمن ابن أم أيمن. أعيان الشيعة ٢/ ١١٧.

وصل الفتى الفدائى رضي الله عنه إلى (قباء) فى منتصف شهر ربيع الأول . فنزل مع رسول الله ﷺ على : كلثوم بن الهدْم .

وفى المدينة المنورة : شارك على بن أبى طالب رضى الله عنه إخوانه فى بناء المسجد النبوى الشريف وهو يرتجز شعرا ووجهه يعلوه البشر والسرور فيقول :

لا يستوى من يعمر المساجدا

يـدأب فيها قائمـا وقاعـدا

ومن يـرى فـى الغبـار حائـدا

وفى المسجد النبوى أقيمت الصلاة . واستقبل المسلمون ما يوحى الله به إلى النبي ﷺ . فيتعلمون دينهم ويقيمون شعائرهم وفيه تعقد مجالس الشورى وتعقد ألوية الجهاد وتنطلق الجيوش دفاعا عن الدعوة ونشرا للإسلام (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا)

وفى المدينة المنورة وبعد إنشاء مسجدى : قباء والمسجد النبوى الشريفين . قام النبى ﷺ بوضع القاعدة العظيمة (المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار) لكى يصهر جناحى الأمة – المهاجرين والأنصار – فى بوتقة واحدة . ليكونوا جميعا صفا واحدا . وجسدا واحدا متكاملا . إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى . وكان لقيام هذا الأمر شأن عظيم فى حياة المسلمين مهاجرين وأنصار حيث فشا فيهم : الحب والود والتعاون والإيثار والكفاح . والمساهمة سويا فى نصر الإسلام والصدق والإخلاص فى الاقتداء بالرسول ﷺ الذى لقى ربه عز وجل وهو عنهم راض . فهنيئا لهم بحب الله ورسوله لهم وبحبهم لله ورسوله ﷺ .

لقد آخى النبى ﷺ بين أصحابه رضى الله عنهم . فماذا كان حظ على بن أبى طالب رضى الله عنه من هذا الأمر؟

روى أنه : كان أخا لسهل بن حنيف الأنصارى رضى الله عنهما[١]

وروى المحب الطبرى فى الرياض النضرة [٢] قال : وخرج ابن إسحاق ذكر المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار فقال : قال رسول الله ﷺ فيما بلغنا : (تآخوا فى الله أخوين أخوين) ثم أخذ رسول الله ﷺ بيد على فقال « هذا أخى » فكان رسول الله ﷺ وعلى أخوين . أ. هـ .

وروى الطبرى أيضا : عن ابن عمر قال : آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه فجاء علىّ تدمع عيناه قال : يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بينى وبين أحد . قال له رسول الله ﷺ : (أنت أخى فى الدنيا والآخرة) خرجه الترمذى وقال : غريب والبغوى فى المصابيح الحسان[٣] .

وروى الطبرى أيضا فى رياضه فقال : وعن على رضى الله عنه – أنه كان يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله . لا يقولها أحد غيرى إلا كذاب . خرجه أبو عمر وخرجه الخلعى .

وعن على قال : طلبنى النبي ﷺ فوجدنى فى حائط نائما – بستان – فضربنى برجله وقال : (قم فوالله لأرضينك . أنت أخى . وأبو ولدى . تقاتل عنى بسنتى من مات على عهدى فهو فى كنز الجنة . ومن مات على عهدك فقد قضى نحبه ومن مات محبك بعد موتك ختم الله له بالأمن والإيمان ما طلعت شمس أو غربت – خرجه أحمد فى المناقب .

ثم قال : وعن على قال : جمع رسول الله ﷺ . أو دعا بنى عبد المطلب وهم رهط كلهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق . فصنع لهم مدا من طعام . فأكلوا حتى شبعوا . قال : وبقى الطعام كما هو كأنه لم يمس . ثم دعا بغمر فشربوا حتى رووا

---

(١) الخلفاء الراشدون : ٤٥٦ وتمسك بهذا الرأى مؤلفه الأستاذ عبد الستار الشيخ . ذاكرا فى هامشه أن ابن كثير : يضعف الأحاديث الواردة فى مؤاخاة النبى ﷺ له . والمؤلف حر فيما اختار .

(٢) ص ٢٦ .   (٣) الرياض النضرة : ٥٩١ .

وبقى الشراب كأنه لم يمس أو لم يشربوا. فقال: (يا بنى عبد المطلب إنى بعثت إليكم خاصة وإلى الناس عامة). وقد رأيتم من هذه الآية - المعجزة - ما رأيتم. فأيكم يبايعنى على أن يكون أخى وصاحبى؟ فلم يقم إليه أحد. قال: فقمت وكنت أصغر القوم. قال: اجلس. ثم قال ذلك ثلاث مرات. كل ذلك أقوم إليه فيقول: أجلس. حتى كان فى الثالثة. فضرب بيده على يدى) خرجه أحمد فى المناقب ثم قال الطبرى: وعن ابن عباس (رضى الله عنهما) وقد سئل عن على (رضى الله عنه) قال: (كان أشدنا برسول الله ﷺ لزوما. وأولنا به لحوقا) خرجه ابن الضحاك وعن عمر بن عبد الله عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ آخى بين الناس وترك عليا. حتى بقى آخرهم لا يرى له أخا. فقال: يا رسول الله آخيت بين الناس وتركتنى. قال: (ولم ترانى تركتك؟ إنما تركتك لنفسى. أنت أخى وأنا أخوك فإنى أذاكرك. قل: أنا عبد الله وأخو رسول الله. لا يدعيها بعدى إلا كذاب)(1) خرجه أحمد فى المناقب وأقول: وسواء أكان على كرم الله وجهه: أخا للنبى ﷺ فى معاهدة الإخاء بين المهاجرين والأنصار. وهى ثابتة بالأحاديث وكلها يقوى بعضها بعضا. أو كان أخا لسهيل بن حنيف الأنصارى رضى الله عنهما. فإن هذا لا يزيد ولا يقلل من قدر على رضى الله عنه عند رسول الله ﷺ لقرابته القريبة منه. فهو ابن عمه وولده بالتربية وأول الذكور إسلاما وأولهم صحبة وأفداهم لرسول الله ﷺ وزوج الزهراء سيدة النساء رضى الله عنها وأبو العترة الطاهرة. آخر سلالة النبيين وهو المجاهد الذى أبلى بلاء حسنا وهو باب مدينة العلم والمدافع عن سنة النبى ﷺ فأنعم من رجل أحب الله ورسوله. فأحبه الله تعالى ورسوله ﷺ.

(٢) الزواج المبارك

لقد بلغ على كرم الله وجهه مبلغ الرجال. وأصبح من الضرورى له أن يتزوج. ولكن من يتزوج. وكيف يتزوج وهو لا يملك مؤنة الزواج؟ لقد كان رجلا لا مال له يعيش على الكفاف ولا يملك من حطام الدنيا ما يساعده على

---

(١) رويت هذه الأحاديث وغيرها بالرياض النضرة فى مناقب العشرة: ٥٩١، ٥٩٢.

الزواج. لذا فإنه لم يكن يفكر فى هذا الأمر وخاصة أيضا أنه مشغول بأمر الدعوة وقتال الأعداء. لك الله يا على سيأتى الله بالفرج. وسوف يهديك ربك بخير النساء عند ربك وبخيرهن أما وأبا ومن مثلك يحظى بهذا الشرف العظيم؟ إنها الزهراء يا على حبيبه المختار ﷺ وصغرى بناته. جمال وطهارة وعفة ودين وحسب ونسب فمن تكون مثلها من نساء وفتيات المسلمين رضى الله عنها وأرضاها؟

ولدت السيدة: فاطمة الزهراء رضى الله عنها وقريش تعيد بناء بيت الله الحرام. وكان ذلك قبل البعثة بخمس سنوات.

عن أبى جعفر قال: دخل العباس علَى: علىّ وفاطمة وأحدهما يقول للآخر: أينا أكبر؟ فقال العباس: (ولدت يا على قبل بناء قريش البيت بسنوات. وولدت أنت وقريش تبنى البيت ورسول الله ﷺ ابن خمس وثلاثين سنة قبل النبوة بخمس سنين) أخرجه الدولابى - تربت فاطمة رضى الله عنها فى حضن النبى ﷺ تحت سمعه وبصره فنالت الخير كله. لقد عاشت فاطمة فى كنف أمير الأنبياء وسيد المرسلين يرعاها ويهذبها. يعلمها ويؤدبها بأدب الإسلام. ويسقيها من رحيق النبوة. ويعطيها من حنانه ورحمته ما لا تُعْطى غيرها.

بلغت فاطمة رضى الله عنها سن الزواج وأصبحت مرغوبة لدى الرجال الشرفاء. لأنها الشريفة بنت الشريف صلوات الله وسلامه عليه.

خطبها أبو بكر وعمر رضى الله عنهما. فاعتذر رسول الله ﷺ لهما.

أخرج ابن سعد فى الطبقات الكبرى: عن علباء بن أحمر اليشكرى: أن أبا بكر خطب فاطمة إلى النبى ﷺ فقال: يا أبا بكر انتظر بها القضاء. فذكر ذلك أبو بكر لعمر. فقال له: ردك يا أبا بكر.

ثم إن أبا بكر قال لعمر: اخطب فاطمة إلى النبى ﷺ فخطبها. فقال له مثل ما قال لأبى بكر: أنتظر بها القضاء.

فجاء عمر إلى أبى بكر: فأخبره. فقال له: ردك يا عمر؟

ثم إن أهل عليّ قالوا لعلى: أخطب فاطمة إلى رسول الله ﷺ فقال: بعد أبى بكر وعمر؟ فذكروا له قرابته من النبى ﷺ فخطبها فزوجه النبى ﷺ فباع على بعيرا له وبعض متاعه فبلغ أربعمائة وثمانين فقال له النبى ﷺ: (اجعل ثلثين فى الطيب وثلثا فى المتاع).

ثم إن رسول الله ﷺ قال لفاطمة: (إن عليا يذكرك) فسكتت. فزوجها[1] تزوجها على بن أبى طالب رضى الله عنه فى شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة وبنى بها فى ذى الحجة من السنة المذكورة.

عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عليّ قال: جهز رسول الله ﷺ فاطمة فى خميل وقربة ووسادة أدم حشوها ليف الإذخر[2].

(الخميل: القطيفة. الأدم: الجلد. الإذخر حشيشة رطبة طيبة الرائحة) وقد أمر رسول الله ﷺ عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما بتهيئة الدار والعروس.

أخرج ابن ماجة عن عائشة وأم سلمة قالتا: (أمرنا رسول الله ﷺ أن نجهز فاطمة حتى ندخلها علَى: عليّ. فعمدنا إلى البيت. ففرشنا بأيدينا. ثم أطعمنا تمرا وزبيبا. وسقينا ماء عذبا. وعمدنا العود فعرضناه فى جانب البيت ليلقى عليه الثوب ويعلق عليه السقاء فما رأينا عرسا أحسن من عرس فاطمة).

وهكذا: نقلت فاطمة من دار أبيها إلى دار على بن أبى طالب رضى الله عنه. فكانت رضى الله عنها نعم الزوج طهرا ونقاء وعفة وطهارة. ملأت على زوجها كل حياته. اللهم إلا ما كان منه لله عز وجل ولرسوله ﷺ وللمسلمين.

كانت صابرة على عسر حال زوجها. راضية بما قسمه الله لها. ترعى حق زوجها. فتطيعه إذا أمر. وتسره إذا نظر. وتواسيه لتهون عليه متاعب الحياة وقسوة المعيشة. عن على: أن فاطمة أتت النبى ﷺ تشكو إليه ما تلقى فى يدها

---

(١) اخرجه ابن سعد فى طبقاته والنسائى فى سننه.

(٢) رواه أحمد فى مسنده.

من الرحى . وبلغها أنه جاءه رقيق . فلم تصادفه . فذكرت ذلك لعائشة . فلما جاء أخبرته عائشة . قال : فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا . فذهبنا نقوم فقال : على مكانكما . فجاء فقعد بيني وبينها . حتى وجدت برد قدميه على بطني . فقال : (ألا أدلكما على خير مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما أو أويتما إلى فراشكما . فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا . أربعا وثلاثين . فهو خير لكما من خادم[(١)]) .

وأخرج أحمد فى مسنده : إن بلالا أبطأ عن صلاة الصبح فقال له النبى ﷺ : ما حبسك؟ قال : مررت بفاطمة وهى تطحن . وصبى يبكى . فقلت : إن شئت كفيتك الرحى . وإن شئت كفيتك الصبى . فقالت : أنا أرفق بابنى منك فذلك الذى حبسنى[(٢)] .

لك الله يا أم الحسنين . لا مال ولا خادم ولا رقيق . ومع ذلك كانت صابرة محتسبة فما لهما والدنيا . إنهم كانوا يرجون ما عند الله وهو خير وأبقى .

وفى ليلة العرس قال النبى ﷺ لعلى : (لا تقربن أهلك حتى آتيك) فجاء الرسول ﷺ . فدعا بإناء فيه ماء، ثم مسح صدر على ووجهه . ثم دعا فاطمة . فقامت إليه تتعثر فى مِرْطها من الحياء . فنضح عليها من ذلك الماء . ثم دعا لهما . فقال : (اللهم بارك فيهما . وبارك عليهما . وبارك لهما فى بنائهما . وبارك لهما فى نسلهما) ثم قال لفاطمة : (إنى لم آل – أى لم أقصر – أن أنكحتك أحب أهلى إلىَّ) ثم خرج فقال لعلى : (دونك أهلك) .

ثم ولى إلى حجره . فما زال يدعو لهما حتى دخل حجره[(٣)] .

ولقد عرف على لزوجته الزهراء مكانتها . وعظم منزلتها من قلب رسول الله ﷺ فلم يتزوج عليها حتى ماتت . ولما أراد أن يتزوج بنت أبى جهل . أنف النبى ﷺ من ذلك . وقام على المنبر فخطب الناس . فقال :

---

(١) متفق عليه . (٢) راجع كتابنا : مشارق الأنوار : ٤٣ – ٤٨ .
(٣) الخلفاء الراشدون : ٤٥٧، ٤٥٨ .

(إن بنى هاشم بن المغيرة. استأذنوا فى أن ينكحوا ابنتهم على بن أبى طالب. فلا آذن. ثم لا آذن. ثم لا آذن. إلا أن يريد ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى. وينكح ابنتهم. فإنما هى بضعة منى. يريبنى ما أرابها. ويؤذينى ما آذاها).

وقال ﷺ مبينا سبب ذلك: (إنى لست أحرم حلالا. ولا أحل حراما ولكن لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله أبدا).

فكان على رضى الله عنه خير من يلبى رغبة النبى ﷺ. فأقلع عما عرض عليه من الزواج بامرأة أخرى. وجنب قلب السيدة البتول الغيرة من الضرائر أ. هـ. [1] وقد ولدت فاطمة رضى الله عنها لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه: الحسن والحسين ومحسن - مات رضيعا - وزينب وأم كلثوم رضى الله عنهم.

وزاد الليث بن سعد: رقية. وماتت ولم تبلغ. ووافقه الدارقطنى. ولكن جمهرة المؤرخين يقولون: إن رقية رضى الله عنها بنت على من امرأة تسمى: أم حبيب الصهباء التغلبية (أم ولد: كانت من سبى حروب الردة).

ويقرر الشعرانى: أن مشهدها بمصر بالقرب من مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها. ويرى آخرون: أنها دفنت بدمشق ولها قبر هناك مشهور. أما رقية المدفونة بمصر فهى بنت على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق رضى الله عنهم[2].

لقد قضت الزهراء حياتها مع علىّ رضى الله عنهما فى رضا تام وقناعة بما قسم الله تعالى عابدة زاهدة تقية ورعة حتى لقيت ربها بعد وفاة النبى ﷺ بستة أشهر توفيت رضى الله عنها فى ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة. وهى بنت ثمان وعشرين سنة ونصف وغسلها. وصلى عليها: العباس. ودفنت ليلا رضى الله عنها وأرضاها.

---

(١) المصدر السابق: ٤٦٠.

(٢) كتابنا: مشارق الأنوار: ٥٩.

(٣) جهاد على ومشاهده مع رسول الله ﷺ :

كان من أبرز صفات علىّ رضى الله عنه . الشجاعة والبطولة والفتوة فى انضباط عظيم فلم يكن الإمام متهورا . وإنما كان رجلا ملتزما فى كل تصرفاته البطولية . فلم يكن يوما ما باغيا ولا معتديا . وإنما هو دائما سليم الصدر . فلا ضغائن ولا أحقاد على العدو بعد أنتهاء القتال . ملتزما بأدب القرآن والسنة فى كافة المعارك التى خاضها . جنديا كان أوقائدا . لانه مجاهد فى سبيل الله تعالى وليس لطلب سمعة وذكر وإنما لتكون كلمة الله هى العليا .

لذلك كان رسول الله ﷺ يختاره ليكون صاحب اللواء فى أكثر المشاهد وفى شتى المعارك . فكانت راية المهاجرين تكون معه فى أحيان كثيرة . وكانت تؤهله لذلك قدراته البطولية . وقدرته القتالية .

لقد شهد علىّ المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا غزوة تبوك . فقد استخلفه النبى ﷺ على المدينة المنورة .

(أ) غزوة بدر الكبرى :

ففى غزوة بدر دفع إليه النبى ﷺ راية المهاجرين . وكان معلما بصوفة بيضاء . ولما دفع النبى ﷺ بجماعة الاستطلاع لتستطلع له قوات العدو قبل بداية المعركة . فكانت الجماعة مكونة من ثلاثة نفر هم :

حمزة بن عبد المطلب وسعد بن أبى وقاص . وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم . ولما التقى الجيشان . وقبل أن يبدأ القتال . طلب قوات قريش المبارزة وأخرجت لهم : عتبة بن ربيعة وأخوه : شيبة بن ربيعة . وابنه : الوليد بن عتبة .

فأخرج لهم النبى ﷺ ثلاثة فتيان من الأنصار . فردتهم قريش وطلبوا من النبى ﷺ أن يخرج لهم أكفاءهم من قريش . فقال رسول الله ﷺ : (قم يا عبيدة ابن الحارث . وقم يا حمزة . وقم يا على) .

فهب الثلاثة استجابة لنداء النبى ﷺ . وبارز عبيدة – أسنّ القوم – عتبة ابن ربيعة . وبارز حمزة . شيبة . وبارز على الوليد بن عتبة .

أما حمزةُ فقد قتل شيبةَ. وقتل عليٌّ. الوليدَ. أما عبيدة وعتبة فقد جرح كل منهما الآخر بضربة من كل منهما. فحمل حمزة وعليّ بسيفيهما على عتبة. فقتلاه. واحتملا عبيدة رضى الله عنه إلى معسكر المسلمين فمات شهيدا قبل غروب الشمس فكان أول شهيد فى بدر ونزل فى هؤلاء الستة قول الله تعالى: ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ [الحج: ١٩] فكان على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول: (أنا أول من يجثو بين يدى الرحمن للخصومة يوم القيامة).

ولما بدأ القتال وأخذت سيوف المسلمين تعمل فى رقاب المشركين. كان عليّ يقاتل فى الميسرة. وأبو بكر فى الميمنة. وجاءتهما البشرى من النبى ﷺ فقال لهما: (مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل) ولما نزلت الملائكة ببدر كان جبريل فى خمسمائة فى الميمنة. وميكائيل فى خمسمائة من الملائكة فى الميسرة.

وقد أنتهت المعركة بنصر المسلمين وسقط منهم أربعة عشر شهيدا. وقتل من المشركين سبعون وأسر سبعون ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

(ب) غزوة أُحُد:

لقد حشدت قريش قوتها لتأخذ بثأر قتلاها فى بدر. وجاءت إلى المدينة فى ثلاثة آلاف مقاتل بعدتهم وعتادهم. وخرج إليهم المسلمون فى ألف مجاهد. انخذل منهم ثلاثمائة وعادوا إلى منازلهم بقيادة عبد الله بن أبى بن سلول زعيم المنافقين. وقالوا للمجاهدين (لو نعلم قتالا لاتبعناكم) واتجه المسلمون إلى أرض المعركة فى سبعمائة مقاتل. وكان لواؤهم مع الصحابى مصعب بن عمير رضى الله عنه. والتقى الجمعان فى أحد. وقاتل المسلمون فى صلابة وبأس حتى سقط مصعب شهيدا سعيدا رضى الله عنه. فدفع النبى ﷺ اللواء إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه. فأخذه بإحدى يديه وبالأخرى سيفه البتار. واحتدم القتال. وتصاول الأبطال وبرقت السيوف. وصاح عليّ بأعلى صوته فقال: (أنا

أبو القُصَم) – أى الذى يحطم كل ما يلقاه – فناداه سعد بن أبى طلحة صاحب لواء المشركين هل لك يا أبا القصم فى البراز من حاجة؟ فصاح به علىّ فى قوة وشجاعة : نعم . فبرزا بين الصفين . فاختلفا ضربتين . فضربة علىّ فصرعه ثم انصرف عنه ولم يجهز عليه فقال له بعض أصحابه : أفلا أجهزت عليه؟ فقال : (إنه استقبلنى بعورته فعطفتنى عليه الرحم . وعرفت أن الله عز وجل قد قتله) .

فهذه هى مروءة الإمام التى كان دائما يتحلى بها . إن مبارزه وقع مجندلا ولا أمل له فى الحياة وقد استقبله بعورته . فكان من المروءة تركه .

وتحقق النصر للمسلمين . فلما رأى الرماة ذلك تركوا أماكنهم ونزلوا من على الجبل يجمعون الغنائم مخالفين بذلك أمر رسول الله ﷺ لهم بعدم تركهم لأماكنهم حتى يأذن لهم فاستغل هذا الموقف خالد بن الوليد وصعد بفرقته الجبل ولما رأى ذلك جيش قريش عادوا وأوقعوا بالمسلمين هزيمة منكرة . وفر نفر كثير من المسلمين من ميدان المعركة وصمد علىّ رضى الله عنه ومن معه يدافعون عن رسول الله ﷺ يحمونه فى بسالة نادرة . وأصيب على فى هذا اليوم بست عشرة ضربة برحت جسمه فما ألقى لها بالا . لأن المهم هو حماية الرسول ﷺ وأمام هذا الصمود العنيد عاد المسلمون الذين فروا للقتال مرة أخرى حتى كادت الهزيمة تلحق بالمشركين ففروا هاربين وتابعهم علىّ حتى لحق بهم فى حمراء الأسد وهزمهم ففروا هاربين إلى مكة المكرمة .

وفى هذه المعركة استشهد سبعون مجاهدا وكان على رأسهم مصعب بن عمير وحمزة بن عبد المطلب رضى الله عنهم جميعا .

وعاد علىّ إلى بيته وسيفه مخضب بالدماء فناوله للزهراء وقال لها : (اغسلى عنه دمه . فوالله لقد صدقنى اليوم) ثم أنشد قائلا :

أفاطم هاك السيف غير ذميم   فلست برعديد ولا بلئيم
لعمرى لقد أبليت فى نصر أحمد   ومرضاة رب بالعباد عليم

وهناك نزل قول الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]

فلما سمعها عليّ رضى الله عنه قال: (والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله والله لئن مات أو قتل. لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت).

وصدق عليّ وبر بوعده هذا، حتى لقى ربه راضيا مرضيا رحمة الله عليه.

(جـ) يوم الخندق:

جاء الأحزاب بَجْمعهم وعتادهم إلى المدينة المنورة يحادون الله تعالى ورسوله ﷺ. وحفر المسلمون خندقا حول مدينتهم أخذا بمشورة الصحابى الجليل سلمان الفارسى رضى الله عنه. ولم يكن هذا الأمر معروفا عند العرب. واشترك النبى ﷺ مع أصحابه فى الحفر. وتواجه الجمعان يفصل بينهما الخندق الذى استطاع كوكبة من المشركين أن يخترقوه من مكان ضيق. وقام فارس الجزيرة العربية عمرو بن عبد ودّ العامرى – الذى كانت العرب تقومه بألف رجل عند أصحابه وعند أعدائه – وهو مقنع بالحديد. عليه علامة يعرف بها ليرى مكانه. ووقف هو وخيله ونادى: من يبارز؟ فقام على بن أبى طالب فقال: أنا لها يا نبى الله. فقال (إنه عمرو. اجلس) ثم نادى عمرو: ألا رجل يبرز؟ فجعل يؤنبهم ويقول: أين جنتكم التى تزعمون أن من قتل منكم دخلها. أفلا تبرزون إلىّ رجلا؟ فقام على فقال: أنا يا رسول الله فقال: «اجلس»

ثم نادى الثالثة فقال:

ولقد بححت من النداء ... ء لجمعهم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن المشـ ... ـجع موقف القرن المناجز
ولذاك إنى لم أنزل ... متسرعا قبل الهزاهز
إن الشجاعة فى الفتى ... والجود من خير الغرائز

فقام على رضى الله عنه. فقال: يا رسول الله: أنا. فقال: (إنه عمرو) فقال: وإن كان عمراً

فاذن له رسول الله ﷺ. ويروى أنه عممه بعمامته ودعا له. فمشى إليه علىّ وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك	مجيب صوتك غير عاجز
فى نية وبصيرة	والصدق منجى كل فائز
إنى لأرجو أن أقيـ	ـم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبـ	ـقى ذكرها عند الهزاهز

فقال له عمرو: من أنت؟

قال: أنا على

قال: ابن عبد مناف؟

قال: على بن أبى طالب.

فقال: يا ابن أخى. من أعمامك من هو أسن منك. فإنى أكره أن أهريق دمك.

فقال على: ولكنى والله لا أكره أن أهريق دمك.

فغضب عمرو. ونزل. وسل سيفه كأنه شعلة نار. ثم أقبل نحو علىّ مغضبا واستقبله على بدر قته – ترس من جلد – فضربه عمرو فى درقته فشقها وأثبت فيها السيف، وأصاب رأسه فشجه. وضربه عَلىّ. عَلَى حبل عاتقه. فسقط وثار العجاج – التراب – وسمع رسول الله ﷺ التكبير. فعرف المسلمون أن عليا. قتله وسقط عمرو بن عبد ودّ صريعا. وهو الرجل الذى كان يحسب له أصدقاؤه وأعداؤه ألف حساب. أهلكه الله تعالى بسيف المجاهد التقى: على بن أبى طالب رضى الله عنه ولكن ابن تيمية فى معرض انتقاده لعلى بن أبى طالب فى كتابه (منهاج السنة) يقلل من شأن عمرو ويقول إنه لم يكن إلا رجلا سكيرا ولم يكن

بهذه القدرة والشجاعة التى يصفونه بها. وابن تيمية فى هذا القول واهم. وأسأله:

ما معنى أن لا يأذن النبى ﷺ لعلىّ بالخروج إليه مرتين ويقول له (إنه عمرو، إجلس) ثم أذن له فى الثالثة عندما رآه مصرا على قتاله لعمرو.

أليس فى قول رسول الله ﷺ دلالة على معرفته. كسائر العرب. بقوة وشجاعة عمرو بن عبد ود. ولكن ماذا نقول لابن تيمية وهو ينتقد عليا ويقلل من شأنه؟

فلا أدرى ماذا أقول له. والله يقول الحق وهو يهدى السبيل، وعاد علىّ رضى الله عنه بعد قتله لعمرو وهو ينشد:

نصر الحجارة من سفاهة رأسه	ونصرت رب محمد بصوابى
فصدرت حيث تركته متجدلا	كالجذع بين دكادك وروابى
وعففت عن أثوابه ولو أننى	كنت المقطر بزّنى أثوابى
لا تحسبن الله خاذل دينه	ونبيه يا معشر الأحزاب

ثم أقبل نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلل. فقال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه: هلاّ استلبته درعه. فإنه ليس للعرب درع خير منها؟

فقال: ضربته فاتقانى بسوأته. فاستحييت ابن عمى أن أسلبه، رضى الله عنك يا ابن عم رسول الله ﷺ وجزاك خيرا ومتعك بالنظر إلى وجهه الكريم وأما القتال فقد كفى المؤمنين شره. وأرسل ريحا عاصفة طردت قريشا(١).

---

(١) ونادى فيهم طلحة بن خويلد: إن محمدا قد بدأكم بشر. فالنجاة النجاة. ونادى أبو سفيان بالرحيل. وكان مما قاله: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام. لقد هلك الكراع والخف. ولقينا من شدة الريح ما ترون ما تطمئن لنا قدر. ولا تقوم لنا نار. ولا يستمسك لنا بناءِ فارتحلوا فإنى مرتحل. حياة محمد - هيكل: ٣٢٧ - ٣٢٨ ونزل قول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا** ﴾ [الأحزاب: ٨]

(د) بيعة الرضوان :

لقد بلغ المسلمين أن عثمان بن عفان رضى الله عنه قد قتلته قريش، فسارع المسلمون بمبايعة النبى ﷺ على الموت لتأديب قريش. وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه من أول المبايعين. وقد سميت هذه البيعة : (بيعة الرضوان) .

وبذلك نال المبايعون رضوان الله تعالى. قال الله تعالى : ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا * وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** ﴾

[الفتح : ١٨، ١٩]

(هـ) غزوة خيبر :

فى أول السنة السابعة من الهجرة الشريفة. تحرك الجيش الإسلامى إلى خيبر. وكان سيدنا علىّ قد تخلف عن النبى ﷺ . لرمد أصاب عينيه. ولكن عليا رضى الله عنه خاف أن يفوته شرف مشاركة الجيش الإسلامى وأن يحرم من الجهاد فى سبيل الله عز وجل. فقال فى نفسه متسائلا : (أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ ؟) وخرج مسرعا حتى لحق برسول الله ﷺ .

ولما علم اليهود بقدوم المسلمين بجيشهم. تحصنوا بآطامهم. فهاجمهم المسلمون فى حصونهم المنيعة. وأبطأ على المسلمين الفتح. وكانت البشارة من المصطفى ﷺ فقد روى الشيخان عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه) .

قال : فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ . كلهم يرجو أن يعطاها.

فقال : أين على بن أبى طالب؟

قالوا : يشتكى عينيه يا رسول الله.

قال : فأرسلوا إليه. فلما جاء بصق فى عينيه. ودعا له. فبرئ حتى كان. كأن لم يكن به وجع وأعطاه الراية.

فقال على : يا رسول الله . أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟

قال : (ابتدئ على رسلك حتى تنزل بساحتهم . ثم ادعهم إلى الإسلام . وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه . فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم) وأخرجا من رواية سلمة بن الأكوع : (ليأخذن الراية غدا رجل يحبه الله ورسوله أو قال : يحب الله ورسوله يفتح الله عليه) .

وفى رواية لمسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه (لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله عليه) .

وفى رواية لأبى حاتم عن أبى هريرة : (لأدفعن الراية اليوم إلى رجل يحبه الله ورسوله) وأخذ علىّ الراية بيمينه . ورفعها عاليا . ومضى إلى وجهته مهرولا . والصحابة من خلفه ثم ركز الراية فى كوم من الحجارة تحت الحصن . فاطلع إليه يهودى من رأس الحصن فقال : من أنت؟ قال : أنا على بن أبى طالب . فقال اليهودى : علوتم . وما أنزل على موسى!! ورفع على رضى الله عنه باب الحصن وحمله – وهو الذى لم يستطع الجمع على حمله . ولم يحمله إلا أربعون رجلا – وصعد المسلمون عليه . فخرج اليهود من حصنهم واقتتلوا مع المسلمين قتالا عنيفا وشرسا .

وكانت لعلى رضى الله عنه مواقف فى خيبر صال فيها وجال وكان من أهمها وأعظمها أنه قتل يهوديا اسمه (مَرْحبا) فارس يهود وأحد شجعانهم وأشدهم بأسا . لقد برز مرحب اليهودى من حصن خيبر . وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر أنى مرحب   شاكى السلاح بطل مجرب

إذا الحرب أقبلت تَلهَبُ

فقام إليه على رضى الله عنه يزأر زئير الأسد ، وأجابه بصوت تنخلع له قلوب الصناديد وتسقط الأجنة من بطن الحوامل . فقال :

أنا الذى سمتنى أمى حيدرة كليث غابات كريه المنظرة
أوفيهمُ بالصاع كيل السندرة[١]

وهجم عليّ رضى الله عنه على (مرحب) هجوم الأسد الكاسر. فضرب رأسه فقتله شر قتلة وانتهت غزوة خيبر بنصر الله عز وجل لأوليائه فهتفوا من أعماق قلوبهم (الله أكبر خربت خيبر) وصدقت نبوة النبى ﷺ: (لأعطين هذه الراية رجلا يفتح الله عليه).

لقد كان على رضى الله عنه. شجاعا فى غير تهور. عادلا فى غير ظلم ولا تعدى. كان يتسم فعله وقوله بالعدل والحكمة والشجاعة والمروءة. والأناة والسداد. فكان محل إعجاب الصديق والعدو. ولا عجب. فهو رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. فكيف به لا يكون ميزانا من موازين العدل والرحمة؟.

إنه رجل المهمات الصعبة. والمواقف المحرجة. والأمور الشديدة. وكان - دائما - عند حسن الظن به رضى الله عنه.

(و) فتح مكة المكرمة:

مكة المكرمة بلد الله الحرام. والكعبة قبلة المسلمين لها حرمتها وتعظيمها. وقد أتى النبى ﷺ بالجيش الإسلامى إليها يريد فتحها ليضمها إلى المدن الإسلامية العظيمة وهو لا يريد أن تراق فيها نقطة دم واحدة.

وكان سعد بن عبادة رضى الله عنه يحمل راية الأنصار. فلما وقعت عينه على مكة تذكر عدوان قريش المتكرر على المسلمين. فقال: (اليوم. يوم الملحمة. اليوم تستحل الحرمة) يعنى حرمة الكعبة. وفزع الصحابى الجليل: عمر ابن الخطاب رضى الله عنه لما سمع قول سعد وأسرع إلى النبى ﷺ وقال: يا رسول الله. أتسمع ما يقول سعد بن عبادة؟ ما نأمن أن يكون له فى قريش صولة.

(١) حيدرة: اسم للأسد. والسندرة: مكيال واسع والمعنى: اقتل أعداء الله قتلا واسعا ذريعا.

فنادى النبي ﷺ عليا . وقال له : (أدركه فخذ الراية منه . فكن أنت الذى تدخل بها) .

لقد أخذ عليّ رضى الله عنه راية الأنصار تنفيذا لأمر النبى ﷺ الذى يعلم مدى حكمة وشجاعة عليّ . فكان هو الأجدر يحمل الراية .

ولما تم لرسول الله ﷺ فتح مكة المكرمة بعث سراياه لتدعوا الناس حول مكة وخارجها للدخول فى الإسلام .

فكان ممن بعث : خالد بن الوليد رضى الله عنه إلى بنى جَذِيمة . فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا : أسلمنا . بل قالوا : (صبأنا – صبأنا) فلم يفهم خالد أنهم أرادوا بذلك أنهم أسلموا . فقتل منهم طائفة وأسر بقيتهم .

ولما بلغ الخبر لرسول الله ﷺ رفع يديه وقال : (اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد) ونادى عليا رضى الله عنه وقال : (يا على أخرج إلى هؤلاء القوم فانظر فى أمورهم . واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك) .

وجاءهم على بن أبى طالب . ومعه مال بعث به الرسول ﷺ إليهم فودى لهم الدماء – أى دفع دية قتلاهم – وما أصيب لهم من أموال حتى أنه ليدى وليغة الكلب – إناء يشرب منه – حتى إذا لم يبق شئ من دية ولا تعويض عن أموالهم . وبقيت معه بقية مال . فقال لهم : هل بقى لكم بقية من دم أو مال لم يؤدَلكم؟ قالوا : لا .

قال : فإنى أعطيكم هذه البقية من هذا المال . احتياطا لرسول الله ﷺ مما يعلم ولا تعلمون . ففعل . ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر فقال النبي ﷺ : (أصبت . وأحسنت) .

وهكذا استطاع عليّ رضى الله عنه أن يعالج ويصلح آثار هذا الخطأ الكبير الذى وقع فيه خالد رضى الله عنه . بكل كفاءة واقتدار . فكان رضى الله عنه دائما

محل ثقة رسول الله ﷺ والمسلمين. وبذلك أعطى الصورة الحسنة لعظمة الإسلام ونبى الإسلام وهو ما يدل على حكمته وسعة فهمه فى معالجة الأمور الصعبة. رضى الله عنه.

(ز) غزوة حنين:

قال الله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ** ﴾ [التوبة: ٢٥، ٢٦].

خرج رسول الله ﷺ بعشرة آلاف مقاتل. فقال بعضهم: لن نغلب اليوم من قلة فزلزل الله الأرض من تحت أقدامهم وانكشف المسلمون لأول وهلة. ولم يثبت منهم مع رسول الله ﷺ إلا قلة قليلة. كان منهم. على بن أبى طالب رضى الله عنه الذى ثبت بجوار النبى ﷺ مدافعا عنه مع رفاقه.

ولمح علىّ رجلا من هوازن على جمل له أحمر. قد حمل راية سوداء فى رأس رمح طويل يتقدم قومه. فهوى إليه علىّ وضرب عرقوبىّ جمله. فوقع على عجزه. وانقض عليه رجل من الأنصار فقطع ساقه. وسقطت رايتهم. واجتلد الناس. وما هى إلا بعض ساعة حتى رجع المسلمون الفارين إلى نبيهم ﷺ فوجدوا الأسيرين مقيدين عنده وفيهم أنزل الله قرآنا يعتب عليهم ظنهم بأنفسهم حتى نسوا أن النصر من عند الله تعالى فكانت هذه الزلزلة ليثوبوا إلى رشدهم. وأعلن لهم أن لن يترك أحبابهم المتوكلين عليه ﴿ **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٢٣]

فشتان بين موقفهم هنا وموقفهم فى بدر رضى الله عنهم أجمعين.

(ح) غزوة تبوك :

تجهز جيش العسرة بنفقة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه وفرح على رضى الله عنه ولكنه فوجئ بالنبى ﷺ وهو يستخلفه على المدينة المنورة . فقال بأدب جم متوسلا : يا رسول الله أتخلفنى فى الصبيان والنساء؟

ويجيبه الرسول ﷺ ببشرى عظيمة : (ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟ إلا إنه لا نبى بعدى)

ويستجيب الإمام على لأمر رسول الله ﷺ . ولكن المنافقين أرجفوا به وقالوا : (ما خلفه إلا استثقالا له . وتخففا منه) .

ولما سمع ذلك على رضى الله عنه أخذ سلاحه ولحق برسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف . فقال : يا نبى الله : زعم المنافقون أنك إنما خلفتنى أنك استثقلتنى وتخففت منى .

فقال ﷺ (كذبوا . ولكننى خلفتك لما تركت ورائى . فارجع فاخلفنى فى أهلى وأهلك . أفلا ترضى يا على أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟ إلا إنه لا نبى بعدى) .

فرجع علىّ كرم الله وجهه وهو قرير العين . مستريح البال . بعدما نال هذه البشرى العظيمة والمكانة الرفيعة والمنزلة العليا . ومن مثله يحظى بذلك؟ رضى الله عنه .

(ط) الأمير الشجاع :

لقد أرسله النبى ﷺ اميرا على بعض السرايا ثقة منه فيه، بلغ النبى ﷺ أن بنى سعد بن بكر قد عزموا على أن يمدوا يهود خيبر ضد المسلمين . فبعث إليهم عليًا فى مائة رجل . فسارع إليهم بفدك . يسير الليل ويكمن النهار . وبينما هو فى بعض الطريق إذ وجد عينا لهم يتجسس لجيشهم . فأخذه علىّ وطلب منه أن يدلهم على القوم وأمنه . ففعل . فلما بلغ المسلمون منازلهم . اغاروا عليهم .

فتفرق هؤلاء الأعراب فى البادية وهربوا. وغنم المسلمون خمسمائة بعير وألفى شاة. وعادوا إلى النبى ﷺ سالمين غانمين بعد ما هزموا هؤلاء المتآمرين وأبطلوا كيدهم والله غالب على أمره.

وفى شهر ربيع الأول من سنة تسع وجه رسول الله ﷺ سرية بقيادة علىّ رضى الله عنه. وأمره بهدم (الفُلس) – صنم لطئ – وأرسل معه مائة وخمسين مجاهدا. وأعطى عليا الراية. فلبى أمر النبى ﷺ وسار بمن معه من الرجال. وأغاروا على أحياء من العرب وأخضعوهم للحق. وشنوا الغارة على محلة آل حاتم الطائى. وهدموا (الفُلس) وخربوه. وجمعوا الغنائم والسبى. وكان من السبايا – سفّانة بنت حاتم الطائى – أخت عدى بن حاتم. فلما قدموا المدينة مر النبى ﷺ بسفّانة. فكلمته أن يمن عليها. وذكرت أنها بنت حاتم الطائى – ففعل ﷺ وقال لها: لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه.

ولما فكها الرسول ﷺ من الأسر ذهبت إلى أخيها عدى بن حاتم الطائى وأشارت عليه بالقدوم على رسول الله ﷺ. فقدم وأسلم وكانت هى قد سبقته بإسلامها لما فكها رسول الله ﷺ من الأسر رضى الله عنهما وهكذا قام الإمام على بكل ما كلف به راضيا محتسبا نصرة لدين الله عز وجل ودفاعا عن رسول الله ﷺ ونشرا للدعوة رضى الله عنه.

(ى) موقف لعلى فى صلح الحديبية:

فى السنة السادسة للهجرة خرج رسول الله ﷺ فى ألف وستمائة تقريبا من أصحابه يريد مكة لأداء شعائر العمرة.

ولما علمت قريش بقدومه أرسلت من يتحدث مع النبى ﷺ مفاوضا نيابة عنهم. ليعود الرسول ﷺ ومن معه من طريقهم هذا العام على أن يحضروا فى العام المقبل معتمرين. وكان مندوبا عن أهل مكة: سهيل بن عمرو. الذى اتفق مع النبى ﷺ على كتابة معاهدة الصلح بشروطها.

وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه هو كاتب المعاهدة فكتب فى

أعلاها. بسم الله الرحمن الرحيم. فقال سهيل: ما نعرف الرحمن الرحيم مره أن يكتب باسمك اللهم فأمره النبي ﷺ بذلك. ففعل عليّ رضى الله عنه.

ثم كتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله. سهيل بن عمرو مندوب أهل مكة.

فقال سهيل: يا محمد مره أن يشطبها لأننا لو عرفنا أنك رسول الله لاتبعناك.

فقال: اشطبها يا على.

قال: والله لا أشطبها يا رسول الله بعدما أنزلها الله تعالى فى قرآنه.

فطلب النبى ﷺ من على أن يشير له عليها. ففعل. وشطب النبى ﷺ كلمة (رسول الله).

إن هذا الموقف الثابت من عليّ رضى الله عنه لم يكن مخالفا لأمر رسول الله ﷺ. وإنما هو الأدب مع رسول الله ﷺ. فقد رأى على أن الأدب معه مقدم على الأمر – اللهم ارزقنا حسن الأدب مع الله عز وجل ومع النبى المصطفى ﷺ.

إنه موقف رائع من عليّ. وأدب إيمانى رفيع من رجل يعرف مقام النبوة. وعظمة النبى ﷺ.

(ك) إبلاغ البراءة للمشركين:

فى موسم الحج سنة تسع من الهجرة أمّر النبى ﷺ أبا بكر رضى الله عنه أميرا على الحج. ليقيم للمسلمين حجهم. وأمره أن يؤذن فى الناس أن: «لا يحج بعد العام مشرك. ولا يطوفن بالبيت عريان» ثم أتبعه عليا رضى الله عنه ليكون مع الصديق. ويتولى على بنفسه إبلاغ البراءة إلى المشركين نيابة عن رسول الله ﷺ تنفيذا لأمره ﷺ «لا ينبغى لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلى».

وعلى رضى الله عنه هو ابن عمه ومن عصبته وزوج ابنته.

فبينا أبو بكر رضى الله عنه فى الطريق. إذ سمع رغاء ناقة رسول الله ﷺ

القَصْواء فقام أبو بكر رضى الله عنه فزعا . يظن أنه رسول الله ﷺ . فإذا هو : عليّ فدفع إلى أبى بكر كتاب رسول الله ﷺ . يأمر فيه عليا أن ينادى بهذه الكلمات فانطلق أبو بكر وعلى فحجا . وقام على فى أيام التشريق . ينادى : (ذمة الله ورسوله بريئة من كل مشرك . فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر . ولا يحجن بعد العام مشرك . ولا يطوفن بالبيت عريان . ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة) .

فكان عليّ ينادى بهذه الكلمات . فإذا عَيَى . قام أبو بكر فنادى بها رضى الله عنهما .

(ل) فى اليمن :

بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد رضى الله عنه – قبل حجة الوداع – إلى أهل اليمن . يدعوهم إلى الإسلام . فأقام خالد ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام . فلم يجيبوه فبعث النبى ﷺ عليا إلى اليمن ليخلف خالد بن الوليد . وقال له : (مر أصحاب خالد . من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب . ومن شاء فليُقْبِل) .

استجاب عليّ رضى الله عنه لأمر رسول الله ﷺ . وخرج مجاهداً لإبلاغ الدعوة . وتقدم بأصحابه وصلى بهم . ثم صفهم صفا واحدا . ودعا القوم إلى الإسلام وقرأ عليهم كتاب النبى ﷺ . فأسلمت همدان جميعا . فكتب إلى النبى ﷺ يبشره بإسلام همدان .

فلما قرأ رسول الله ﷺ كتاب عليّ رضى الله عنه خر ساجدا . ثم رفع رأسه فقال : (السلام على همدان . السلام على همدان) .

واجْـهـد الصحابة رضى الله عنهم فى ذلك الغزو . وكلت رواحلهم . فالتمسوا من قائدهم على بن أبى طالب كرم الله وجهه أن يأذن لهم بركوب إبل الصدقة . فأبى عليّ رضى الله عنه روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه – هذا الموقف – فقال : (بعث رسول الله ﷺ على بن أبى طالب إلى اليمن . فكنت فيمن خرج معه فلما أخذ من إبل الصدقة . سألناه أن نركب منها ونريح إبلنا – وكنا قد رأينا فى إبلنا خللا – فأبى علينا . وقال : إنما لكم فيها سهم كما

للمسلمين. فلما فرغ على وانطلق من اليمن راجعا. أمّر علينا إنسانا. وأسرع هو وأدرك الحج. فلما قضى حجته. قال له النبى ﷺ : «ارجع إلى أصحابك حتى تقدم عليهم».

قال أبو سعيد : وقد كنا سألنا الذى استخلفه ما كان علىّ منعنا إياه. ففعل فلما عرف - أى على - فى إبل الصدقة أنها قد ركبت. ورأى أثر الركب. قدم الذى أمّره ولامه فقلت : أما إن لله علىَّ لئن قدمت المدينة لأذكرن لرسول الله ﷺ ولأخبرته ما لقينا من الغلظة والتضييق.

فلما قدمنا المدينة غدوت إلى رسول الله ﷺ. أريد أن أفعل ما كنت جلفت عليه فلقيت أبا بكر خارجا من عند رسول الله ﷺ. فلما رآنى وقف معى. ورحب بى وساءلنى وساءلته. وقال : متى قدمت؟ فقلت : قدمت البارحة. فرجع معى إلى رسول الله ﷺ فدخل وقال : هذا سعد بن مالك ابن الشهيد.

فقال : (ائذن له) فدخلت. فحييت رسول الله ﷺ وحيّانى. وأقبل على وسألنى عن نفسى وأهلى. وأحفى المسألة. فقلت : يا رسول الله . ما لقينا من عَلِىّ من الغلظة وسوء الصحبة والتصنييق. فاتئد رسول الله ﷺ وجعلت أنا أعدد ما لقينا منه. حتى إذا كنت فى وسط كلامى ضرب رسول الله ﷺ على فخذى - وكنت منه قريبا - وقال : «يا سعد بن مالك ابن الشهيد. مَهْ بعض قولك لأخيك علىّ. فوالله لقد علمت أنه أخَيْشن فى سبيل الله».

قال أبو سعيد : فقلت فى نفسى. ثكلتك أمك سعد بن مالك. ألا أرانى كنت فيما يكره منذ اليوم ولا أدرى؟ لاجرم - والله - لا أذكره بسوء أبدا سرا ولا علانية [1] رحم الله أبا سعيد. لقد شعر بخطئه فيما قال. فعزم على أن لا يذكر عليا إلا بكل ما هو خير

(م) يوم وفاة النبى ﷺ :

كان يوم انتقال الحبيب المصطفى ﷺ إلى الرفيق الأعلى شديدا على كل

---

(١) ذكره صاحب كتاب. الخلفاء الراشدون ص ٤٧٣، ٤٧٤.

المسلمين وخاصة على بن أبى طالب كرم الله وجهه. وقد أصيب علىّ كغيره من الصحابة بذهول شديد وكرب عظيم. وكان علىّ آخر الناس عهدا برسول الله ﷺ. روى المحب الطبرى [1] عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ لما حضرته الوفاة: (ادعوا لى حبيبى) فدعوا له أبا بكر فنظر إليه ثم وضع رأسه ثم قال: (ادعوا لى حبيبى) فدعوا له عمر فلما نظر إليه وضع رأسه. ثم قال: (ادعوا لى حبيبى) فدعوا له عليا. فلما رآه أدخله معه فى الثوب الذى كان عليه. فلم يزل يحتضنه حتى قبض ويده عليه. [أخرجه الرازى].

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت: والذى أحلف به أن كان علىٌّ لأقرب الناس عهدا برسول الله ﷺ قالت: عدنا رسول الله ﷺ غداة بعد غداة يقول: جاء على؟ مرارا وأظنه كان بعثه لحاجة. فجاء بعد. فظننت أن له حاجة. فخرجنا من البيت. فقعدنا عند الباب. فكنت من أدناهم إلى الباب. فأكب عليه علىّ فجعل يسَارّه ويناجيه. ثم قبض من يومه ذلك ﷺ فكان من أقرب الناس به عهدا [أخرجه أحمد] وروى أيضا قال: قال ابن اسحاق: لما غسل النبى ﷺ علىٌّ أسنده إلى صدره وعليه قميصه يدلكه به من ورائه. ولا يفضى بيده إلى رسول الله ﷺ ويقول: بأبى وأمى ما أطيبك حيا وميتا. ولم ير من رسول الله ﷺ شيئا يرى من الميت. وكان العباس والفضل وقثم – ابنا العباس بن عبد المطلب – يساعدون عليا فى تقليب النبى ﷺ. وكان أسامة بن زيد وشقران – مولى رسول الله ﷺ – يصبان الماء عليه. أ. هـ لك الله يا على. لقد شاهدت هذا المشهد الرهيب ولا أدرى كيف مرت بك هذه الساعات الحزينة على فراق الحبيب ﷺ؟

لقد كنت عظيما مثل ما كنت فى كل أحوالك السابقة. إنها شجاعة المؤمن وتسليم وتفويض التقى. ورضا الولى. وصبر السالكين العارفين. ويقين الخاشعين ومعرفة الواصلين. رضي الله عنك وعن العباس والفضل وقثم وأسامة وشقران وصلى اللهم ربنا وسلم على الحبيب المصطفى والرسول المجتبى صلاة وسلاما يدومان بدوام ملك الله تعالى وصلاة وسلاما ترضيك يارب وترضى نبيك عنا وعوضنا بفقده حنانه وشفاعته ﷺ.

---

(1) الرياض النضرة: ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩.

إمام المتقين ورائد السالكين

قال الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه: «إياك واهل لا إله إلا الله. فإن لهم من الله الولاية العامة. وإن جاءوا بقيراط خطايا. أتاهم الله بمثلها مغفرة».

روى الحسن البصرى رضى الله عنه قال: كنت جالسا بالبصرة – وأنا حينئذ غلام – أتطهر للصلاة. إذا مر بى رجل راكب بغلة شهباء معتم بعمامة سوداء. فقال لى: «يا حسن: أحسن وضوءك يحسن الله إليك فى الدنيا والآخرة. يا حسن: أما علمت أن الصلاة مكيال وميزان؟».

فرفعت رأسى فتأملت فإذا هو أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى الله عنه. فأسرعت فى طهورى. وجعلت أقفو أثره. إذ حانت منه التفاتة. فقال لى: «يا غلام ألك حاجة؟».

قلت: نعم يا أمير المؤمنين. تفيدنى كلاما ينفعنى فى الدنيا والآخرة.

قال: «يا غلام: إنه من صدق الله نجا. ومن أشفق من ذنبه أمن الردى. ومن زهد فى هذه الدنيا. قرت عيناه بما يرى من ثواب الله غدا».

ثم قال: يا غلام: ألا أزيدك؟

قلت: بلى يا أمير المؤمنين.

قال: «إن سرك أن تلقى الله غدا وهو عنك راض. فكن فى هذه الدنيا زاهدا وفى الآخرة راغبا. وعليك بالصدق فى جميع أمورك تنج مع الناجين غدا.

يا غلام: إن تضع هذا الكلام نصب عينيك. ينفعك الله به».

ثم أطلق عنان البغلة من يده. فجعلت أقفو أثره. إذ دخل سوقا من أسواق البصرة فسمعته يقول: «يا أهل البصرة. يا أهل تدمر: يا عبيد الدنيا وعمال أهلها. إذا كنتم بالنهار تخدمون الدنيا. وفى الليل تنامون. وفى خلال ذلك عن الآخرة تغفلون فمتى تحرزون الزاد. وتفكرون فى المعاد؟».

فقام إليه رجل من السوق . فقال : يا أمير المؤمنين : إنه لابد من طلب المعاش فكيف نصنع؟ فقال : « أيها الرجل إن طلب المعاش من وجهه الحلال . لا يشغلك عن الآخرة . فإن قلت : لابد لنا من الاحتكار لم تكن معذورا » .

فتولى الرجل وهو يبكى . فقال أمير المؤمنين : أقبل على ياذا الرجل أزدك تبيانا إنه لابد لكل عامل من أن يوفى يوم القيامة أجر عمله . فمن كان عمله للدنيا وحدها فأجره النار » .

ثم خرج من السوق . والناس فى رنة بكاء . إذ مر بواعظ يعظ الناس . فلما أبصر أمير المؤمنين . سكت ولم يتكلم بشئ .

فقال كرم الله وجهه « فكم وإلى كم توعظون فلا تتعظون . قد وعظكم وزجركم الزاجرون . وحذركم المحذرون . وبلغكم المبلغون . ودلت الرسل على سبيل النجاة . وقامت الحجة . وظهرت المحجة . وقرب الأمر والأمد . وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون . أيها الناس : إن لم يكن لله تعالى فى أرضه حجة ولا حكما أبلغ من كتابه ولا مدح الله أحدا منكم إلا من اعتصم بحبله . وإنما هلك من هلك عنده من خالفه واتبع هواه . واعلموا أن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر . والله . ما هو شئ قلته من تلقاء نفسى . ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول :

(ما من عبد جاهد نفسه فردها عن معصية الله . إلا باهى الله به كرام الملائكة ومن باهى به كرام الملائكة . فلن تمسه النار . فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) . انتهى كلام الحسن البصرى[1] رضى الله عنه .

وقال الإمام علىّ كرم الله وجهه : (أعلم الناس بالله . أشدهم تعظيما لحرمة : لا إله إلا الله) وروى السيد أحمد الرفاعى[2] رضى الله عنه قال : وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه . قال :

« إن الله تعالى يتجلى للذاكرين عند الذكر وتلاوة القرآن . ولا يرونه . لأنه

---

(١) على إمام المتقين : ١/ ٢٤٥ - ٢٤٦ . (٢) حالة أهل الحقيقة مع الله : ٨٧ .

أعز من أن يرى. وأظهر من أن يخفى. فتفردوا بالله سبحانه. واستأنسوا بذكره. وما نزلت بأحد نازلة. إلا وفى كتاب الله لها دليل. من الهدى والبيان » أ. هـ.

لقد كان الإمام على كرم الله وجهه فى إسلامه وعبادته نموذجا باهرا للإسلام فى أبهى صوره. وأرقى مثله. وكان فى عبادته قدوة ومثلا للآخرين من العابدين المتبتلين كما كان مثلا أعلى للسالكين طريق الهدى وطالبى المعرفة والولاية. فى صدق وعزم وصبر وإخلاص ومحبة وتواضع.

لقد كان رضى الله عنه: زاهد ورعا. وعابدا طائعا. وتقيا مستقيما. ومجاهدا باذلا النفس والنفيس حماية للعقيدة ودفاعا عن الرسول ﷺ ونشراً لدعوة الله كما كان متواضعا فى سيادة. وقويا فى رحمة. وعادلا منصفا. وعالما عاملا. ومنفقا مع قلة ذات اليد. ومسامحا فى عزة وكرامة. وكان بكلّيَته لله عز وجل لا يعرف النفاق ولا الحقد ولا الضغينة ولا الحسد ولا البغى ولا العدوان طريقا إلى قلبه. حسن التوكل على الله. مؤمن بقدر الله. مصدق بكتاب الله مؤمن برسول الله ﷺ ومحب له. جاءه رجل ينبئه بأن نفرا ائتمروا لقتله (يا أمير المؤمنين: إن نفرا من مراد يريدون قتلك فقال رضى الله عنه: (إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدّر عليه. فإذا جاء القدر جليّا بينه وبينه. إن الأجل جُنّة حصينة).

لقد كان عليّ رضى الله عنه رجلا قد تكاملت فى شخصيته مبادئ الدين فى شكلها وجوهرها حتى كان كما وصفه النبى ﷺ بأنه: (قد امتحن الله قلبه للإيمان).

لقد كان محافظا على صلاته فرضها ونوافلها فى الليل وفى النهار. ولم يضيع نافلة من النوافل. فكان يصلى قبل الظهر أربعا طوالا ويقول – عندما سئل عن ذلك – « رأيت رسول الله ﷺ يصليها ».

وكان يداوم على صلاة أربع قبل العصر إلى أن لقى ربه ويقول: « أوصانى

رسول الله ﷺ بثلاث لا أدعهن ما حييت: أن أصلى قبل العصر أربعا. فلست بتاركهن ما حييت».

وكان يقول أيضا: «رحم الله من صلى قبل العصر أربعا» كما كان يحرص على صلاة الضحى ويصليها فى المسجد.

ولم يترك ورده الذى علمه له رسول الله ﷺ. التسبيح والتحميد والتكبير مائة مرة. إذا أصبح وإذا أمسى ما تركهن فى حضر ولا فى سفر ولا فى صحة ولا فى مرض. ولا فى سلم ولا فى حرب يقول كرم الله وجهه:

«ما فاتتنى منذ سمعتها من رسول الله ﷺ إلا ليلة صِفّين. فإنى نسيتها. حتى ذكرتها من آخر الليل. فقلتها».

وكان متعهدا لكتاب الله حفظا وتلاوة وتجويدا وتفسيرا. وفهما وتدبرا. مصاحبا له فى حله وترحا له. يأنس بتلاوته ومتحليا بآدابه فملأ الله تعالى قلبه بأنوار القرآن يقول: (ما كنت أرى أحدا يعقل ينام حتى يقرأ الآيات الأواخر من سورة البقرة فإنهن من كنز تحت العرش).

نعم: روى فى الحديث أن النبى ﷺ قال: (من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليله. كفتاه).

لقد شكا علىّ رضى الله عنه إلى رسول الله ﷺ قائلا: (إنه ليتفلت منى) فعلمه دعاء دعابه الإمام ضارعا وراجيا فى خشية. فما لبث أن جاء إلى رسول الله ﷺ قائلا: يا رسول الله. إنى كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات أو نحوهن. وإذا قرأتهن على نفسى تفلتن. وأنا أتعلم اليوم أربعين آية أو نحوها وإذا قرأتها على نفسى. فكأنما كتاب الله بين عينى. ولقد كنت أسمع الحديث. فإذا ردّدْته. تفلّت. وأنا اليوم أسمع الأحاديث. فإذا تحدثت بها لم أُخْرِم منها حرفا» فقال له رسول الله ﷺ «مؤمن ورب الكعبة يا أبا الحسن» أ. هـ.

وكان على كرم الله وجهه: واسع الصدقة. عريض البذل. سخى العطاء.

يوقف المال في سبيل الله تعالى . ويجعله صدقة جارية . وكانت وقوفه تدر أربعين ألف دينار . ومع ذلك ما ترك لورثته عند وفاته إلا ستمائة درهم .

يقول عبد الله بن عباس رضى الله عنهما . في قول الله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً** ﴾ [البقرة : ٢٧٤] .

قال : (نزلت في على بن أبى طالب كان عنده أربعة دراهم . فأنفق بالليل واحدا . وبالنهار واحدا . وفي السر واحدا . وفي العلانية واحدا) .

وروى أيضا : جاءه سائل يوما يطلب إحسانا . فقال لابنه الحسن : (اذهب إلى أمك فقل لها تركت عندك ستة دراهم . فهات منها درهما . فذهب ثم رجع فقال : قالت : إنما تركت ستة دراهم للدقيق . فقال على : لا يصدق إيمان عبد حتى يكون بما في يد الله أوثق منه بما في يده . قل لها : ابعثى بالستة دراهم فبعثت بها إليه فدفعها إلى السائل .

ومر به رجل معه جمل يبيعه . فقال على : بكم الجمل؟ قال : بمائة وأربعين درهما فقال على : اعقله على أن نؤخرك بثمنه شيئا . فعقله الرجل . ومضى . ثم أقبل رجل فقال : لمن هذا البعير؟ فقال على : لى . فقال : أتبيعه؟ قال : نعم . قال : بكم؟ قال : بمائتى درهم . قال : قد ابتعته . فأخذ البعير وأعطاه المائتين . فأعطى الرجل الذى أراد أن يؤخره مائة وأربعين درهما . وجاء بستين درهما إلى فاطمة رضى الله عنها فقالت : ما هذا؟ قال : هذا ما وعدنا الله على لسان نبيه ﷺ : ﴿ **مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا** ﴾ [الأنعام : ١٦٠]

وقال الله تعالى : ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ...** ﴾ [الآيات من سورة الإنسان من ٨ – ٢٢] .

قال النسفى فى تفسيره : (٤ / ٣١٨) :

نزلت في على فاطمة وفضة جارية لهما لما مرض الحسن والحسين رضى الله

عنهما نذورا صوم ثلاثة أيام. فاستقرض على رضى الله عنه من يهودى ثلاثة أصوع من الشعير. فطحنت فاطمة رضى الله عنها كل يوم صاعا وخبزت. فآثروا بذلك ثلاث عشايا على أنفسهم. مسكينا ويتيما وأسيرا. ولم يذوقوا إلا الماء فى وقت الإفطار أ. هـ وقال على رضى الله عنه لأصحابه: (كونوا بقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل فإنه لن يقلّ عمل مع التقوى. وكيف يقل عمل بتقبل)؟

وكان كرم الله وجهه تقيا ورعا. ولذلك منع جنوده العائدين من اليمن أن يركبوا إبل الصدقة وقال لهم (إنما لكم فيها سهم كما للمسلمين).

وكان أيضا قنوعا. ورضى من الدنيا بالقليل. وأخذ منها ما يبلغه مقاصده وغاياته العليا كما كان غزير العبرة. حاضر العبرة. طويل الفكرة.

خرج يوما لزيارة أصحاب القبور ومعه: كميل بن زياد. فلما قربا من المقابر قال: (يا أهل القبور. يا أهل البلى. يا أهل الوحشة. ما الخبر عندكم؟)

فإن الخبر عندنا. قد قسمت الأموال. وأُيتمت الأولاد. واستبدل بالأزواج فهذا الخبر عندنا. فما الخبر عندكم؟

ثم التفت إلى كميل وقال: (يا كميل. لو أذن لهم فى الجواب لقالوا: إن خير الزاد التقوى ثم بكى.. وقال: يا كميل. القبر صندوق العمل. وعند الموت يأتيك الخبر) (١).

وكان إذا رأى الهلال يقول: (اللهم إنى أسألك خير هذا الشهر وفتحه ونصره وبركته ورزقه ونوره وطهوره وهداه. وأعوذ بك من شره وشر ما فيه وشر ما بعده) ويجأر إلى الله بالدعاء عند النوازل والملمات فيقول: (أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء. وشماتة الأعداء. وأعوذ بك من السجن والقيد والسوط).

ويسأل ربه عز وجل المغفرة والرحمة. فيقول: (اللهم إن ذنوبى لا تضرك. وإن رحمتك إياى لا تنقصك).

---

(١) الخلفاء الراشدون: ٤٨٤، ٤٨٥.

وقال الإمام رضى الله عنه : الناس فى الدنيا عاملان :

عامل : عمل فى الدنيا . للدنيا . قد شغلته دنياه عن آخرته . يخشى على من يخلفه الفقر ويأمنه على نفسه . فيفنى عمره فى منفعة غيره .

وعامل : عمل فى الدنيا لما بعدها . فجاءه الذي له من الدنيا بغير عمل . فأحرز الحظين معا وملك الدارين جميعا . فأصبح وجيها عند الله . لا يسأل الله حاجة فيمنعه .

وقال كرم الله وجهه : اعلموا علما يقينا : أن الله لم يجعل للعبد وإن عظمت حيلته واشتدت طلبته . وقويت مكيدته – أكثر مما سمى له فى الذكر الحكيم (القرآن الكريم) ولم يَحُلْ بين العبد فى ضعفه وقلة حيلته . وبين أن يبلغ ما سمى له فى الذكر الحكيم . والعارف لهذا . العامل به . أعظم الناس راحة فى منفعة . والتارك له الشاك فيه أعظم الناس شغلا فى مضرة .

ورب منعم عليه مستدرج بالنعمى . ورب مبتلى مصنوع له بالبلوى .

فزد أيها المستمع فى شكرك . وقصر من عجلتك . وقف عند منتهى رزقك وقال داعيا وراجيا : « اللهم إنى أعوذ بك من أن تحسّن فى لامعة العيون علانيتى . وتقبح فيما أبطن لك سريرتى . محافظا على رياء الناس من نفسى بجميع ما أنت مطلع عليه منى . فأبدى للناس حسن ظاهرى . وأفضى إليك بسوء عملى . تقربا إلى عبادك . وتباعدا من مرضاتك » .

ومن دعواته التى تدل على صدق عبوديته لله تعالى وثقته فى رحمة ربه عز وجل . قوله كرم الله وجهه : « اللهم اغفر لى ما أنت أعلم به منى . فإن عدت فعد على بالمغفرة . اللهم إنى أعوذ بك أن افتقر فى غناك . أو أضل فى هداك . أو أضام فى سلطانك . أو اضطهد والأمر لك . اللهم اجعل نفسى أول كريمة تنتزعها من كرائمى . وأول وديعة ترتجعها من ودائع نعمك عندى . اللهم إنا نعوذ بك أن نذهب عن قولك . أو نفتن عن دينك أو تتتابع بنا أهواؤنا دون الهدى الذى جاء من عندك .

اللهم صن وجهى باليسار، ولا تبذل جاهى بالإقتار. فاسترزق طالبى رزقك واستعطف شرار خلقك. وابتلى بحمد من أعطانى، وافتتن بذم من منعنى. وأنت من وراء ذلك كله ولى الإعطاء والمنع. وأنت على كل شئ قدير.

اللهم إنك آنس الآنسين لأوليائك. وأحضرهم بالكفاية للمتوكلين عليك. تشاهدهم فى سرائرهم. وتطلع عليهم فى ضمائرهم. وتعلم مبلغ بصائرهم. فأسرارهم لك مكشوفة. وقلوبهم إليك ملهوفة. إن أوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك. وإن صبت عليهم البلايا لجأوا إلى الاستجارة بك علما بأن أزمَّة الأمور بيدك ومصادرها عن قضائك.

اللهم إن فهَهْتُ عن مسألتى أو عمهت [1] عن طلبى. فدلنى على مصالحى. وخذ بقلبى إلى مراشدى، فليس ذلك ينكر من هداياتك ولا بدع من كفاياتك.

«اللهم احملنى على فضلك ولا تحملنى على عدلك يا أرحم الراحمين»[2] أ.هـ.

إن الإمام كرم الله وجهه فى هذا الدعاء يعبر عن صدق عبوديته لله تعالى. ويدلل به على مدى معرفته بالعلى الكبير. ويبين فى هذا الدعاء أن أولياء الله تعالى محل عناية الله عز وجل وتحت رعايته. فهم يأنسون به من الوحشة إذا تجلى لهم. وهو سبحانه وتعالى مطلع عليهم يعلم سرهم ونجواهم. وهو يستجيب لهم فإذا استغاثوه أغاثهم وإذا سألوه أعطاهم. كما أنه يسأل ربه تعالى أن يجعله من عبيد الفضل والإحسان وليس من عبيد العدل. لأن الفضل مظنة النجاة. أما العدل فإنه مظنة العطب، رحم الله تعالى الإمام وجزاه عما قدم للأمة وللدعوة خير الجزاء.

---

(١) فههت: الفهاهة: العى وهو العجز عن البيان – عمهت: العمه: التحير والتردد.
(٢) على إمام الأئمة: ٢٦٣، ٢٦٤.

إمام الائمة وشيخ العلماء

(١) فضيلة العلم والتعلم :

قال الله تعالى : ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [آل عمران : ١٨] .

يقول الإمام الغزالى رحمه الله تعالى : فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلث بأهل العلم . وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلاءً ونبلا .

وقال الله تعالى : ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** ﴾ [المجادلة : ١١] قال ابن عباس رضى الله عنهما : للعلماء درجات فوق درجات المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين بسيرة خمسمائة عام .

وقال عز وجل : ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾

[الزمر : ٩]

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر : ٢٨] .

وقال عز وجل : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا** ﴾ [القصص : ٨٠] بين أن عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم .

وقال تعالى : ﴿ **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ** ﴾ [النساء : ٨٣] رد حكمه فى الوقائع إلى استنباطهم . وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء فى كشف حكم الله .

وقيل : فى قوله تعالى : ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ** ﴾ يعنى العلم ﴿ **وَرِيشًا** ﴾ يعنى اليقين ﴿ **وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ** ﴾ يعنى الحياء [1] [الأعراف : ٢٦] .

---

(١) إحياء علوم الدين : ١ / ١٥ .

روى الشيخان عن معاوية رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين» وعند الطبرانى فى الكبير زيادة «ويلهمه رشده».

وأخرج أبو داود والترمذى عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «العلماء ورثة الأنبياء يستغفر للعالم ما فى السموات والأرض».

يقول الإمام الغزالى [1]: ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة ولا شرف فوق الوراثة لتلك الرتبة وقال الإمام على كرم الله وجهه لكميل: يا كميل: العلم خير من المال. والعلم يحرسك وأنت تحرس المال. والعلم حاكم والمال محكوم عليه. والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق.

وقال أيضا: العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد. وإذا مات العالم ثلم فى الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه. أ.هـ.

وقال رضى الله عنه شعرا:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم	على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه	والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا	الناس موتى وأهل العلم أحياء

لذا حث الإسلام علي التعلم وطلب العلم. لأن الإسلام دين العلم وهو قائم عليه فكان أول الأمر: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾ ﴿ **الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ** ﴾ وقال تعالى داعيا عباده لطلب العلم: ﴿ **فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ** ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وقال عز وجل: ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [النحل: ٤٣]

وأخرج مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه. أن النبى ﷺ قال: «من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة».

---

(١) المصدر السابق: ١/١٦.

وأخرج أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال أن النبى ﷺ قال: «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع».

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار. أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه».

وقال الإمام الشافعى رضى الله عنه «طلب العلم أفضل من النافلة».

وقال الإمام على كرم الله وجهه: «نعم القرين الرضا. والعلم وراثة كريمة. والآداب حلل مجددة. والفكر مرآة صافية».

وقال أيضا: «الفقيه كل الفقيه: من لم يقنط الناس من رحمة الله. ولم يؤيسهم من روح الله ولم يؤمنهم من مكر الله».

وهكذا يحثنا الإسلام على طلب العلم والتعلم. لأن الدين لا يصح إلا بالعلم. والعبادة لا تقوم إلا بالعلم والأدب والسلوك لا ينضبط إلا بالعلم. والقلوب لا تخشع والنفوس لا تخضع إلا بالعلم ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾.

وسيدنا على رضى الله عنه. طلب العلم مبكرا. آمن بالله تعالى وبرسوله منذ بداية الدعوة حرا مختارا. وكان ملازما لرسول الله ﷺ حتى لقى النبى عليه الصلاة والسلام ربه فأخذ العلم من نبعه الصافى من كتاب الله وسنة نبيه. وكان معلمه: هو رسول الله ﷺ فهو مربيه ومؤدبه ومعلمه وناصحه ومراعيه حتى أصبح على بن أبى طالب العالم العابد المجاهد رضى الله عنه.

ونحن – بعون الله تعالى ومدده – سوف ندخل على الإمام كرم الله وجهه فى محراب علمه. لنرى ونتعرف ونقتبس من فيض علمه ومن غزير معرفته. ما نتعرف به عليه ويكون لنا ثقافة ومعرفة نشحذ بها همتنا. ونضئ بها مسيرتنا. وننتفع بها وينتفع بها قومى لعلهم يرشدون.

العناية بالقرآن الكريم

القـرآن الكريم هو : ذلك الكتـاب المنزل على النبى مـحـمـد ﷺ بلفظه ومعناه المتعبد بتلاوته المعجز فى بيانه . كما عرفه علماء الأصول .

والقـرآن هو : دستـور الإسلام . ومرجع المسلم فى شئون الدنيا والآخرة . فالعناية به حق من حقوق الفطرة السوية . ومطلب من مطالب الإسلام الحنيف .

ولذا وجب على المسلمين العناية بالقـرآن والاهتـمـام به حـفظا وتجـويدا وتفسيرا ودراسة . لأنه النبع الصافى لكافة أحكام الإسلام، عقيدة وشريعة وأخلاقا فلا بد من توجيه النشء لحفظ القرآن الكريم كله أو بعضه كل حسب قدرته . مثل ما كان يفعل أسلافنا فى كافة عصور الإسلام . فهذا أحد الأسباب المؤثرة فى بقاء القرآن محفوظا فى الصدور إلى جانب حفظه فى السطور .

لذا يجب علينا العـودة إلى نظام الكتـاتيب وتنظيـمـهـا ووضـعـهـا تحت الإشراف المباشر والرعاية الكاملة للأزهر الشريف . مع الاهتمام به خلال سنوات الدراسة فى كل مراحل التعليم بالمعاهد والكليات الأزهرية المعنية .وعدم التهاون فى هذا الأمر لأن القرآن الكريم -كما نعلم -هو المصدر الأول والأساسى للشريعة الإسلامية وهو الزاد الأول والأساس للمعلمين والأئمة والوعاظ .

وكـذلك يجب علينا الاهتـمـام باللغة العربية الفصحى لأنها لغة القـرآن ومفتاح التعرف على أسراره ومعانيه وأحكامه .

فغياب اللغة الفصحى يفضى بالأمة الإسلامية إلى الجهل بالكتاب العزيز . ثم يتدرج بنا هذا الجهل إلى معاداته . كما تقول الحكمة « من جهل شيئا .. عاداه » .

لذلك نادى فى بداية هذا القرن بعض المثقفين واهتموا بنشر اللغة العامية وطالبوا بإفساح المجال لها لتحظى بالسيادة فتكون هى لغة التخاطب والكتابة .

والهدف المرجو من وراء هذا هو : أن ينبذ المسلمون القرآن ويتركوه وراء ظهورهم . ولكن للحق أهله ودعاته . فقد رأيناهم وقفوا فى جد وعزم وحزم ضد هذه الدعوة المضللة وصدق الله العظيم ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [الحجر : ٩] .

ولقد كان القرآن الكريم موضع اهتمام أصحاب النبى ﷺ ومحل عنايتهم ورعايتهم . وعلى وجه الخصوص الخلفاء الأربعة رضى الله تعالى عنهم فلقد شكل أبو بكر الصديق فى خلافته لجنة برئاسة زيد بن ثابت رضى الله عنه بمشورة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه . لجمع القرآن من صدور الرجال وكتابته فى مصحف واحد تم إيداعه عند أم المؤمنين . حفصة بنت عمر رضى الله عنها حتى كانت خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه الذى كلف زيد بن ثابت بنسخ عدة نسخ من المصحف . ثم توزيعها كالآتى :

نسخة بالمدينة المنورة وأخرى بمكة وثالثة باليمن ورابعة بمصر وخامسة بالشام وسادسة بفارس وسابعة ببلاد العراق .

أما الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه . فلقد كان له اهتمام خاص بالقرآن الكريم يتجلى فى ثلاثة أمور أساسية هى :

إحداها : أنه كان يحفظ القرآن الكريم حفظا عظيما وممتازا حتى أنه كان يتأثر كثيرا باللفظ القرآنى فى خطبه وأحاديثه ووصاياه فى كتاب « نهج البلاغة » للشريف الرضى ولسنا نشك فى أن سبب ذلك يرجع إلى حفظه للقرآن الكريم وتأمله وتدبر معانيه لذا كان كلامه وخطبه بعيدا عن التقعر والتعقيد والغرابة . وإنما كان مقتبسا من ألفاظ القرآن وجمله ومعانيه ونظمه ومنهجه مما يدل على مدى تأثره بالقرآن لفظا ومعنى .

وثانيها : الاهتمام بتجويد القرآن الكريم . كما يذكر أئمة القراء فى كتب القراءات أنهم جميعا يرجعون إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه كأبى عمرو بن العلاء وعاصم بن أبى النجود فهم يرجعون إلى أبى عبد الرحمن السلمى

القارئ. وأبو عبد الرحمن هذا كان تلميذا للإمام عليّ وعنه أخذ القرآن. فصار هذا الفن: فن التجويد منتهيا إلى الإمام كرم الله وجهه.

وثالثها: بعد وفاة النبى ﷺ واختيار أبى بكر الصديق رضى الله عنه للخلافة. عكف الإمام على رضى الله عنه على كتابة القرآن الكريم وجمعه فى مصحف واحد. جمعه مرتبا سوره ترتيب نزول. واستغرق هذا الموضوع منه ستة أشهر تفرغ فيها للقيام بهذا الأمر الخطير. وليس كما يدعى الشيعة أنه إنما اعتكف هذه المدة حتى لا يبايع أبا بكر الصديق بالخلافة. لأنه كان غير راض عن بيعته وعدم تسليم ميراث النبى ﷺ.

وهذا الكلام غير صحيح. أخرج مسلم فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها:

أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ. سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه فقال لها أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركناه صدقة».

ولما سمعت منه الحديث رضيت عنه. والصحيح أن عليا وفاطمة بايعا أبا بكر رضى الله عنهم وماتت وهى راضية عنه رضى الله عنها وأرضاها. وليس الأمر كما يدعى الشيعة.

وهكذا: كان عليّ كرم الله وجهه رجلا قرآنيا من الطراز الأول حيث بذل الجهد الأكبر فى خدمة القرآن الكريم والاهتمام به وحسن رعايته. إيمانا وتصديقا. يقول رضى الله عنه «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت. وأين نزلت. وعلى من نزلت. إن ربى وهب لى قلبا عقولا ولسانا طلقا» - أى فصيحا. وقال: «سلونى. فوالله لا تسألونى عن شئ إلا أخبرتكم. وسلونى عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار فى سهل أم فى جبل».

* * *

السنة النبوية الشريفة

معنى السنة وتعريفها :

السنة فى اللغة : الطريقة محمودة كانت أو مذمومة . ومنه قوله ﷺ : « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة » .

ومن حديث « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع » .

وهى فى اصطلاح المحدثين : ما أثر عن النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلقية أو سيرة سواء كان قبل البعثة أو بعدها .

وهى بهذا ترادف الحديث عند بعضهم .

وفى اصطلاح الأصوليين : ما نقل عن النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير .

فمثال القول : ما تحدث به النبى ﷺ فى مختلف المناسبات مما يتعلق بتشريع الأحكام كقوله عليه الصلاة والسلام « إنما الأعمال بالنيات » .

وقوله « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » .

ومثال الفعل : ما نقله الصحابة من أفعال النبى ﷺ فى شئون العبادة وغيرها كأداء الصلوات ومناسك الحج وآداب الصيام وقضائه بالشاهد واليمين .

ومثال التقرير : ما اقره الرسول ﷺ من أفعال صدرت من بعض أصحابه بسكوت منه مع دلالة الرضى . أو بإظهار استحسان وتأييد .

فمن الأول : إقراره عليه الصلاة والسلام لاجتهاد الصحابة فى أمر صلاة العصر فى غزوة بنى قريظة حين قال لهم : « لا يصلين أحدكم العصر إلا فى بنى قريظة » .

فقد فهم بعضهم هذا النهى على حقيقته . فأخرها إلى بعد المغرب . وفهمه بعضهم على أن المقصود حث الصحابة على الإسراع فصلاها فى وقتها . وبلغ النبى ﷺ ما فعل الفريقان . فاقرهما ولم ينكر عليهما .

ومن الثاني: ما روى أن خالد بن الوليد رضى الله عنه أكل ضبًّا قدم إلى النبى ﷺ دون أن يأكله، فقال له بعض الصحابة: أو يحرم أكله يا رسول الله؟.

فقال: «لا. ولكنه ليس فى أرض قومى فأجدنى أعافه».

وقد تطلق السنة عندهم على ما دل عليه دليل شرعى. سواء كان ذلك فى الكتاب العزيز أو عن النبى ﷺ. أو اجتهد فيه الصحابة كجمع المصحف وحمل الناس على القراءة بحرف واحد.

وتدوين الدواوين، ويقابل ذلك «البدعة».

ومنه قوله ﷺ «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى» وفى اصطلاح الفقهاء ما ثبت عن النبى ﷺ من غير افتراض ولا وجوب وتقابل الواجب وغيره من الأحكام الخمسة.

وقد تطلق عندهم على ما يقابل البدعة.

ومنه قولهم: طلاق السنة كذا. وطلاق البدعة كذا.

ومرد هذا الاختلاف فى الاصطلاح إلى اختلافهم فى الأغراض التى يعنى بها كل فئة من أهل العلم.

فعلماء الحديث. إنما بحثوا عن رسول الله ﷺ الإمام الهادى الذى أخبر الله عنه أنه أسوة لنا وقدوة. فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة وخلق وشمائل وأخبار. وأقوال وأفعال. سواء أثبت ذلك حكما شرعيا أم لا وعلماء الأصول: إنما بحثوا عن رسول الله ﷺ المشرع الذى يضع القواعد للمجتهدين من بعده، ويبين للناس دستور الحياة. فعنوا بأقواله وأفعاله وتقريراته التى تثبت الأحكام وتقررها.

وعلماء الفقه: إنما بحثوا عن رسول الله ﷺ الذى لا تخرج أفعاله عن الدلالة على حكم شرعى.

وهم يبحثون عن حكم الشرع على أفعال العباد وجوبا أو حرمة أو إباحة أو غير ذلك [١]. أ.هـ.

وكل علماء الإسلام منذ عصر الصحابة قد تعاملوا مع السنة على أنها المصدر الثانى للتشريع كل فى مجال تخصصه «العقيدة – أصول الفقه – الفقه – التفسير – السيرة. الأخلاق وأدب السلوك».

ولم نرى أى عالم أو إمام فى أى مجال من مجالات العلم المختلفة رد سنة رسول الله ﷺ. إلا ما كان ممن ليس عنده علم يعصمه من الزلل أو كان من أصحاب الأهواء والبدع كالخوارج والروافض. والمشبهة فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن. وتركوا السنن التى قد تضمنت بيان الكتاب ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

فتحيروا وضلوا كما قال الإمام الخطابى فى معالم السنن.

وقال إمامنا الشافعى رضى الله عنه: «إذا وجدتم سنة رسول الله ﷺ فاتبعوها» لأننا إن لم نتبعها فسوف نضل ونهلك. لأن أحكام السنة: إما موافقة لحكم القرآن ومساوية له. وإما مبينة وموضحة ومفسرة لمبهمه.

وإما مخصصة لمجمله وعامه. أو منشئة لحكم لم ينص عليه فى القرآن الكريم كصلاتى العيدين والجنازة. وغيرها.

ففى ترك السنة الشريفة الخسران المبين والهلاك العظيم [٢].

وسيدنا الإمام على كرم الله وجهه كان يعنى بالسنة الشريفة لأنها المصدر الثانى للشريعة.

وأخرج ابن سعد من طريق عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما:

أن على بن أبى طالب (كرم الله وجهه) أرسله إلى الخوارج. فقال:

---

(١) السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى: ٥٧، ٥٨.

(٢) كتابنا: الإمام الشافعى فقيها ومحدثا: ٩٠، ٩١.

اذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجهم بالقرآن . فإنه ذو وجوه . ولكن خاصمهم بالسنة .

واخرج من وجه آخر . أن ابن عباس قال له : يا أمير المؤمنين . فأنا أعلم بكتاب الله منهم وفى بيوتنا نزل . قال : صدقت . ولكن القرآن حمال ذو وجوه . تقول ويقولون ولكن خاصمهم بالسنن . فإنهم لن يجدوا عنها محيصا . فخرج إليهم فخاصمهم . بالسنن . فلم تبق بأيديهم حجة » (١) .

وهكذا يقرر الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه كغيره من الصحابة الكرام . أن السنة الشريفة يجب العمل بها شأنها شأن القرآن الكريم . فهى المصدر الثانى للشريعة الإسلامية . وموحى بها بالمعنى واللفظ لرسول الله ﷺ .

قال الله تعالى : ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** ﴾ .

وقال عز وجل : ﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ .

فالرسول ﷺ واجب الاتباع فى كل ما جاء به عن ربه عز وجل من قرآن أو سنة .

وهؤلاء الذين ينكرون السنة ويرفضون الأخذ بها ممن يسمون أنفسهم بالقرآنيين هم جهلة ويهدفون من وراء ذلك إلى التحلل من شرائع الإسلام .

ففى أى آية فى كتاب الله تعالى وجدوا . أركان الصلاة وسننها وشروط صحتها .

وفى أى قرآن قرأوا أحكام الصوم والزكاة والحج وفى سورة منه قرأوا أحكام المعاملات والأحوال الشخصية بتفصيلاتها .

أليست السنة هى التى بينت ذلك ووضحته؟ رحمة بالأمة . وإبرازًا لدور

---

(١) الإتقان للسيوطى : ١ / ١٤٣ .

رسول الله ﷺ في تبليغ الدعوة كما أمر الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء: ٦٥].

روى سفيان بن عيينة بسنده: أن رسول الله ﷺ قال: «لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه. فيقول: لا أدرى ما وجدناه فى كتاب الله اتبعناه» وعند غيره بزيادة «ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه» (١).

فإذا لم يكن الإمام على رضى الله عنه متبعا لرسول الله ﷺ قولا وفعلا وتقريرا وصفه فمن يتبعه إذن؟ وعليّ. هو باب مدينة العلم.

وروى الطبرى فى الرياض النضرة (٥٩١) قال: وعن على قال: طلبنى النبى ﷺ فوجدنى فى حائط نائما فضربنى برجله وقال: «قم. فوالله لأرضينَّك. أنت أخى، وأبو ولدى، تقاتل عن سنتى، من مات على عهدى فهو فى كنز الجنة. ومن مات على عهدك فقد قضى نحبه. ومن مات محبك بعد موتك ختم الله له بالأمن والإيمان ما طلعت شمس أو غربت» [قال: خرجه أحمد فى المناقب].

هذا: ويقول أهل العلم: ما جاء أحد بعد على بن أبى طالب كرم الله وجهه دافع عن سنة رسول الله ﷺ إلا الشافعى رضى الله عنه.

ولا عجب فى هذا ولا غرابة. إن الشافعى رضى الله عنه من ورثة علم الإمام على كرم الله وجهه من طريقين: من مدرسة ابن عباس الفقهية بمكة على يد مسلم بن خالد الزنجى. وفى المدينة على يد مالك بن أنس عن ربيعة الرأى، وهاتان المدرستان ورثتا علم الإمام على رضى الله عنه رضى الله تعالى عن أبى الحسن لقد كان مدافعا عن سنة رسول الله ﷺ وسيتجلى لنا ذلك عندما نتحدث عن فقهه وقضائه رضى الله عنه.

وقد روت له كتب السنة عن رسول الله ﷺ خمسمائة وستة وثمانين حديثا (٢).

---

(١) راجع كتابنا: الإمام الشافعى فقيها ومحدثا. فإنه كثير الفائدة فى هذا الموضوع.

(٢) الخلفاء الراشدون: ٤٩٤.

علـم الكـــلام

علم الكلام، ويسمى : علم التوحيد، وعلم العقيدة، وعلم أصول الدين.

وموضوعه هو : البحث فى الإلهيات وفى النبوات وفى السمعيات.

وأجمع العلماء من المتكلمين أنه أشرف العلوم، لأن شرف العلم من شرف موضوعه وموضوعه - كما ذكرنا - هو البحث فى أشرف المسائل كونها تتعلق بالله تعالى وبأنبيائه ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

إن سيدنا الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه، كان كغيره من أصحاب النبى ﷺ . الذين رباهم النبى عليه الصلاة والسلام فى مدرسته المحمدية تربية إسلامية رفيعة قائمة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . وكان الإمام رضى الله عنه أكثرهم عناية وأوفرهم حظا. لقرابته من رسول الله ﷺ ولحضانته ورعايته له. مربيا ومعلما لعلى الذى قدر له أن يتربى فى بيت النبى ﷺ وأن ينشأ تحت رعايته فهو أستاذه ومعلمه الوحيد، ولم يتتلمذ علىّ على أحد سواه صلوات الله وسلامه عليه وآله وصحابته أجمعين.

فهؤلاء الأصحاب ومنهم الإمام علىّ قد تعلموا العقيدة الإيمانية من القرآن الكريم ومن سنة رسول الله ﷺ . لقد قرأوا النصوص المنزلة فى الكتاب وسمعوا الأحاديث وتوقفوا عند النص وهم أعلم المسلمين بالإسلام وبلغة العرب. ولم يلعب الشيطان بعقولهم ولم تزين لهم أهواؤهم القول على الله تعالى بغير علم. ولم يسمحوا لأنفسهم ولا لغيرهم أن يُعْمل عقله فى أمور العقيدة.

وبعد عصر الصحابة رضى الله عنهم. تسللت الفلسفة اليونانية وغيرها من الفلسفات إلى العقل العربى الإسلامى. فكان نتاج هذا الأمر هو : ظهور الفِرق والمدارس التى تبحث فى مسائل العقيدة. «وستفترق أمتى إلى ثلاث وسبعين فرقة كلهم فى النار إلا واحدة» من هم يا رسول الله؟ قال : «هم من كانوا على مثل ما أنا عليه وأصحابى».

ظهرت: المعتزلة. والأشعرية والماتوريدية والمرجئة. والقدرية والجهمية. والشيعة وغيرهم. وكان لكل فرقة اتجاها خاصا بها. ويضمهم جميعا. منهج الجدال والكلام العقلى لذلك رفضهم الأئمة الأربعة. وخاصة الإمام الشافعى رضى الله عنهم.

هذا ويزعم بعض الناس ممن كانوا يتسولون على موائد أصحاب السلطان والحكام أن علم الكلام أو علم التوحيد إنما نقل عن الإمام على كرم الله وجهه، فكان أول المتكلمين فيه وإليه ينتهى. وهذا محض افتراء وكذب على الإمام الذى تربى فى بيت النبوة. وشرب صافى نبعها. فهل يعقل عاقل، أن يشتغل الإمام علىّ بمثل هذه المسائل وبطريقة المتكلمين وحسب منهجهم الجدلى؟

يقول شيخنا الباقورى (١) رحمه الله تعالى:

إن بعض الذين كتبوا عن الإمام – كرم الله وجهه – يزعمون أن علم الكلام أو علم التوحيد. إنما نقل عنه وإليه انتهى. ومنه بدأ.

ذلك أن المعتزلة. الذين هم أهل التوحيد والعدل وأرباب النظر إنما هم تلاميذ على – كرم الله وجهه – لأن كبيرهم: واصل بين عطاء تلميذ أبى هاشم ابن محمد بن الحنفية. وأبو هاشم هذا. هو: تلميذ أبيه محمد. وأبوه تلميذ الإمام على – كرم الله وجهه – فهو أصل المعتزلة.

وأما الأشعرية: فإنك تعلم أنهم ينتمون إلى: أبى الحسن: على بن أبى بشر الأشعرى وأبو بشر. تلميذ أبى على الجبائى. وأبو على: هو أحد مشايخ المعتزلة.

فالأشعرية ينتهون إلى أستاذ المعتزلة. وهو: على كرم الله وجهه.

ولعلك سائل بعد ذلك عن السبب الذى حمل أولئك الكاتبين على اعتبار الإمام أستاذا لأهل الاعتزال.

(١) على إمام الأئمة: ٣٥ – ٣٧.

فإليك إجمال ما يقال فى هذا المجال. من أن المعتزلة يذهبون إلى نفى صفات المعانى القديمة التى يثبتها الأشاعرة. بقولهم: إن لله تعالى صفات كثيرة تبتدئ بالصفة الذاتية. وهى أنه تعالى واجب الوجود. ثم تجئ بعد ذلك فى المرتبة الثالثة: صفاف المعانى. وهى: صفات وجودية قائمة بذاته تقدست أسماؤه وجل ثناؤه وصفات المعانى هذه: يثبتها الأشعرية لذات البارى – سبحانه وتعالى – فى الوقت الذى ينفيها عنه أهل الاعتزال (فرقة المعتزلة).

وحجتهم فى ذلك: كلمة للإمام. رواها عنه: الشريف الرضى. وفيها يقول الإمام كرم الله وجهه: «أول الدين معرفة الله تعالى. وكمال معرفته: التصديق به. وكمال التصديق به: توحيده وكمال توحيده: الإخلاص له. وكمال الإخلاص له: نفى الصفات عنه. بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة. فمن وصف الله تعالى سبحانه: فقد قرنه. ومن قرنه: فقد ثناه. ومن ثناه: فقد جزأه، ومن جزأه: فقد جهله».

وبهذه الكلمة التى نسبها الشريف إلى الإمام. تجتمع للناظر قضيتان كلاميتان خطيرتان كلتا هما تحتاج إلى وقفه تتغيًا – فى حدود الإمكان – إحقاق الحق وإبطال الباطل وعلى الله قصد السبيل.

وأولى القضيتين: نسبة الإمام إلى المعتزلة. على أنه رأسهم ومعلمهم.

ثانيتهما: نسبته إلى القول بنفى صفات المعانى عن ذاته العلية كما هو مذهب أهل التعطيل فأما نسبته إلى المعتزلة على أنه رأسهم ومعلمهم. فذلك لغو من القول لا يسلك سبيله إلا ولىّ جاهل. أو عدو أحمق، وإلا فإن عليا – ربيب محمد وخريج بيت النبوة – لا يقع فى وهم عاقل أن يكون من أولئك الذين انحرف بهم الهوى عن سواء السبيل. فاستحق بذلك فى زعم الزاعمين: أن يكون من أهل الاعتزال أو شيخا من شيوخهم ومعلما من معلميهم وأما نسبته إلى أهل التعطيل الذين ينفون صفات المعانى عن الذات العلية، فإنها نسبة أشد إيغالا فى باب الجهالة، وأبين عتوا فى معنى الضلالة.

ومهما حاول أصحاب هذا الزعم أن يحتجوا له بالكلمة التى رواها الشريف عن الإمام . فإنها حجة داحضة . لظهور أثر الصنعة فيها ظهورا يساير ما كان قد نشأ فى دولة بنى العباس من ثقافة اليونان وطرائق تفكيرهم إبان حياة الشريف الرضى غفر الله له . وإلا فإن مسلما صحيح العقيدة لا ينفى عن الله ما وصف سبحانه به نفسه . وما وصفه به أعرف الخلق بالله وأنصحهم للأمة : محمد ﷺ رسول الله وفيض رحمته للعالمين .

هذا وليس يخفى على البصراء بشئون الاجتماع فى عصر بنى العباس . أن من أهل العلم من كان يؤلف الكلام يطلب به رفعة الجاه ونعمة الثراء عند الخلفاء والولاة وأعيان الدولة .

ثم يقول : وليس يخفى على المتأمل البصير : أن الذين يكذبون على رسول الله ﷺ - ويختلقون عليه أحاديث لم يقلها . ويختلقون خطبا على ألسنة الخلفاء الراشدين . لا يصعب عليهم أن يختلقوا خطبة على لسان الإمام علىّ ينتصرون بها لمذاهبهم . ابتغاء الظفر برفعة الجاه والاستمتاع بنعمة الثراء . أ .هـ .

وأقول - مستعينا بالله تعالى -: إن تربية الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى بيت النبوة . وتحت سمع وبصر النبى ﷺ . واستمرار علمه وثقافته الإسلامية من فى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه . وإشارته له بأنه المدافع عن سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام (١) . لذا يقول العلماء : ما جاء أحد مدافعا عن سنة رسول الله ﷺ بعد : على بن أبى طالب كرم الله وجهه إلا الإمام الشافعى رضى الله عنه .

والرسول ﷺ يأمرنا باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده . ومن سنته قوله عليه الصلاة والسلام : « أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » .

---

(١) انظر ما سبق فى فقرة : السنة النبوية من هذا الكتاب والحديث رواه الطبرى فى الرياض النضرة : ٥٩١ .

وقوله: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق. اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك» .. والحديثان مشهوران.

فهل يتصور عاقل أن الراشدين أو أحدهم يخالفون قول النبى ﷺ فيما وصف به ربه عز وجل بما أوحى به إليه، فينفى على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن الله صفاته؟ إنه قول زور وبهتان. وأعتقد أنه صدر من محب غال أو من عدو حاقد. أو من مبتدع أراد بذلك الانتصار لمذهبه وتأصيل القول بزعم المعتزلة بنفى الصفات والقول بالتعطيل فهذا القول الذى نسبه إليه الشريف الرضى. كذب وزور وبهتان ولا أتهم الشريف الرضى لأنه يكتب ما يسمع شأنه. شأن غيره ممن يجمعون أقوال الناس ورواياتهم. وإن كنت أعتب عليه. عدم النظر والتمحيص مما جمع من روايات قبل أن يصنفها فى كتابه.

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ﴿ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [النحل: ٦٠].

إن الإمام علىّ برئ من هذا القول براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام. فلم يكن يقول بما قال به المعتزلة (١). وإنما كان يقول بما جاء به النبى ﷺ من قرآن وسنة. روى الترمذى عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم الناس بأمتى أبو بكر، وأشدهم فى أمر الله تعالى عمر. وأشهدهم حياء عثمان وأقضاهم على. وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل. وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبى بن كعب. ولكل أمة أمين. وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح. وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبى ذر. أشبه عيسى عليه السلام فى ورعه). فقال عمر رضى الله عنه: أتعرف ذلك له يا رسول الله؟ قال: «نعم. فاعرفوه له».

---

(١) المعتزلة يقولون بنفى الصفات عن الذات العلية فيقولون: الله عالم بذاته قادر بذاته. مريد بذاته سميع بذاته بصير بذاته .. إلخ إنهم بهذا قد عطلوا الصفات. لهذا اعتبرهم السلف من المبتدعة فى قضية الصفات.

الفقه والقضاء

الفقه لغة: هو الفهم العميق النافذ الذى يتعرف غايات الأقوال والأفعال ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا** ﴾

[النساء: ٧٨]

وقوله ﷺ: « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » [متفق عليه].

وقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وفى اصطلاح الفقهاء هو: العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية.

وعلى ذلك يكون موضوع علم الفقه يتكون من جزءين:

أحدهما: العلم بالأحكام الشرعية العملية. فالأحكام الاعتقادية كالواحدانية ورسالة الرسل وتبليغهم رسائل ربهم والعلم باليوم الآخر وما يكون فيه كل هذا لا يدخل فى مضمون كلمة الفقه بالمعنى الاصطلاحى. وإنما هو موضوعات علم العقيدة.

والثانى: من موضوع علم الفقه: العلم بالأدلة التفصيلية لكل قضية من القضايا. فإذا ذكر مثلا. أن بيع المسلم لا بد فيه من تسليم رأس المال وقت العقد. أقام الدليل على ذلك من الكتاب أو من السنة أو من فتاوى الصحابة. وهكذا [1] أ.هـ.

إن الفقه الإسلامى بدأ ظهوره منذ اللحظة الأولى لنزول القرآن الكريم بأحكام الشريعة من الشعائر المختلفة وأساليب العبادة المتعددة. وأمر النبى ﷺ بالتبيين للناس ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** ﴾.

---

(١) راجع كتابنا: الإمام الشافعى فقيها ومحدثا: ١٧٣.

فكان النبى ﷺ يبين للناس أحكام العبادة وكافة الشرائع وكيف يقومون بالتنفيذ حتى أكمل الله الدين وأتم النعمة ولحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى فاهتم الصحابة جميعا بهذا الجانب. وكان مرجعهم وسندهم فى هذا الأمر:

كتاب الله وسنة نبيه وإجماع الصحابة والأخذ بالقياس للأشباه والنظائر.

وكان الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه صاحب باع عريض وعلم غزير وثقافة واسعة فى هذا الأمر. شهد له بذلك خيرة الصحابة والتابعون وأجله الأئمة والعلماء.

يقول الأستاذ الدكتور/ محمد رواس قلعه جى فى مقدمة كتابه الرائع «موسوعة فقه على بن أبى طالب» (١)؛ ويتوجه فقه السلف. فقه الصحابة. ويتوج فقه الصحابة فقه المكثرين وأئمة الفتوى. منهم: عمر بن الخطاب، وعلى ابن أبى طالب. وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود. وزيد ابن ثابت. وعائشة رضى الله عنهم جميعا.

ويعتبر على بن أبى طالب رضى الله عنه أكثر هؤلاء علما بشهادة رسول الله ﷺ.

ففى مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى: أن رسول الله ﷺ قال لابنته فاطمة: «أما ترضين أن أزوجك أقدم أمتى سلما [إسلاما] وأكثرهم علما وأعظمهم حلما».

وفى سنن الترمذى قول رسول الله ﷺ: «أنا دار الحكمة وعلى بابها».

وقد أفتى على رضى الله عنه فى حياة رسول الله - ﷺ - وأقره الرسول على ذلك. ثقة منه بمقدرته على الفتيا.

ففى مصنف عبد الرزاق أن رجلا من الأنصار أوطأ أُحِيًّ - عش - نعامة

---

(١) طبعة ثانية/٨-١٠ .

وهو محرم فكسر بيضته . فسأل عليا . فقال : « عليك جنين ناقة » أو قال : « ضراب ناقة » .

فخرج الانصارى . فأتى رسول الله ﷺ فأخبره . فقال النبى ﷺ : « لقد سمعت ما قال على . لكن هلم إلى الرخصة . صيام أو طعام مسكين » (١) .

ولذلك فقد عرف الصحابة قدر علىّ . فكانوا لا يقطعُون أمرا ذا بال دون مشورته فقد استشاره أبوبكر . واستشاره عمر بن الخطاب وأكثر من مشورته . واستشاره عثمان بن عفان، ففى كنز العمال : أن أبا بكر استشار عليا فى أهل الردة . فقال له علىّ « إن الله جمع بين الصلاة والزكاة ولا أرى أن تفرق بينهما » فعند ذلك قال أبو بكر : « لو منعونى عقالا لقاتلتهم عليه كما قاتلهم رسول الله ﷺ » (٢) .

وفى مصنف عبد الرزاق : أن رجلا سأل عمر عن بيض النعام يصيبه المحرم . فقال عمر : أرأيت عليا؟ اسأله . فإنا أُمرنا أن نشاوره .

فقول عمر رضى الله عنه : « أُمرنا » ينصرف إلى أن الآمر لهم هو رسول الله ﷺ كما هو مفهوم من كلام السلف رضوان الله عليهم .

ومن هنا كان كثير من الصحابة يلتمسون قول علىّ . فإذاثبت لهم عنه قول لم يستجيزوا لأنفسهم مخالفته . فقد نقل ابن قدامة المقدسى فى كتابه « المغنى » عن حبر الأمة : عبد الله بن عباس أنه كان يقول : « إذا ثبت لنا عن على قول لم نعده إلى غيره » وما ذلك فإننا إذا ما قارنا بين ما نقل من الفقه عن على رضى الله عنه . وما نقل منه عن عمر . أو عبد الله بن عمر . أو عبد الله بن عباس مثلا لوجدنا أن ما نقل عن على هو الأقل مع أنه رضى الله عنه هو : الأعلم .

والسبب فى ذلك فيما أعتقد يعود إلى الأمور التالية :

(أ) إن على بن أبى طالب بقى مستشارا للخلفاء الثلاثة السابقين له .

---

(١) المصنف لعبد الرزاق : ٤ / ٤٢٠ .   (٢) كنز العمال برقم ١٦٨٤٥ طبع حلب .

يقدم إليهم مشورته وهى الفترة التى تم فيها تنظيم الدولة الإسلامية . ورسم خطها الواضح . ولذلك فإن أكثر اجتهاداته قد تبلورت فى الأنظمة والأحكام التى كانت تصدر عن الدولة . وبذلك كان على بن أبى طالب . الجندى المجهول الذى ساهم المساهمة الكبرى فى تنظيم الدولة الإسلامية ولما انتهى الأمر إليه كان الأمر قد اكتمل. ولم يعد بحاجة إلى أكثرمن تطوير الأحكام والتنظيمات بما يتناسب وتطور الحياة .

(ب) ولما ولى الخلافة لم تدم خلافته طويلا . وشغلته القلاقل الداخلية عن التفرغ لإعادة النظر فى التنظيم وتنقيحه .

فعن أيوب السختيانى قال : سمعت محمدا يقول لأبى معشر : إنى أتهمكم فى كثير مما تذكرون عن علىّ . لأنى قال لى عبيدة : بعث إلى علىّ . وإلى شريح فقال : إنى أبغض الاختلاف فاقضوا كما كنتم تقضون حتى يكون للناس جماعة أو أموت كما مات أصحابى قال : فقتل علىّ – كرم الله وجهه – قبل أن تكون جماعة .

(جـ) لقد كان على رضى الله عنه : عرضة لحب المحبين وبغض المبغضين كأى إنسان إلا أن الكثير من المحبين والمبغضين لعلى .لم يقفوا عند حد الاعتدال . فتجاوزوه إلى المغالاة . ولذلك كثر الدس عليه . والدس له . مما جعل العلماء يتحرون جدا النقل عنه بل دفع البعض إلى تحاشى النقل عنه إلا نادرا خوف الزلل .

كل هذه الأسباب كانت عوامل هامة فى قلة المنقول من فقه على رضى الله عنه إذا قيس بفقه غيره من جبال العلم من الصحابة رضوان الله عليهم .أ .هـ.

ولما كان هذا القول موافقا لما أنا مقتنع به ومطمئن إليه . آثرت أن أنقله بنصه راجيا الله تعالى أن يجزى مؤلف هذه الموسوعة الفقهية العظيمة لفقهاء الصحابة وعلمائهم خير الجزاء وأن يثيبه عن خدمة العلم والإسلام الثواب الجزيل والفضل العميم إنه سميع مجيب ومما لا شك فيه أن الصحابة الكرام – وخاصة العلماء منهم – كانوا خيرة الناس إيمانا وأعظمهم إسلاما وأكثرهم علما وأوسعهم

فهما. فقد تلقوا العلم غضا بضا من فم النبى ﷺ. «خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم. ثم الذين يلونهم».

وقد قال الأصوليون من الفقهاء: إذا اتفق الصحابة على أمر كان اتفاقهم حجة نأخذ ما اتفقوا عليه. وإذا اختلفوا نأخذ بقول أعلمهم مثل ما كانوا هم يفعلون. بل إن بعض الأئمة وهو الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه كان يقدم رأى الصحابة على الحديث الضعيف.

وأعْلَمُ الصحابة هم كبارهم. وعلى رأسهم: على بن أبى طالب كرم الله وجهه. وهم جميعا كانوا يعرفون له هذا الفضل. وقلة الوارد عنه لا يدل على قلة علمه. وإنما كان سبب ذلك هو الخوف ممن غالوا فيه أن ينقلوا إلينا أشياء هو منها برئ ويخلطونها بما قال. وقد رأينا بعض روايات ومرويات نهج البلاغة مزورة وملفقة ومدسوس فيها ما لم يقله الإمام. والشريف الرضى: قد جمعها دون بحثها ونقدها.

يقول ابن أبى الحديد - شيعى معتدل - شارح نهج البلاغة للشريف الرضى. عفا الله عنه: اعلم - رحمك الله - أن أصل الأكاذيب فى أحاديث الأفاضل كان من جهة الشيعة فإنهم وضعوا فى مبدأ الأمر أحاديث مختلقة. حملهم على وضعها: عداوة خصومهم.

فلما رأت البكرية - أنصار أبى بكر - ما صنعت الشيعة. وضعت لصاحبها أحاديث فى مقابلة أحاديث الشيعة لصاحبهم علىّ عليه السلام. وذلك نحو الحديث الذى يقول «لو كنت متخذا خليلا، لاتخذت أبا بكر» [1] فقد

---

(١) جزء من حديث صحيح رواه مسلم وأبو حاتم عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «لو كنت متخذا خليلا. لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن أخى وصاحبى. وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا».

ورواه البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لو كنت متخذا خليلا. لاتخذت أبا بكر خليلا. ولكن أخى وصاحبى» وفى رواية له أيضا: «لو كنت متخذا من أمتى خليلا لاتخذته خليلا. ولكن أخوة الإسلام أفضل» [الرياض النضرة للطبرى ص ١٥١] فليس الحديث من وضع أنصار أبى بكر كما يدعى ابن أبى الحديد.

وضعت الشيعة فى مقابلة هذا الحديث حديث الإخاء الذى قال فيه رسول الله ﷺ لعلىّ «أنت أخى فى الدنيا والآخرة» [1].

وعلى قدر ما ذكر الشيعة فى صاحبهم علىّ من الفضائل، ذكر البكرية مطاعن كثيرة فى علىّ وفى ولديه. فنسبوه تارة إلى ضعف العقل. وتارة إلى ضعف السياسة. وتارة إلى حب الدنيا والحرص عليها. ولقد كان الفريقان فى غنية عما اكتسباه وإجترحاه إذ كان فى فضائل علىّ الثابتة الصحيحة. وفضائل أبى بكر المحققة المعلومة ما يغنى عن تكلف العصبية لهما. فوق أن هذه العصبية أخرجت الفريقين من ذكر الفضائل إلى ذكر الرذائل، ومن تعديد المحاسن إلى تعديد المساوئ والمقابح. والله المسئول أن يعصمنا من الميل إلى الهوى وحب العصبية. وأن يجرينا على ما عودنا من حب الحق أينما وجد وحيثما كان. سخط ذلك من سخطه. ورضيه من رضيه والله يحب المحسنين [2] أ.هـ. ولا أدرى من أين أتانا ابن أبى الحديد باسم هذه الطائفة التى تسمى: البكرية. فنحن لم نقرأ فى تاريخ هذه الحقبة شيئا عن هذه الطائفة التى نسجها وهم وخيال الشيعة.

رحم الله أبا الحسن فلقد كان كما وصفه الحسن البصرى رضى الله عنه «كان علىّ ربانى هذه الأمة» وأطلق عليه العلماء «إمام الأئمة».

أخرج النسائى عن أبى زكريا: يحيى بن آدم بن سليمان الأموى قال: حدثنا: شريك عن سماك بن حرب عن حنتش بن المعتمر عن على كرم الله وجهه. قال: بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن، وأنا شاب فقلت: يا رسول الله

---

(١) الحديث لبس من وضع شيعة علىّ رضى الله عنه. فقد أخرج الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه. فجاء علىّ تدمع عيناه. قال: يا رسول الله. آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بينى وبين أحد. قاله له رسول الله ﷺ «أنت أخى فى الدنيا والآخرة». وخرجه البغوى أيضا فى المصابيح الحسان [الرياض النضرة: ٥٩١] فليس الحديث كما يدعى ابن أبى الحديد من وضع الشيعة.

(٢) على إمام الأئمة: ١٤٢، ١٤٣ نقلا من شرح ابن أبى الحديد لنهج البلاغة.

تبعثني وأنا شاب إلى قوم ذوى أسنان أقضى بينهم. وليس لى علم بالقضاء؟ فوضع يده ﷺ على صدرى ثم قال: «إن الله سيهدى قلبك ويثبت لسانك» ثم أوصانى فقال: «إذا اجلس إليك الخصمان فلا تقضى بينهما حتى تسمع من الآخر كمات سمعت من الأول فإنك إذا فعلت ذلك تبدى لك وجه القضاء».

يقول الإمام رضى الله عنه: فلا والله ما أشكل على قضاء بعد ذلك.

وروى فى الحديث الصحيح قول النبى ﷺ: «أقضاكم علىّ».

ويقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن».

وقال آمرا الناس «لا يفتين أحد فى المسجد وعلىّ حاضر».

هذا: ويزعم بعض الباحثين (١) أن فقه الأئمة الأربعة - أبو حنيفة. ومالك. والشافعى. وأحمد - يرجع إلى فقه الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه. وهذا تكلف منهم تنقصه الدقة لأن أئمة الفقه الإسلامى قد أخذوا عن جميع علماء الصحابة. ولم يخصوا فقه الإمام وحده وهذا النقل عن علماء الصحابة ثابت فى كتب الفقه فى المذاهب الأربعة. وهذا لن ينقص من قدر الإمام كرم الله وجهه. وأما فقه الشيعة فرجوعه إليه ظاهر.

● **نماذج من فقه الإمام:**

١ - فعن المرأة التى ولدت لستة أشهر. روى عن يونس أبو الحسن: أن عمر أتى بامرأة قد ولدت لستة أشهر. فهم برجمها. فقال له علىّ: إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك إن الله تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ ويقول جل قائلا: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾. فإذا كانت مدة الرضاعة حولين كاملين وكان حمله وفصاله ثلاثين

---

(١) العقاد والباقورى والدكتورة: سعاد ماهر والقول فى الأصل: لا بن أبى الحديد - شيعى معتدل.

شهرا. كان الحمل فيها ستة أشهر. فخلى عمر سبيل المرأة. وثبت الحكم بذلك وعمل به الصحابة والتابعون ومن أخذ عنهم إلى يومنا هذا.

٢ - وعن الحامل الزانية: روى أنه أتى عمر بحامل قد زنت. فأمر برجمها. فقال له على: هب أن لك سبيلا عليها. فأى سبيل لك على ما فى بطنها، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ فقال عمر: «لا عشت لمعضلة لا يكون لها أبو الحسن» ثم قال: فما أصنع بها؟ قال: احفظ عليها حتى تلد. فإذا ولدت ووجدت لولدها من يكفله. فاقم عليها الحد.

٣ - وعن المسألة المنبرية. قيل: سئل علىّ وهو على المنبر عن نصيب: بنتين وأبوين وزوجة فأجاب على الفور. صار ثمنها تسعا وهذه المسألة لو صحت - لكانت مبنية على العَول. وهو إدخال النقص عند ضيق المال عن السهام المفروضة على جميع الورثة بنسبة سهامهم فهنا للزوجة: الثمن. وللأبوين: الثلث. وللبنتين: الثلثان. فضاق المال عن السهام لأن الثلث والثلثين. تم بهما المال، فمن أين يؤخذ الثمن؟ فمن نفى العَوْل. قال: إن النقص يدخل على البنتين. والفريضة من أربعة وعشرين. للزوجة ثمنها ثلاثة. وللأبوين ثلثها: ثمانية. والباقى ثلاثة عشر للبنتين نقص من سهمهما ثلاثة. ومن أثبت العول. قال: يدخل النقص على الجميع. فيزاد على الأربعة والعشرين. ثلاثة. فتصير: سبعة وعشرين. للزوجة منها: ثلاثة وللأبوين: ثمانية. وللبنتين: ستة عشر. والثلاثة هى تسع السبعة والعشرين. فهذا معنى قوله «صار ثمنها تسعا» .أ.هـ[مشهد الإمام على فى النجف:٤٢].

٤ - جاءه ثلاثة نفر يختصمون فى ولد. وقعوا على امرأة فى طهر واحد. فقال لاثنين: طيبا نفس بهذا الولد. فرفضا. فقال على: أنتم شركاء متشاكسون، إنى مقرع بينكم. فمن قُرع له. فله الولد. وعليه ثلثا الدية لصاحبيه. فأقرع بينهم. فقُرع لأحدهم. فدفع إليه الولد.

فلما أخبر النبى ﷺ بقضاء على ضحك حتى بدت نواجذه . وقال : « ما أعلم فيها إلا ما قال على » .

٥ – ويحدث عليّ عن واقعة أخرى كادت تثير معركة بين جماعة من الناس لولا أنه فصل بينهم بقضائه الحكيم . فيقول : بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن . فانتهينا إلى قوم قد بنو زُبْيَة – حفرة مغطاة مصيدة للأسد فإذا مر فوقها وقع فيها – للأسد فبينما هم كذلك يتدافعون . إذ سقط رجل فتعلق بآخر . ثم تعلق آخر بآخر . حتى صاروا فيها أربعة فجرحهم الأسد . فانتدب له رجل بحربة فقتله . وماتوا من جراحتهم كلهم . فقام أولياء الأول إلى أولياء الآخر . فأخرجوا السلاح ليقتتلوا . فأتاهم عليّ على تعبية ذلك فقال : أتريدون أن تقاتلوا ورسول الله ﷺ حى؟ إنى أقضى بينكم قضاء . إن رضيتم فهو القضاء . وإلا احجز بعضكم عن بعض حتى تأتوا النبى ﷺ . فيكون هو الذى يقضى بينكم . فمن عدا بعد ذلك فلا حق له . اجمعوامن قبائل الذين حفروا البئر . ربع الدية ، وثلث الدية ، ونصف الدية . والدية كاملة فللأول الربع ، وللثانى ثلث الدية . وللثالث نصف الدية . وللرابع الدية [1] . فأبوا أن يرضوا فأتوا النبى ﷺ وهو عند مقام ابراهيم ، فقصوا عليه القصة . فقال : « أنا أحكم بينكم » فقال رجل من القوم : يا رسول الله : إن عليا قضى علينا . فقصوا عليه القصة فأجازه رسول الله ﷺ .

٦ – وجاءته امرأة تشكو إليه أخاها ورّث ستمائة دينار . ولم يقسم لها من ميراثه غير دينار واحد . فأجابها بسرعة بديهته وقال : « لعله ترك زوجه وابنتين وأما واثنى عشر أخا وأختا » فكان الأمر كما قال رضى الله عنه .أهـ [الخلفاء الراشدون] .

٧ – ولما أراد أمير المؤمنين : عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يخرج على

---

(١) لأن الأول كان سببا فى هلاك الثلاثة الذين هلكوا معه . فسقط من ديته ثلاثة أرباع وبقى له الربع وللثانى الثلث لأنه كان سبب هلاك اثنين . وللثالث النصف لأنه تسبب فى هلاك واحد . والرابع لم يتسبب فى هلاك أحد فله الدية كلها كاملة .

رأس الجيش في فتح فارس. أشار عليه الإمام علي بأن لا يخرج على رأس الجيش. فاستجاب عمر لمشورته لأنه من المفروض أن لا يتعرض رأس الدولة للأعداء فيجعلون همهم كله الإحاطة به ليقتلوه أو يأسروه. لأنه الهدف الأكبر للعدو.

والأمر بالنسبة لرئيس الدولة يختلف عنه بالنسبة لرسول الله ﷺ. لأن النبي ﷺ محفوظ بحفظ الله تعالى. قال عز وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [المائدة: ٦٧]

قال علي كرم الله وجهه لأمير المؤمنين عمر: «إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقلة. وهو دين الله الذي أظهره وجنده الذي أعده وأمده حتى بلغ ما بلغ وطلع حيثما طلع. ونحن على موعود من الله. والله منجز وعده، وناصر جنده. ومكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه. فإذا انقطع النظام تفرق الخرز وذهب. ثم لم يجتمع بحذافيره أبدا - والعرب اليوم - وإن كانوا قليلا - فهم كثيرون بالإسلام. عزيزون بالاجتماع. فكن قطبا، واستدر الرحا بالعرب. واصلهم دونك نار الحرب. فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها. حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك. إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدا يقولوا: هذا أصل العرب، فإذا اقتطعتموه. استرحتم. فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك - فأما ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين فإن الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك. وهو أقدر على تغيير ما كره. وأما ما ذكرت من عددهم. فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة. وإنما كنا نقاتل بالنصر والمعونة».

ولما أخذ عمر بمشورة علي هذه أمَّر سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه على المسلمين في بضع وثلاثين ألفا. وكان جيش الفرس مائة وعشرين ألفا بقيادة يزدجرد رستم وفي هذه المعركة نصر الله المسلمين على الفرس. وأسروا بنات كسرى الثلاث وجئ بهن إلى أمير المؤمنين عمر. فحماهن الإمام علي رضي الله عنه

من السباء ثم زوجهن بالأكفاء لهن من العرب واحدة للحسين بن على . أنجبت له : على زين العابدين . والثانتية . لعبد الله بن عمر . فأنجبت له ولده سالم والثالثة لمحمد بن أبى بكر فانجبت له القاسم .

فكان هؤلاء الأولاد الثلاثة . أبناء الخالات، هم أعلم علماء زمانهم رضى الله عنهم ورحم الله عليا فقد كانت مشورته صائبة وكانت فراسته حقه .

٨ – وروى ابن القيم فى اعلام الموقعين . قال : والأثر المروى عن على رضى الله عنه هو : أن رجلا تزوج امرأة وأراد سفرا . فأخذه أهل امرأته . فجعلها الرجل طالقا إن لم يبعث بنفقتها إلى شهر . فجاء الأجل ولم يُبْعث إليها شئ فلما قدم الرجل من سفره خاصموه إلى على . فقال كرم الله وجهه : إنكم اضطهدتموه حتى جعلها طالقا . ثم رد عليه زوجته .

٩ – وروى الثقات : أن أمير المؤمنين : عمر جئ إليه بامرأة حامل ليقيم عليها الحد وقد اتهمت عنده بالفجور . فأمر بها رضى الله عنه . أن ترجم . ولكن رحمة الله ساقت إليها الإمام كرم الله وجهه فردها عن الحفرة . ثم قال لأمير المؤمنين عمر : هل أمرت بها أن ترجم؟ قال : نعم . اعترفت عندى بالفجور .

فقال الإمام كرم الله وجهه : لعلك انتهرتها أو أخفتها؟ فقال عمر : قد كان ذلك .

فقال الإمام : إن رسول الله ﷺ يقول : « لا حد على معترف بعد بلاء » .

ومن قيد أو حبس أو هدد . فلا إقرار له .

ولم يجد عمر رضى الله عنه . ندحة عن إخلاء سبيلها، فتركها ثم قال : « عجز النساء أن يلدن مثل على » ثم قال : « لولا على لهلك عمر » .

١٠ – ومن أقضيته كرم الله وجهه – ما يرويه العلامة : التسترى . من أن أمير المؤمنين عمر جئ إليه بخمسة نفر أخذوا فى قضية الزنى . فأمر رضى الله عنه أن يقام على كل واحد منهم الحد . فجاء الإمام على كرم الله وجهه . فقال : ليس هذا حكمهم يا أمير المؤمنين فقال له عمر : أقم أنت عليهم الحد يا أبا الحسن .

قام فقدم واحدا منهم فضرب عنقه . ثم قدم الثانى فرجمه . ثم قدم الثالث فضربه الحد ثم قدم الرابع فضربه نصف الحد . ثم قدم الخامس فعزره .

فتحير أمير المؤمنين عمر وتحير الناس معه . فقال له : يا أبا الحسن . خمسة نفر فى قضية واحدة . أقمت عليهم خمسة حدود، وليس منها شئ يشبه الآخر .

فقال الإمام كرم الله وجهه : أما الأول : فكان ذميا ، خرج عن ذمته . فلم يكن له حكم إلا السيف . وأما الثانى : فرجل محصن فحده الرجم . وأما الثالث : فغير محصن . فحده الجلد وأما الرابع : فعبد ، فضربناه نصف الحد . وأما الخامس : فمجنون مغلوب على عقله فعزرناه .

١١ – روى القرطبى عن الشعبى . قال : بلغ عمر بن الخطاب أن امرأة من قريش تزوجها رجل من ثقيف فى عدتها . فاستقدمها عمر مع زوجها . وفرق بينهما قائلا له : « لا تتزوجها أبدا » ثم جعل أمير المؤمنين عمر . صداقها فى بيت المال . وقد فشا ذلك فى الناس .

فلما بلغ الإمام – كرم الله وجهه – جعل يقول : « يرحم الله أمير المؤمنين عمر » ما بال الصداق وبيت المال ؟ إنما جهل الزوجان . فعلى الإمام أن يردهما إلى السنة » .

فقال له قائل : فما تقول أنت فيهما ؟ فقال : « لها الصداق بما استحل منها . . ويفرق بينهما . ولا جلد عليهما . . وعليها أن تكمل عدتها من الأول . ثم تعتد من الثانى عدة كاملة ثلاثة أقراء . ثم يخطبها الرجل إن شاء » .

فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر . خطب الناس فقال :

« أيها الناس . ردوا الجهالات إلى سنة رسول الله ﷺ . وليس لأحد أن يفتى فى المسجد وعليّ حاضر » أ.هـ [بتصرف إمام الأئمة] .

١٢ – وذكر ابن القيم فى الطرق الحكمية . من قضايا ثبوت النسب . فقال :

ومن الحكم بالفراسة والامارات. ما رواه محمد بن عبيد الله بن أبى رافع عن أبيه قال: خاصم غلام من الأنصار أمه إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه. فجحدته. فسأله البينة فلم تكن عنده، وجاءت المرأة بنفر فشهدوا أنها لم تتزوج. وأن الغلام كاذب عليها، وقد قذفها فأمر عمر بضربه. فلقيه على رضى الله عنه. فسأل عن أمرهم. فأخبر. فدعاهم، ثم قعد فى مسجد النبى ﷺ، وسأل المرأة فجحدت. فقال للغلام: أجحدها كما جحدتك فقال: يا ابن عم رسول الله ﷺ: إنها أمى. قال: اجحدها. وأنا أبوك والحسن والحسين أخواك. قال: قد جحدتها وأنكرتها. فقال علىّ لأولياء المرأة: أمرى فى هذه المرأة جائز؟ قالوا: وفينا أيضا. فقال على: أشهد من حضرنى أنى قد زوجت هذا الغلام من هذه المرأة الغريبة منه. يا قنبر. ائتنى بطينة فيها دراهم. فأتاه بها. فعد أربعمائة وثمنين درهما، فدفعها مهرا لها. وقال للغلام: خذ بيد امرأتك ولا تأتنا إلا وعليك أثر العرس.

فلما ولى. قالت المرأة: يا أبا الحسن: الله. الله. هو النار. هو والله ابنى.

قال: وكيف ذلك؟ قالت: إن أباه كان هجينا. وإن إخوتى زوجونى منه. فحملت بهذا الغلام، وخرج الرجل غازيا فقتل. وبعثت بهذا إلى حى بنى فلان. فنشأ فيهم وأنفت أن يكون ابنى.

فقال على: أنا أبو الحسن. وألحقه بها. وثبت نسبه.

١٣ – ومن ذلك: أن عمر بن الخطاب سأل رجلا كيف أنت؟ فقال: ممن يحب الفتنة ويكره الحق. ويشهد على ما لم يره. فأمر به إلى السجن. فأمر علىّ برده، وقال: صدق قال: كيف صدقته؟ قال: يحب المال والولد، وقدقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن: ١٥] ويكره الموت. وهو حق، ويشهد أن محمدا رسول الله، ولم يره.

فأمر عمر بإطلاقه، وقال: الله أعلم حيث يجعل رسالاته.

١٤– على يفتضح محتالة: وقال جعفر بن محمد– الصادق – أتى عمر بن

الخطاب رضى الله عنه بامرأة قد تعلقت بشاب من الأنصار. وكانت تهواه. فلما لم يساعدها احتالت عليه. فأخذت بيضة. فألقت صفرتها. وصبت البياض على ثوبها وبين فخذيها.

ثم جاءت إلى عمر صارخة فقالت: هذا الرجل غلبنى على نفسى وفضحنى فى أهلى. وهذا أثر فعاله فسأل عمر النساء: فقلن له: إن ببدنها وثوبها أثر المنى فهم بعقوبة الشاب. فجعل يستغيث ويقول: يا أمير المؤمنين. تثبت فى أمرى. فوالله ما أتيت فاحشة وما هممت بها. فلقد راودتنى عن نفسى. فاعتصمت.

فقال عمر: يا أبا الحسن ما ترى فى أمرهما؟ فنظر علىّ إلى ما على الثوب. ثم دعا بماء حار شديد الغليان. فصب على الثوب فجمد ذلك البياض. ثم أخذه واشتمه وذاقه. فعرف طعم البيض. وزجر المرأة. فاعترفت.

١٥ – وقضى على فى امرأة تزوجت. فلما كان ليلة زفافها. أدخلت صديقها الحجلة – بيت العروس – سرا. وجاء الزوج. فدخل الحجلة فوثب إليه الصديق فاقتتلا. فقتل الزوج. الصديق فقامت المرأة فقتلته.

فقضى بدية الصديق على المرأة. ثم قتلها بالزوج.

وإنما قضى بدية الصديق عليها. لأنها هى التى عرضته لقتل الزوج له. فكانت هى المتسببة فى قتله وكانت أولى بالضمان من الزوج المباشر. لأن المباشر قتله قتلا مأوذنا فيه. دفعا عن حرمته.

فهذا من أحسن القضاء الذى لا يهتدى إليه كثير من الفقهاء. وهو الصواب. أ. هـ ابن القيم.

١٦ – ضمان ما أتلف إذا كان مالا متقوما عند المتلف له. كالثوب والطعام ونحوهما:

قال على: «من خرّق ثوبا لغيره أو أكل طعاما لغيره أو كسر عودا لغيره ضمن».

وروى زيدين على فى مسنده أن مسلما قتل خنزيرا لنصرانى فضمنه على قيمته وقال: «إنما أعطيناهم الذمة على أن يتركوا يستحلون من دينهم ما كانوا يستحلون من قبل».

١٧ - ويجوز للمسلم أن يؤجر نفسه من كافر ليعمل عنده. وقد أجر على نفسه من يهودى يستقى له كل دلو بتمرة. وأتى النبى ﷺ فأكل منه وفى رواية: أنه اشترط أن تكون هذه التمرة جلدة.

١٨ - وقال: «أيما رجل خرج إلى أرض فضاء فحضرت الصلاة. فليتخير أطيب البقاع وأنظفها فإن كل بقعة تحب أن يذكر فيها الله. فإن شاء أذن وأقام. وإن شاء أقام وصلى».

وقال: «لا تؤذن المرأة ولا تقيم».

وقال: «المؤذن أملك بالآذان» أى أنه أمير نفسه يؤذن متى شاء متى دخل الوقت.

١٩ - وقال: «ليس لمستكره طلاق».

٢٠ - وقال رضى الله عنه فى إقامة العدل بين الناس:

(ثلاث من كن فيه من الأئمة صلح: أن يكون إماما اضطلع بأمانته. إذا عدل فى حكمه. ولم يحجب دون رعيته. وأقام كتاب الله فى القريب والبعيد).

وقال: (خمسة إلى الإمام: صلاة الجمعة، والعيدين، وأخذ الصدقات، والحدود، والقضاء، والقصاص).

٢١ - ذكر أبو عبيد بن سلام فى الأموال: (أن عليا لم يرزأ بيت مال المسلمين حتى فارق الدنيا، غير جبة محشوة. وخميصة دار بجر دية) - نسبة إلى: درا بجرد .

وروى أحمد في المسند عن عبد الله بن زرير قال: دخلت على عليّ كرم الله وجهه يوم الأضحى. فقرب إلينا حريرة. فقلت: أصلحك الله. لو قربت إلينا من هذا البط، فإن الله قد أكثر الخير. فقال: يا ابن زرير: إني سمعت رسول الله - عليه الصلاة والسلام - يقول: (لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان. قصعة يأكلها هو وأهله. وقصعة يضعها بين يدى الناس).

٢٢ - اتفقت الرواية عن على كرم الله وجهه أن شهادة المرأة لا تقبل فى الحدود ولا فى القصاص ولا فى النكاح ولا فى الطلاق.

قال على: (لا تجوز شهادة النساء. فى الطلاق والنكاح والحدود والدماء) [المصنف ٨/ ٣٢٩] وتقبل شهادة النساء فيما عدا ذلك.

٢٣ - وكان الإمام رضى الله عنه يقول فى سجوده:

اللهم لك سجدت. ولك أسلمت. وبك آمنت. وعليك توكلت. وأنت ربى. سجد لك سمعى وبصرى ولحمى ودمى وعظامى وعصبى وشعرى وبشرى. سبحان الله سبحان الله.

وفى رواية: سبحان ربى الأعلى ثلاثا.. قال رضى الله عنه: أحب الكلام إلى الله أن يقول العبد وهو ساجد: رب إنى ظلمت نفسى كثيرا فاغفر لى.

ولا يقرأ فى سجوده شيئا من القرآن الكريم. قال على كرم الله وجهه: «لا تقرأ وأنت راكع ولا أنت ساجد».

٢٤ - وكان على رضى الله عنه يجيز المسح على الجوربين. ويجعله كالمسح على الخفين فعن كعب بن عبد الله قال. رأيت على بن أبى طالب رضى الله عنه بال فمسح على جوربيه ونعليه. [كنز العمال ٢٧٦١٦].

٢٥ - ولا يجب الوضوء مما مسته النار سواء أكان لحم جزور أو غيرها. وقد كان على لا يتوضأ مما مسته النار. وروى البيهقى: أن عليًّا طعم خبزا ولحما. فقيل له: ألا تتوضأ؟ فقال: إن الوضوء مما خرج وليس مما دخل.

وفي مصنف «ابن أبي شيبة: أن عليا أكل لحم جزور ثم قام فصلى ولم يتوضأ(١). أ. هـ ونكتفي بهذا القدر من فتاوى الإمام وقضائه. وهو قدر مع قلته يبصرنا بما كان عليه الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من العلم والفقه. وبما كان يمتع به من سعة الأفق والقدرة على الفهم الصحيح الواعي لأحكام الشريعة الإسلامية. رضي الله عنه وأرضاه.

* * *

(١) الفقرات من ١٦ - ٢٥ نقلا من كتاب: موسوعة فقه علي بن أبي طالب للدكتور / محمد رواس قلعة جي وهو كتاب ممتاز في موضوعه وفي الجهد المبذول فيه من المؤلف جزاه الله تعالى عن هذه الموسوعة بأجزائها خير الجزاء.

الإمام والتصوف

لقد بلغ من قدر الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورفعة شأنه. أن علماء المسلمين فى كل مجال من مجالات العلم يزعمون انتسابهم فى العلم إليه، وهذا يبين لنا مدى احترام العلماء له. وطلبهم طلب الشرف بالانتساب فى العلم للإمام كرم الله وجهه.

فعلماء الكلام أو العقيدة من معتزلة وأشاعرة يزعمون أن أئمتهم قد نهلوا علمهم منه والفقهاء يزعمون أن الأئمة الأربعة قد استمدوا علمهم من علمه ومعارفه. فيقولون: إن الإمام مالك أخذ عن ربيعة الرأى. وأخذ ربيعة عن عكرمة وأخذ عكرمة عن ابن عباس وأخذ ابن عباس عن الإمام على رضى الله عنه.

وأخذ الشافعى عن مالك. وأخذ أحمد عن الشافعى. وأخذ أبو حنيفة عن جعفر الصادق. وأخذ جعفر عن آبائه عن الإمام كرم الله وجهه.

والشيعة بكل طوائفهم يزعمون أنهم أخذوا عن الإمام وأولاده رضى الله عنهم.

وكذلك المتصوفة جميعا ينهون نسبتهم العلمية إلى حبيب العجمى إلى الحسن البصرى إلى الإمام على رضى الله عنه.

إن التصوف الإسلامى منهج تربوى روحى لإخضاع النفس وتهذيبها. لتخلص فى العبادة لله عز وجل وتتحرر من ربقة الحياة الدنيا ومتعها الزائفة وتدخل فى ديوان المؤمنين المتقين الذين يعبدون الله تعالى عبادة إيمانية صادقة تطهر بها قلوبهم وتصفو بها نفوسهم وتسمو بها أرواحهم حتى تفنى إرادة العبد فى إرادة ربه عز وجل. ويسلم الوجه لله تعالى فيترقى من حال إلى حال ومن مقام إلى مقام حتى يصير وليا لله تعالى يتولى الله بالصدق والرضا والإخلاص فى الطاعة فيتولاه الله تعالى بالعناية وبالرعاية والمحبة حتى يكون من الذين يحبهم ويحبونه والتصوف علم مستمد من الكتاب والسنة وقائم على الصدق والمعرفة.

ووسيلة المحافظة على الفرض والسنة، وسياجة الأدب وحسن الخلق. ومعلمه شيخ يتولى التربية تجب طاعته والولاء له. وثقافته: فقه فى الدين وعلم بالأحكام «من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق. ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق» كما قال الإمام مالك رضى الله عنه.

ولنا أن نتساءل: هل فى علم الإمام كرم الله وجهه وفى عبادته ونصائحهما ما يسع المتصوفه؟

يجيب على تساؤلنا هذا: الإمام على رضى الله عنه فيقول:

إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله سبحانه: هو الإيمان به وبرسوله. ثم الجهاد فى سبيله فإنه ذروة الإسلام. وكذلك كلمة الإخلاص فإنها الفطرة. وإقام الصلاة فإنها لله. وإيتاء الزكاة فإنها الفريضة الواجبة وصوم رمضان فإنه جنة من العقاب وحج البيت واعتماره فإنهما ينفيان الفقر ويدحضان الذنب، وصلة الرحم فإنها مثراة فى المال ومنسأة فى الأجل وصدقة السر فإنها تكفر الخطيئة. وصدقة العلانية فإنها تدفع ميتة السوء، وصنائع المعروف فإنها تقى مصارع الهوان. أفيضوا فى ذكر الله فإنه أحسن الذكر. وارغبوا فيما وعد المتقين. فإن وعده أصدق الوعد. واقتدوا بهدى نبيكم فإنه أفضل الهدى. واستنوا بسنته فإنها أهدى السنن، وتعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث. وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور. وأحسنوا تلاوته فإنه أنفع القصص. وإن العالم بغير علمه كالجاهل الحائر الذى لا يستفيق من جهله، بل الحجة عليه أعظم والحسرة له ألزم وهو عند الله ألوم».

وقال أيضا: أيها الناس إنه من استنصح الله وفقه. ومن اتخذ قوله دليلا هداه للتى هى أقوم. فإن جار الله آمن. وعدوه خائف. وليس ينبغى لمن عرف عظمة ربه أن يتعظم فإن رفعة الذين يعلمون عظمة ربهم أن يتواضعوا له. وإن سلامة الذين يعلمون قدرته أن يستسلموا له. فلا تنفروا من الحق أيها الناس نفار الصحيح مع الأجرب أو نفار البارئ من ذوى السقم، ثم اعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذى تركه ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذى

نقضه. ولن تتمسكوا به حتى تعرفوا الذى نبذه. فالتمسوا ذلك عند أهله فإنهم عيش العلم وموت الجهل. هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم. وصمتهم عن نطقهم. وظاهرهم عن باطنهم. لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه. فهو بينهم «شاهد صادق وصامت ناطق».

لقد كان الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه. مؤمنا صادقا وتقيا مخلصا وزاهدا راضيا وورعا راشدا. وكريما سخيا. فهو أول المؤمنين وأول المصلين. لقد رباه النبى ﷺ على عينه. واهتدى بهديه وعمل بسنته وورث علمه وحجته. وشرب من رحيق وده وطعم من زبدة مدده. فأحسن التوكل على ربه. وتفانى فى مجاهدة هواه ونفسه مرضاة لربه تعالى قال رضى الله عنه «البخل عار والجبن منقصة والفقر يخرس الفطن عن حجته والمقل غريب فى بلدته. والعجز آفة والصبر شجاعة والزهد ثروة والورع جنة».

««نعم القرين الرضى. والعلم وراثة كريمة. والآداب جلل مجددة. والفكر مرآة صافية».

«إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره. وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه» وقال كرم الله وجهه: «يا ابن آدم. إذا رأيت ربك سبحانه يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره». «طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضى الله عنه» وقال: «أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الإبل لكانت لذلك أهلا: لا يرجون أحد منكم إلا ربه. ولا يخاض إلا ذنبه. ولا يستحين أحد إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم. ولا يستحين أحد إذا لم يعلم الشئ أن يتعلمه وعليكم بالصبر فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد ولا خير فى جسد بغير رأس ولا فى إيمان لا صبر معه».

وقال: «من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس. ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه. ومن كان له من نفسه واعظ. كان عليه من الله حافظ».

وعن عمار بن ياسر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعلى: (إن الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب منها. هى زينة الأبرار عند الله. الزهد فى الدنيا. فجعلك لا ترزأ الدنيا منك شيئا. وحبب لك المساكين فجعلك ترضى بهم أتباعا ويرضون بك إماما» قال الطبرى: أخرجه أبو الخير الحاكمى.

وأخرج الحافظ الثقفى فى الأربعين عن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا على: كيف أنت إذا زهد الناس فى الآخرة. ورغبوا فى الدنيا. وأكلوا التراث أكلا لماً وأحبوا المال حبا جما واتخذوا دين الله دغلا ومال الله دولا؟»

قلت: أتركهم وما اختاروا. وأختار الله ورسوله والدار الآخرة. وأصبر على مصيبات الدنيا وبلواها حتى ألحق بك إن شاء الله تعالى.

قال: «صدقت. اللهم أفعل ذلك به».

وعن ابن حيان التيمى عن أبيه قال: رأيت على بن أبى طالب على المنبر يقول: من يشترى منى سيفى هذا؟ فلو كان عندى ثمن إزار ما بعته. فقام إليه رجل فقال: أسلفك ثمن إزار وقال عبد الرزاق: وكانت بيده الدنيا كلها إلا ما كان من الشام.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: حدثنى رجل من ثقيف. أن عليا قال له: إذا كان عند الظهر فَرحْ عَلَىَّ. قال: فرحت إليه. فلم أجد عنده حاجبا يحجبنى دونه. ووجدته خاليا. وعنده قدح وكوز من ماء فدعى بظبية – جراب صغير عليه شعر – فقلت فى نفسي: لقد أمنثى حين يخرج إلى جوهرا. ولا أدرى ما فيها فإن عليها خاتم. فكسر الخاتم فإذا فيها سويق. فأخذ منه قبضة فى القدح وصب عليه ماء فشرب وسقانى فلم أصبر. فقلت: يا أمير المؤمنين: أتصنع هذا بالعراق. وطعام العراق أكثر من ذلك. فقال: والله ما أختم عليه بخلابه. ولكنى أبتاع قدر ما يكفينى. فأخاف أن يفنى فيوضع فيه من غيره. وإنما حفظى لذلك. وأكره أن يدخل بطنى إلا طيبا. أ. هـ (الرياض النضرة: ٦٨٧، ٦٨٨).

وقد كان كرم الله وجهه شديد الحب لله ولرسوله ﷺ حتى بلغ من حبه

للنبى أنه كان شديد الحياء منه صلوات الله عليه. يقول عليّ رضى الله عنه: كنت رجلا مذاء، فكنت أستحى أن أسأل رسول الله ﷺ لمكان ابنته منى. فأمرت المقداد بن الأسود فقال: (يغسل ذكره ويتوضأ) [متفق عليه].

لقد كان عليا كرم الله وجهه صادقا فى عبوديته لله تعالى. ولم يكن يشغله شاغل عن ربه عز وجل. وكيف وهو شيخ المتقين وإمام الزاهدين. يدل على ذلك دعواته التى نجتزى منها قوله فى دعائه: «اللهم اغفر لى ما أنت أعلم به منى. فإن عدت فعد على بالمغفرة. اللهم إنى أعوذ بك أن أفتقر فى غناك. أو أضل فى هداك. أو أضام فى سلطانك. أو أضطهد والأمر لك اللهم اجعل نفسى أول كريمة تنتزعها من كرائمى. وأول وديعة ترتجعها من ودائع نعمك عندى اللهم إنا نعوذ بك أن نذهب عن قولك. أو نفتن عن دينك. أو تتتابع بنا أهواؤنا دون الهدى الذى جاء من عندك».

اللهم صن وجهى باليسار. ولا تبذل جاهى بالإقتار. فأسترزق طالبى رزقك. واستعطف شرار خلقك. وأبتلى بحمد من أعطانى. وأفتتن بذم من منعنى. وأنت من وراء ذلك كله ولى الإعطاء والمنع. وأنت على كل شئ قدير.

اللهم أنت آنس الآنسين لأوليائك. وأحضرهم بالكفاية للمتوكلين عليك. تشاهدهم فى سرائرهم. وتطلع عليهم فى ضمائرهم. وتعلم مبلغ بصائرهم. فأسرارهم لك مكشوفة وقلوبهم إليك ملهوفة. إن أوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك. وإن صبت عليهم البلايا لجأوا إلى الاستجارة بك. علما بأن أزمة الأمور بيدك. ومصادرها عن قضائك اللهم إن فههت - الفهاهة: العى - عن مسألتى أو عمهت - تحيرت - عن طلبى. فدلنى على مصالحى. وخذ بقلبى إلى مراشدى. فليس ذلك بنكر من هداياتك ولا بدع من كفاياتك.

اللهم احملنى على فضلك. ولا تحملنى على عدلك. يا أرحم الراحمين(١).

---

(١) على إمام الأئمة: ٢٦٣، ٢٦٤.

وأخرج الإمام أحمد فى الزهد[1] عن مهاجر بن عمر عن على عليه السلام قال: إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتين: طول الأمل واتباع الهوى. فأما طول الأمل فينسى الآخرة وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق ألا وأن الدنيا قد ولت مدبرة والآخرة مقبلة. ولكل واحد منهما بنون. فكونوا من أبناء الآخرة. ولا تكونوا من أبناء الدنيا. فإن اليوم عمل ولا حساب. وغدا حساب ولا عمل. أ. هـ.

رحم الله تعالى أبا الحسن. وحق للصوفية أن يدعوا أنه إمامهم وواضع مبادئ طريقهم ومن لهم يقتدون به بعد رسول الله ﷺ إلا صحابته الأعلام وعلى رأسهم سيدنا الإمام كرم الله وجهه. فلقد ملأ طباق الأرض فتوة وشجاعة وعلما وعبادة وزهدا حتى قال بعض العلماء: لقد كان علم عليّ وزهده أقرب إلى ما عليه رسول الله ﷺ غير أنه لا يوحى إليه. وعلمه وزهده رضى الله عنه مكتسب من علم وزهد رحمة الله للعالمين وإمام الأنبياء والمرسلين ﷺ.

* * *

(١) الزهد: ١٦٢، ١٦٣.

الإمام ولغة العرب وآدابها

إن اللغة العربية هى : لغة القرآن الكريم ومفتاح تدبر آياته وفهمه . لذا حظيت اللغة باهتمام الإمام كرم الله وجهه . فلقد أمر أبا الأسود الدؤلى بوضع قواعد اللغة وتصنيفها . بعد ما كثر الأعاجم فى الإسلام . وخاف الإمام على لغة القرآن أن ينالها من الأعاجم ما يؤثر فيها من لغاتهم ولكناتها . وكانت هذه لفتة كريمة تدل على مدى حبه للإسلام والقرآن وحرصه على سلامة اللغة العربية .

فقد جاءه أعرابى فقال : يا أمير المؤمنين كيف تقرأ هذا الحرف : لا يأكله إلا الخاطون كُلٌّ والله يخطو؟ فتبسم على وقال : ﴿ **لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ** ﴾ [الحاقة : ٣٧] .

قال : صدقت يا أمير المؤمنين . ما كان الله ليسلم عبده .

ثم التفت علىّ إلى أبى الأسود الدؤلى . فقال : إن الأعاجم قد دخلت فى الدين كافة فضع للناس شيئا يستدلون به على صلاح ألسنتهم . فرسم له الرفع والنصب والخفض فأمر على أبا الأسود بوضع شئ فى النحو لما سمع اللحن . فسارع أبو الأسود لذلك وبعد أن فرغ منه عرضه على الإمام . فقال على معجبا : (ما أحسن هذا النحو الذى نحوت) فمن ثم سمى : النحو نحوا[(١)] .

لقد كان اهتمام الإمام باللغة عظيما . وكانت معرفته باستخدام اللغة أكثر عظمة . فلقد كان رضى الله عنه فصيحا بليغا . يشهد بذلك ما جمعه الشريف الرضى رحمه الله تعالى . من صحيح ما نسب إلى الإمام من خطب وكتب ومواعظ وأوامر ورسائل .

يقول الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى شارح كتاب نهج البلاغة :

---

(١) الخلفاء الراشدون : ٤٩٦ ، ٤٩٧ .

تصفحت بعض صفحاته. وتأملت جملا من عباراته من مواضع مختلفات ومواضع متفرقات فكان يخيل إلى فى كل مقام أن حروبا شبت. وغارات شنت. وأن للبلاغة دولة. وللفصاحة صولة. كنت كلما انتقلت من موضع منه إلى موضع أحسن بتغير المشاهد وتحول المعاهد فتارة كنت أجدنى فى عالم يعمره من المعانى أرواح عالية. فى حلل من العبارات الزاهية تطوف على النفوس الزاكية. وتدنو من القلوب الصافية. توحى إليها رشادها وتقوم منها مرادها وتنفر بها عن مداحض المزال إلى جواد الفضل والكمال.

وطورا كانت تنكشف لى الجمل عن وجوه باسرة وأنياب كاشرة. وأرواح فى أشباح النمور ومخالب النسور فى تحفز للوثاب. ثم انقضت للاختلاب. فخلبت القلوب عن هواها وأخذت الخواطر دون مرماها. واغتالت فاسد الأهواء وباطل الآراء.

وأحيانا كنت أشهد أن عقلا نورانيا لا يشبه خلقا جسدانيا. فصل عن الموكب الإلهى واتصل بالروح الإنسانى فخلعه عن غاشيات الطبيعة. وسما به إلى الملكوت الأعلى. ونما به إلى مشهد النور الأجلى. وسكن به إلى عمار جانب التقديس بعد استخلاصه من شوائب التلبيس.. إلخ.

ويقول الشيخ محمد حسن نائل الموصفى فى مقدمة شرحه للكتاب المذكور: ذلك الكتاب الذى أقامه الله حجة واضحة على أن عليا رضى الله عنه قد كان أحسن مثال حى لنور القرآن وحكمته. وعلمه وهدايته. وإعجازه وفصاحته. اجتمع لعلىّ فى هذا الكتاب ما لم يجتمع لكبار الحكماء وأفذاذ الفلاسفة ونوابغ الربانيين. من آيات الحكمة السامية وقواعد السياسة المستقيمة. ومن كل موعظة باهرة وحجة بالغة تشهد له بالفضل وحسن الأثر. خاض على فى هذا الكتاب لجة العلم والسياسة والدين. فكان فى كل هذه المسائل نابغة مبرزا. ولئن سألت عن مكان كتابه من الأدب بعد أن عرفت مكانه من العلم. فليس فى وسع الكاتب المسترسل والخطيب المصقع والشاعر المفلق. أن يبلغ الغاية من وصفه والنهاية من تقريظه. وحسبنا أن نقول إنه الملتقى الفذ الذى التقى فيه جمال

الحضارة وجزالة البداوة. والمنزل الفرد الذى اختارته الحقيقة لنفسها منزلا تطمئن فيه وتأوى إليه بعد أن زلت بها المنازل فى كل لغة. أ. هـ.

ويقول العقاد: وليس الإمام علىّ. أول من كتب الرسائل وألقى العظات. وأطال الخطب على المنابر فى الأمة الإسلامية. ولكنه ولا ريب. أول من عالج هذه الفنون معالجة أديب وأول من أضفى عليها صبغة الإنشاء الذى يقتدى به فى الأساليب. لأن الذين سبقوه كانوا يصوغون كلامهم صياغة مبلغين. لا صياغة منشئين ويقصدون إلى أداءما أرادوه ولا يقصدون إلى فن الأداء وصناعة التعبير. ولكن الإمام عليا تعلم الكتابة صغيرا.

ودرس الكلام البليغ من روايات الألسن وتدوين الأوراق. وانتظر بالبلاغة حتى خرجت من طور البداهة الأولى. إلى طور التفنن والتجويد. فاستقام له أسلوب مطبوع مصنوع هو فيما نرى أول أساليب الإنشاء الفنى فى اللغة العربية.

وأول أسلوب ظهرت فيه آثار دراسة القرآن والاستفادة من قدوته وسياقه. وتأتى له بسليقته الأدبية أن يأخذ من فحولة البداوة. ومن تهذيب الحضارة. ومن أنماط التفكير الجديد الذى ابتدعته المعرفة الدينية والثقافة الإسلامية. أ. هـ.

والإمام على كرم الله وجهه. قرض الشعر أيضا وقاله فى مناسبات كثيرة. ولقد غالى بعض الناس واختلفوا فى أمر شعره. وهم بهذا معذورون. لخوفهم أن ينسب إليه ما ليس له كما هو الشأن فى بعض الأمور الأخرى.

يقول أبو عثمان المازنى. لم يقل علىّ من الشعر إلا هذين البيتين ولم يصح عنه غيرهما. وهما:

تلكم قريش تمنانى لتقتلنى ... فلا وربك ما بْروا ولا ظفروا
فإن هلكت فرهن ذمتى لهم ... بذات ودقين لا يعفو لها أثر

وقال الشيخ حسن العطار: أنه لم يصح عن الإمام على رضى الله عنه إلا بيت واحد. وهو:

سبقتكم إلى الإسلام طرّا ... صغيرا ما بلغت أوان حلمى

وأقول: إن شاعرية الشاعر وإجادته للشعر لا تحسب بكثرة شعره ولربما يقول الشاعر قصيدة واحدة أو قصيدتين. تظهر فيهما شاعريته واستعداده لنظمه.

وربما يكثر آخر من نظم الشعر ولا تدل الكثرة على شاعريته لركاكة شعره وعدم ترابطه يقول الأستاذ العقاد: وعندنا أنه رضى الله عنه كان ينظم الشعر ويحسن النظر فيه. والعقاد ناقد للشعراء عليم بهذا الفن وبصير بأهله.

وحسبنا من شعر عليّ رضى الله عنه ما يلى:

محمد النبى أخى وصهرى ... وحمزة سيد الشهداء عمى
وجعفر الذى يمسى ويضحى ... يطير مع الملائكة ابن أمى
وبنت محمد سكنى وعرسى ... منوط لحمها بدمى ولحمى
وسبطا أحمد ولداى منها ... فأيكم له سهم كسهمى
سبقتكم إلى الإسلام طرًّا ... صغيرا ما بلغت أوان حلمى
وصليت الصلاة وكنت فردا ... فمن ذا يدعى يوما كيومى

وقال أبياتا يصف بها قبيلة همدان فى وقعة صفين:

ولما رأيت الخيل ترجم بالقنا ... فوارسها حمر النمور روام
وأعرض نقع فى السماء كأنه ... عجاجة وجن ملبس بقتام
ونادى ابن هند فى الكلاع وحمير ... وكندة فى لخم وحى جذام
تيممت هذان الذين هم هم ... إذا ناب زهر جنتى وسهامى
فجاوبنى من خيل همدان عصبة ... فوارس من همدان غير لئام
فخاضوا لظاها واستطاروا شرارها ... وكانوا لدى الهيجا كشرب مدام
فلو كنت رضوانا على باب جنة ... لقلت لهمدان: ادخلوا بسلام

وقال يحث الناس على الثقة بالفرج من عند الله تعالى وعدم اليأس من روحه سبحانه:

إذا اشتملت على اليأس القلوب ... وضاق بهمها الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت ... وأرست فى أماكنها الخطوب
ولم ير لانكشاف الضر وجه ... ولا أغنَى بحيلته الأريب

أتاك على قنوط منك غوث ... يجئ به القريب المستجيب
وكل الحادثات إذا تناهت ... فموصول بها الفرج القريب

وقال رضى الله عنه ينهى عن الاستسلام لأمور الدنيا والانشغال الكامل بهمومها:

حقيق بالتواضع من يموت ... ويكفى المرء من دنياه قوت
فما للمرء يصبح ذا هموم ... وحرص ليس تدركه النعوت
صنيع مليكنا حسن جميل ... وما أرزاقه عنا تفوت
فيا هذا سترحل عن قليل ... إلى قوم كلامهم السكوت

وقال ناصحا ومبينا كيف يختار المرء صديقه:

فلا تصحب أخا الجهل ... وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى ... حليما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء ... إذا ما هو ما شاء
وللشئ من الشئ ... مقاييس وأشباه
قياس النعل بالنعل ... إذا ما هو حاذاه
وللقلب على القلب ... دليل حين يلقاه

وأقول بما قالته الدكتورة سعاد ماهر رحمها الله تعالى: (لولا تلك المعوقات لكان «على» أمير الشعراء كما كان إمام الخطباء وسيد البلغاء)(١) وبعد هذه السياحة المفيدة والثرية فى رحاب علم شيخ العلماء وإمام الأئمة الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه. لا يسعنى إلا أن أتوجه إلى الله العلى الكبير – وأنا أقف على باب محراب الإمام رضى الله عنه أن يجزيه عن أمة الإسلام وعن نبى الإسلام ﷺ وعن العترة الطاهرة – خير الجزاء وأحسن المثوبة.

---

(١) راجع أدبيات على وبلاغته وأدبه فى كتب: مشهد الإمام على فى النجف. د. سعاد ماهر. والخلفاء الراشدون عبد الستار الشيخ. وعلى إمام الأئمة: الشيخ أحمد حسن الباقورى والخلفاء الراشدون الشيخ عبد الوهاب النجار. ونهج البلاغه للشريف الرضى.

إن من البيان لسحرا

إن فى بطون الكتب نفائس من خطب ونصائح الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى مجالات شتى من مجالات الحياة الدنيا وقضايا الإيمان والإسلام فى العقيدة والعبادة والأخلاق بكلام بليغ مثل اللؤلؤ المنظوم والدر المنثور. ومواعظه تملك القلوب وتحرك الجوارح. وخطبه التى تأخذ بالألباب وتبهر العقول بمنطق فذرشيد. وحجج ودلائل قوية دامغة يقول عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: (ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله ﷺ كانتفاعى بكتاب كتب به إلى على بن أبى طالب. فإنه كتب إلى:

أما بعد: فإن المرء يسوءه فوت ما لم يكن ليدركه. ويسره دَرْك ما لم يكن ليفوته. فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك. وليكن أسفك على ما فاتك منها. وما نلت من دنياك فلا تكثرن به فرحا وما فاتك منها. فلا تأس عليه حزنا. وليكن همك فيما بعد الموت).

فمن خطبه الفصيحة البليغة:

صعد المنبر ذات يوم. فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: (عباد الله: الموت ليس منه فوت. إن أقمتم له أخذكم. وإن فررتم منه أدرككم. فالنجا النجا. والوحا. الوحا - أى السرعة - إن وراءكم طالب حثيث: القبر. فاحذروا ضغطته وظلمته ووحشته. ألا وإن القبر حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ألا وإنه يتكلم فى كل يوم ثلاث مرات فيقول: أنا بيت الظلمة. أنا بيت الدود. أنا بيت الوحشة. ألا وإن ذلك يوم يشيب فيه الصغير. ويسكر فيه الكبير﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج: ٢] ألا وإن وراء ذلك كله ما هو أشد منه. نار حرها شديد وقعرها بعيد. وحليها ومقامعها حديد وماؤها صديد. وخازنها مالك ليس لله فيه

رحمة. ثم بكئ وبكى المسلمون حوله. ثم قال: ألا وراء ذلك جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين. جعلنا الله وإياكم من المتقين. وأجارنا وإياكم من العذاب الأليم.

ومن خطبه أيضا: قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: اعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من زهرة الحياة الدنيا على سبيل من قد مضى. ممن كان أطول منكم أعمارا. وأشد منكم بطشا. وأعمر ديارا وأبعد آثارا. فأصبحت أموالهم هامدة. وأجسادهم بالية. وديارهم خالية. وآثارهم عافية - أى ممحوة - فاستبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق الممهدة. الصخور والأحجار فى القبور التى قد بنى على الخراب فناؤها وشيد بالتراب بناؤها. فمحلها مقترب. وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين. لا يستأنسون بالعمران. ولا يتواصلون تواصل الجيران والإخوان. على ما بينهم من قرب الجوار. ودنو الدار. وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلى. وأظلتهم الجنادل والثرى. فأصبحوا بعد الحياة أمواتا. وبعد غضارة العيش رفاتا. فجع بهم الأحباب. وسكنوا التراب. وظعنوا فليس لهم إياب. هيهات. هيهات. هيهات ﴿ **كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] وكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلى. والوحدة فى دار المثوى. وارتهنتم فى ذلك المضجع. وضمكم ذلك المستودع. فكيف بكم لو قد تناهت الأمور وبعثرت القبور وحصل ما فى الصدور. ووقفتم للتحصيل بين يدى الملك الجليل. فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب. وهتكت عنكم الحجب والأستار. وظهرت منكم العيوب والأسرار. هنالك ﴿ **لِيَجْزِيَ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ** ﴾ [غافر: ١٧] إن الله عز وجل يقول: ﴿ **لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى** ﴾ [النجم: ٣١] وقال: ﴿ **وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** ﴾ [الكهف: ٤٩] جعلنا الله

وإياكم عاملين بكتابه. متبعين لأوليائه حتى يحلنا دار المقامة من فضله. إنه حميد مجيد.

وخطب الناس فقال: أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع. وإن الآخرة قد اقبلت وأشرفت باطلاع. وإن المضمار اليوم وغدا السباق. ألا وإنكم فى أيام أمل من ورائه أجل فمن قصر فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد خاب عمله. ألا فاعملوا لله فى الرغبة كما تعملون له فى الرهبة. ألا وإنى لم أر كالجنة نام طالبها. ولم أر كالنار نام هاربها. ألا وإنه من لم ينفعه الحق ضره الباطل. ومن لم يستقم به الهدى جار به الضلال. ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد.

ألا أيها الناس: إنما الدنيا عرض حاضر. يأكل منه البار والفاجر وإن الآخرة وعد صادق يحكم فيه ملك قادر. ألا وإن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم.

أيها الناس: أحسنوا فى أعماركم تحفظوا فى أعقابكم. فإن الله وعد جنته من أطاعه. وأوعد ناره من عصاه. إنها نار لا يهدأ زفيرها. ولا يفك أسيرها. ولا يجبر كسيرها. حرها شديد. وقعرها بعيد وماؤها صديد. وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل.

ومن مواعظه البليغة: قوله فى الاستعداد للآخرة والإقبال على عبادة الله وطاعته: ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة. وإن الآخرة قد أتت مقبلة. ولكل واحدة بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا. ألا وإن الزاهدين فى الدنيا اتخذوا الأرض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا. ألا من اشتاق إلى الآخرة سلا عن الشهوات. ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ومن طلب الجنة سارع إلى الطاعات. ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصائب. ألا وإن لله عبادا كمن رأى أهل الجنة فى الجنة مخلدين. وأهل النار فى النار معذبين، شرورهم مأمونة. وقلوبهم محزونة وأنفسهم عفيفة. وحوائجهم خفيفة. صبروا أياما قليلة لعقبى راحة طويلة. أما الليل فصافون أقدامهم. تجرى دموعهم على

خدودهم. يجأرون إلى الله فى فكاك رقابهم. وأما النهار فظماء حلماء بررة أتقياء كأنهم القداح. ينظر إليهم الناظر فيقول: مرضى وما بالقلوب من مرض. وخلطوا ولقد خالط القوم أمر عظيم.

وقال فى الرضا بقضاء الله وقدره: من رضى بقضاء الله جرى عليه وكان له أجر. ومن لم يرض بقضاء الله جرى عليه وحبط عمله.

وقال فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

الجهاد ثلاثة: جهاد بيد، وجهاد بلسان، وجهاد بقلب. فأول ما يغلب عليه من الجهاد. جهاد اليد ثم جهاد اللسان، ثم جهاد القلب، فإذا كان القلب لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا. نكس وجعل أعلاه أسفله.

ثم يبين للناس أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا ينقص رزقا ولا يسرع بأجل فقال: اعلموا أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يقطع ولا يقرب أجلا. إن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر إلى كل نفس بما قدر الله لها من زيادة أو نقصان فى أهل أو مال أو نفس الحرث حرثان: المال والبنون حرث الدنيا. والعمل الصالح حرث الآخرة. وقد يجمعهما الله لأقوام ورهب من المعصية فقال: جزاء المعصية الوهن فى العبادة والضيق فى المعيشة والنقص فى اللذة. قيل: وما النقص فى اللذة؟ قال: لا ينال شهوة حلال إلا جاءه ما ينغصه إياها وقال يحث على العمل الصالح: أشد الأعمال ثلاثة: إعطاء الحق من نفسك. وذكر الله على كل حال. ومواساة الأخ فى المال.

وقال لابنه محمد بن الحنفية: يا بنى إنى أخاف عليك الفقر. فاستعذ بالله منه. فإن الفقر منقصة للدين. مدهشة للعقل. داعية للمقت.

وقال أيضا: يأتى على الناس زمان لا يقَرّب فيه إلا الماحل – الذى يتقرب إلى الناس بالسعاية والوشاية – ولا يظرف فيه إلا الفاجر. ولا يضعف فيه إلا المنصف. يُعدّون الصدقة فيه غرما. وصلة الرحم منًّا والعبادة استطالة على الناس.

فعند ذلك يكون السلطان بمشورة النساء وإمارة الصبيان وتدبير الخصيان – جمع خصيّ.

وسئل عن الخير. فقال: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك. ولكن الخير أن يكثر علمك وأن يعظم حلمك. وأن تباهى الناس بعبادة ربك. فإن أحسنت حمدت الله. وإن أسأت استغفرت الله ولا خير فى الدنيا إلا لرجلين: رجل أذنب ذنوبا فهو يتداركها بالتوبة. ورجل يسارع فى الخيرات وقال رضى الله عنه من الحكم:

* أربع القليل منهن كثير: النار والعداوة والمرض والفقر.

* أربع يمتن القلب: الذنب على الذنب. وملاحاة الأحمق – أى منازعته – وكثرة مثافنة النساء – أى مجالستهن وملازمتهن – والجلوس مع الموتى.

قالوا: ومن الموتى يا أمير المؤمنين؟.. قال: كل عبد مترف.

* أربعة تدعو إلى الجنة: كتمان المصيبة. وكتمان الصدقة. وبر الوالدين. والإكثار من قول (لا إله إلا الله).

* أربعة من الشقاء: جار السوء. وولد السوء. وامرأة السوء. والمنزل الضيق.

* اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبينا. وكثرة عدونا. وتشتت أهوائنا.

فهذا قليل من كثير مما تعج به كتب التراث. والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

* * *

أمير المؤمنين

(١) قضية الخلافة :

لقد أجمع جمهور العلماء على أنه لابد من إمام يقيم الجمع وينظم الجماعات . وينفذ الحدود، ويجمع الذكوات من الأغنياء ليردها على الفقراء . ويحمى الثغور . ويفصل بين الناس فى الخصومات . بالقضاة الذين يعينهم . ويوحد الكلمة . وينفذ أحكام الشرع ويلم الشعث ويجمع المتفرق، ويقيم المدينة الفاضلة التى حث الإسلام على إقامتها على هذا أجمع المسلمون . وعلى هذا استقام أمر الدين فى صدر تاريخه . ولقد اتفق الجمهور على أربعة شروط فى الإمام لكى تكون إمامته خلافة نبوية . ولا تكون ملكا عضوضا .

وهذه الشروط هى : القرشية، والبيعة، والشورى، والعدالة .

(أ) القرشية : أن يكون الإمام قرشيا، وذلك للأحاديث الواردة فى فضل قريش روى عن النبى ﷺ قال : « الأئمة فى قريش » . وقوله : « لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى من الناس اثنان » .

وروى فى الصحيحين أن النبى ﷺ قال : « الناس تبع لقريش فى هذا الشأن، مسلمهم تبع لمسلمهم . وكافرهم تبع لكافرهم » .

وروى أيضا « الناس تبع لقريش فى الخير والشر » .

وروى البخارى عن معاوية رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين » فهذه الأحاديث تشير إلى فضل قريش . وحسبها فضلا وشرفا أن النبى ﷺ منهم كما أن هذه الأحاديث – وإن كانت تدعو إلى أن تكون الإمامة من قريش – لا تدل على طلب الوجوب . بل يصح أن تكون بيانا للأفضلية وليس لأصل صحة الخلافة .

فالخلافة تكون صحيحة من قريش ومن غيرها ما أقاموا الدين، ولكن الأولى أن تكون الإمامة من قريش. فهى دلالة فضل وليست دلالة وجوب. ويدل على ذلك ما يلى: روى فى الصحيحين عن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال: «إن خليلى أوصانى أن أسمع وأطيع. وإن ولى عليكم عبد حبشى مجدع الأنف».

وفى صحيح البخارى روى أن رسول الله ﷺ قال: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة» وفى صحيح مسلم عن أم الحصين أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن استعمل عليكم عبد أسود مجدع يقودكم بكتاب الله تعالى. فاسمعوا وأطيعوا» فإذا تحققت التقوى فى قريش قدموا على ما عداهم. وعلى هذا الأساس: انعقد الإجماع فى اختيار أبى بكر الصديق رضى الله عنه خليفة لرسول الله ﷺ.

(ب) البيعة: هى الشرط الثانى الذى أجمع عليه الجمهور. وتكون «البيعة» من أولى الحل والعقد والجنود وجماهير المسلمين. يعطون الخليفة عهدا على السمع والطاعة فى المنشط والمكره ما لم تكن معصية. ويعطيهم العهد على أن يقيم الحدود والفرائض. ويسير على سنة العدل. وعلى مقتضى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وعلى هذا بايع الصحابة الكرام رسول الله ﷺ تحت الشجرة:

قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [الفتح: ١٠].

وعلى هذا الأساس بايع المسلمون أبا بكر رضى الله عنه فى سقيفة بنى ساعدة وفى المسجد النبوى الشريف. ولما عين أبو بكر وعمرَ بن الخطاب رضى الله عنهما. وافق المسلمون على هذا الترشيح وبايعوه. ولما اختار أهل الشورى: عثمان بن عفان رضى الله عنه بايعه المسلمون على هذا الاختيار. ولما قتل عثمان. بايع المسلمون - ماعدا أهل الشام - على بن أبى طالب كرم الله وجهه واستمر أمر البيعة حتى العصر الأموى والخلفاء الأولين من بنى العباس.

ولقد كانت البيعة فى عصر الصحابة رضى الله عنهم. تقوم على: الرأى الحر، والتزام الطاعة اختيارا وليس جبرا. ولكن فى الدولة الأموية وفى أول الخلافة العباسية كان الاختيار جبرا.

(جـ) الشـورى: وهى الشرط الثالث. وهو: يجب أن يكون الاختيار بشورى المسلمين وذلك أن الحكم فى الشريعة الإسلامية فى أصل وضعه. شورى. لقول الله تعالى: ﴿ **وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الشورى: ٣٨].

وقوله تعالى آمرا النبى ﷺ: (وشاورهم فى الأمر) وقد كان النبى ﷺ يأخذ بالشورى فى عامة أموره التى كانت تهم المسلمين ولم ينزل فيها وحى. وبناء عليه. فإن كان الحكم فى الإسلام شوريا. فإنه يجب أن يكون الاختيار شوريا أيضا. ولذلك عيب على سيدنا معاوية بن أبى سفيان. تحويله الحكم الإسلامى. ليكون حكما وراثيا وذلك لأخذ البيعة جبرا وفقدت الشورى معناها.

يقول الحسن البصرى رضى الله عنه فى حكم معاوية رضى الله عنه: (أربع خصال فى معاوية. لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة: خروجه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتهزها بغير مشورة منهم. واستخلافه يزيد وهو سكير خمير يلبس الحرير ويضرب بالطنابير. وادعاؤه زيادا[١]. وقد قال ﷺ «الولد للفراش وللعاهر الحجر» وقتله حجر بن عدى – رضى الله عنه – فبااله من حجر وأصحاب حجر) وأهل الشورى فى عصر الصحابة الكرام: هم أهل المدينة من المهاجرين والأنصار لشرفهم ولسبقهم إلى الإسلامهم وقربهم – الدائم – من رسول الله ﷺ وتلقيهم أحكام الدين وأموره منه بخلاف غيرهم من سكان المدن والقرى البعيدة.

(د) العدالة: وهو الشرط الرابع والأخير الذى يجب أن يتوفر فى الخلافة النبوية فالإمام الأعظم يجب عليه أن يقيم العدل فى رعيته. وأن يكون عدلا فى ذاته. فلا يؤثر ذوى القرابة أو الصداقة. ولا يقدم أحداً لهوى. ولا يؤثر المحب

(١) زياد ابن أبيه، ألحقه معاوية بأبى سفيان رغم أنه مشكوك فى أبيه.

ويبعد المبغض. وأن يعين القضاة وأمراء الأمصار ممن يصلح لها ويقيم العدل بين أهلها ويتقى الله تعالى فى رعيته. ويقيم دين الله تعالى.

شدد النبى ﷺ على هذا الأمر فقال «من ولى من أمتى شيئا. فأمر أحدا محاباة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا».

وقال ﷺ «من استعمل رجلا على عصابة - جماعة - وفيهم من هو أرضى لله فقد خان الله ورسوله والمؤمنين».

وقال صلوات الله وسلامه عليه داعيا «اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به. ومن شدد عليهم فاشدد عليه».

فالعدل من الإمام مطلوب وجوبا وليس اختيارا قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا** ﴾ [النساء: ١٣٥]

فالعدالة واجبة حتى مع الأعداء. يقول سبحانه ﴿ **وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ** ﴾ [المائدة: ٨]

طلب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه. من الإمام الحسن البصرى رحمه الله تعالى أن يصف له الإمام العادل، فكتب إليه الحسن[١] يقول: «اعلم يا أمير المؤمنين أن الله قد جعل الإمام العدل قوام كل مائل. وقصد كل جائر. وصلاح كل فاسد. وقوة كل ضعيف. ونصفة كل مظلوم ومفزع كل ملهوف.

والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق على إبله. الرقيق الذى يرتاد لها أطيب المراعى ويذودها عن مراتع الهلكة. ويحميها من السباع ويكنها من

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية: ٨٧، ٨٨.

أذى الحر والقر – البرد الشديد – والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأب الحانى على ولده. يسعى لهم صغارا ويعلمهم كبارا، يكتسب لهم فى حياته ويدخر لهم بعد مماته. والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها. حملته ووضعته كرها. وربته طفلا تسكن بسكونه. ترضعه تارة وتقطعه أخرى وتفرح بعافيته وتهتم بشكايته، والإمام العدل يا أمير المؤمنين كوصى اليتامى وخازن المساكين. يربى صغيرهم ويمون كبيرهم. والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح تصلح الجوانح بصلاحه. وتفسد بفساده. والإمام العدل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله. ويسمعهم. وينظر إلى الله ويريهم. وينقاد إلى الله ويقودهم. فلا تكن يا أمير المؤمنين كعبد ائتمنه سيده. واستحفظه ماله وعياله. فبدد المال. وشرد العيال فأفقد أهله. وفرق ماله. واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزع بها عن الخبائث والفواحش. فكيف إذا أتاهم من يليها. وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده. فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم. واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده. وقلة أشياعك عنده وأنصارك عليه. فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر. واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلا غير منزلك الذى أنت فيه. يطول به ثواؤك. ويفارقك أحباؤك. يسلموك فى قعره فريدا وحيدا. فتزود له بما يصحبك «يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه» واذكر يا أمير المؤمنين إذا بعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور. فالأسرار ظاهرة. والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. فالآن يا أمير المؤمنين وإنك فى مهل. وقبل حلول الأجل وانقطاع الأمل. لا تحكم يا أمير المؤمنين بحكم الجاهلين. ولا تسلك بهم فى سبيل الظالمين. ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين. فإنهم لا يرقبون فى مؤمن إلاً ولا دفة فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك. وتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك. ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك. ويأكلون الطيبات فى دنياهم بذهاب طيباتك فى آخرتك. لا تنظر إلى قدرتك اليوم. ولكن انظر إلى قدرتك غدا وأنت مأسور فى حبائل الموت وموقف بين يدى الله فى مجمع الملائكة والنبيين والمرسلين «وعنت

الوجوه للحى القيوم» وإنى يا أمير المؤمنين. وإن لم أبلغ بعظتى ما بلغه أولو النهى من قبلى. لم آل من شفقة ونصحا. فأنزل كتابى عليك كمداوى حبيبه بسقيه الأدوية الكريهة. لما يرجو له من العافية والصحة.. والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته» أ.هـ.

رحم الله الحسن البصرى فهذا كتاب جامع مانع. تهتز له القلوب. وينتفع به المتقون وهذا من علم التابعين. فما بالك بعلم السادة المتقين: أصحاب النبى ﷺ الكرام البررة رضى الله عنهم.

ولنا أن نتساءل: ما الحكم إذا خرج الحاكم عن هذه الشروط أو عن بعضها؟ يقول مالك والشافعى وأحمد فى عبارة واحدة ورادة عنهم:

إن ولايته لا تعتبر خلافة نبوية. ولكنها تعتبر ملكا دنيويا. وطاعتهم واجبة ولا يجوز الخروج عليهم حتى لا يؤدى الخروج إلى فتنة يضيع فيها الحق ويغلب الشح المطاع ويتبع الهوى وننصح لهم. ولهم حق السمع والطاعة إذا أمروا إلا فى معصية الله فلا سمع ولا طاعة ورد فى الصحيح أن النبى ﷺ قال: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره. فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».

ويجب قتال البغاة معه والخارجين على نظام الأمة حتى لا تسود الفوضى ويضيع الحق نطق بهذا ما سبق ذكره من النصوص. وما بقى فهو كثير وليس هذا مجال استقصائه. والله أعلم(١).

---

(١) راجع فى هذا الموضوع الخلافة والأحكام السلطانية للماوردى وتاريخ المذاهب الاسلامية لأبى زهرة وغيرهما كثير.

(٢) رابع الراشدين :

(أ) فى صحبة الراشدين الثلاثة (أبى بكر وعمر وعثمان) :

إذا لم يكن على بن أبى طالب كرم الله وجهه يعرف لهؤلاء الثلاثة فضلهم وتقواهم وشرفهم ومنزلتهم . فمن يا ترى غيره يعرف لهم ذلك من الصحب الكرام؟

إن الإمام رضى الله عنه كان وحده من الناس أكثر من غيره معرفة بأبى بكر . وعمر . وعثمان رضى الله عنهم وعن سائر الصحابة والتابعين لهم بإحسان .

لقد كان يعيش معهم على الأخلاق التى رباهم عليها رسول الله ﷺ يحبهم ويجلهم . ويعترف بفضلهم على رءوس الأشهاد فى حياة رسول الله ﷺ وبعد انتقاله للرفيق الأعلى . وهم كانوا يبادلونه حبا يجب وإجلالا بإجلال . لأنهم كانوا وغيرهم – يقدرونه حق قدره . فهو أسبقهم إسلاما وأكثرهم شجاعة وأعلاهم فتوة . لقد نام فى فراش رسول الله ﷺ فى ليلة الهجرة متحديا قريش وهو بعد لم يزل فى ريعان شبابه . وشاركهم فى حروبهم ومغازيهم فكان البطل المغوار وهو صهر رسول الله ﷺ زوج الزهراء وأبو الحسنين وزينب وأم كلثوم رضى الله عنهم . وهو حبيب رسول الله الذي يحبه الله ورسوله . وهو آخر الناس عهدا برسول الله ﷺ مثل ما كان أولهم معرفة بنبوته وهو صبى لم يبلغ الحلم .

كما أنه كان يعرف لهم حسن صحبتهم للنبى ﷺ ، فأبو بكر رضى الله عنه حبيب رسول الله وأول الرجال إسلاما ورفيقه فى الغار والحامى له فى مركز القيادة فى الغزاوات والحروب . وهو صهره أبو عائشة الصديقة رضى الله عنها . وهو الذى كان يمد الرسول يده ويأخذ من ماله ما يشاء وعمر بن الخطاب رضى الله عنه . الصاحب الأمين الذى جعل الله الحق على قلبه ولسانه . الذى وافق ربه فى مواضع أنزل الله فيها آيات . ولم يتخلف عن مغازى رسول الله ﷺ وأبو حفصة زوج رسول الله ﷺ فى الدنيا وفى الجنة كما أخبره بذلك الوحى عليه السلام وعثمان

ابن عفان رضى الله عنه أشد الناس حياء. مجهز جيش العسرة والمهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة. إلى الله ورسوله. ذى النورين «يا عثمان لو كان عندنا مائة بنت لزوجناكهم الواحدة بعد الأخرى» لقد كان الإمام كرم الله وجهه يعرف لهم فضلهم ومناقبهم كما كان لهم ردءا يصدقهم بما يقولون ويصدقهم بما يقول. يبذل لهم الرأى والمشورة. ويقف معهم صفا واحدا ،فى خندق واحد أمام الملمات والمواقف الصعبة. لا يسلمهم لمكروه. بل كان يفديهم بنفسه وولده رضى الله عنهم ولكن وهم الواهمين واختراع الأفاكين وكذب الحاقدين والمعاندين من القدماء والمحدثين علاوة على غلو المتنطعين. قد صور للناس العلاقة بينهم فى صورة باهتة ومشوهة. يلهث خلفها الأعداء والحقدة والجهلة والمتعصبون ويرون فيها بغيتهم. والمادة التى يتناولونها فى أحاديثهم وكتبهم.

فما عرف التقاة الثقات عليًّا إلا منصفا لأصحابه ومراعيا لحقوقهم ومحافظا على عهودهم ومواثيقهم. فما عرف التقيّة يوما. ولا تطرق إليه الشك لحظة بأفضليتهم. ولا خاف من إظهار وصية مزعومة. ادعاها بعض الدجالين والأفاكين. فما كان علىّ رضى الله عنه يعرف الخوف إلى قلبه سبيلا فلو كانت له وصية لعرفها الصحابة ولطالب علىّ بتنفيذها. وهو كان رجلا قويا فى الحق وجريئا فى الطلب. ولكن ماذا نقول لأصحاب الأهواء ممن افتروا الكذب على رسول الله ﷺ وعلى صحبه الكرام؟ يقول الإمام كرم الله وجهه: (قدّم رسول الله ﷺ أبا بكر يصلى بالناس. وأنا حاضر غير غائب. وصحيح غير مريض، ولو شاء أن يقدمنى لقدمنى فرضينا لدنيانا من رضيه الله ورسوله – عليه السلام – لديننا).

ولما بويع الصديق فى (سقيفة بنى ساعدة) صعد المنبر فنظر فى وجوه القوم. فلم ير الزبير بن العوام. فدعا بالزبير فجاء فبايعه. ثم نظر فى وجوه القوم. فلم ير عليا. فدعا يعلى. فجاء فقال أبو بكر: (قلت ابن عم رسول الله ﷺ وختنه على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين)؟

قال: (لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ) فبايعه بالمسجد فى أول يوم أو

فى اليوم الثانى من وفاة النبى ﷺ. وبقى ملازما لأبى بكر. لم يفارقه فى وقت من الأوقات. ولم ينقطع فى واحدة من الصلوات[1]. أ.هـ. وأما موضوع السيدة فاطمة الزهراء مع سيدنا أبى بكر رضى الله عنهما فهو ميراث رسول الله ﷺ وليس المطالبة بتولية سيدنا على كرم الله وجهه.

روى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت: (إن فاطمة بنت رسول الله ﷺ سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه. فقال لها أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركناه صدقة»).

وأخرج الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه. أن فاطمة جاءت أبا بكر وعمر تسأل ميراثها من رسول الله ﷺ. فقالا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «إنى لا أورث» قالت: «والله لا أكلمكما أبدا» فماتت ولا تكلمهما وأخرج ابن سعد فى الطبقات الكبرى عن عامر قال: جاء أبو بكر إلى فاطمة حين مرضت فاستأذن. فقال على: هذا أبو بكر على الباب. فإن شئت أن تأذنى له.

قالت: وذلك أحب إليك؟ قال: نعم. فدخل عليها واعتذر إليها وكلمها. فرضيت عنه. أ.هـ. لقد صور الحاقدون على الصحابة والجاهلون هذا الموضوع على غير حقيقته، فالأمر لا يعدو أن يكون مجرد سؤال من الزهراء لخليفة رسول الله ﷺ عن حقها فى الميراث فأخبرها الصديق بحكم رسول الله ﷺ. فعرفت لماذا منعت وغيرها من ميراث رسول الله ﷺ.

ولنا أن نتساءل: هل يتصور مخلوق أن سيدنا أبا بكر الصديق رضى الله عنه يمنع ميراث رسول الله ﷺ عن ورثته دون أن يكون عنده مبرر شرعى من الكتاب أو السنة. ألا يعرف أبو بكر قدر آل بيت النبوة وفضلهم؟ أهذا من العدل المطلوب منه أن يسوس الرعية به؟ إن من يتصور أن الصديق رضى الله عنه يظلم

(١) الخلفاء الراشدون: ٥١٠، ٥١١.

ورثة رسول الله ﷺ ويمنعهم حقهم. هو إنسان جاهل بأخلاق الصحابة الكرام ولا يعرف طبيعة العلاقة الإيمانية القائمة بينهم.

ويزعم الأفاكون ودعاة الفتنة أن سيدنا على وسيدتنا الزهراء خاصما أبا بكر وماتت فاطمة رضى الله عنها وهى عليه غضبى. ولم يكلمه على إلا بعد وفاة الزهراء رضى الله عنها.

والحقيقة أن عليا بايع أبا بكر بعد الانتهاء من دفن الرسول ﷺ. ثم بعد ذلك انشغل فى جمع المصحف وكتابته مدة ستة أشهر أو أكثر.

وأما الزهراء رضى الله عنها فإنها لما أخبرها أبو بكر بقول الرسول ﷺ رضيت وباركته وماتت عنه راضية. إن من يقول غير ذلك فهو كاذب يشكك فى أصحاب رسول الله ﷺ. فهل يعقل أن أبا بكر يخبر الزهراء بحديث النبى صلوات الله وسلامه عليه وهى تكذبه؟ والزهراء خير من يعلم مكانة أبى بكر عند رسول الله ﷺ.

روى البخارى عن عقبة بن الحارث رضى الله عنه قال: خرجت مع أبى بكر من صلاة العصر بعد وفاة رسول الله ﷺ بليال. وعلى يمشى إلى جنبه. فمر بالحسن بن على يلعب مع غلمان فاحتمله – أبو بكر – على رقبته. وهو يقول: (بأبى شبيه بالنبى. ليس شبيها بعلى) قال: وعلى يضحك.

فهذه الرواية تكذب مزاعم الأفاكين من دعاة الفتنة ممن يحقدون على الصحابة الكرام ولما خطب الصديق خطبته بعد تولى الخلافة فقال: (ما كنت حريصا على الإمارة يوما ولا ليلة ولا سألتها فى سر ولا علانية) فقبل المهاجرون مقالته.

وقال علىّ والزبير (ما غضبنا إلا لأنا أخرنا عن المشورة. وإنا نرى أبا بكر أحق الناس بها. إنه لصاحب الغار، وإنا لنعرف شرفه وخبره ولقد أمره رسول الله ﷺ أن يصلى بالناس وهو حى).

بل إن الإمام عليا رضى الله عنه لما قدم البصرة - وهو أمير المؤمنين - فى أمر طلحة وأصحابه قام ابن الكوّاء وقيس ابن عباد. فقالا له: يا أمير المؤمنين. أخبرنا عن مسيرك هذا. أوصية أوصاك بها رسول الله ﷺ. أم عهدا عهده عندك. أم رأيا رأيته حين تفرقت الأمة واختلفت كلمتها؟

فقال: (أما أن يكون عندى عهد من رسول الله ﷺ فى ذلك. فلا. والله لئن كنت أول من صدق. لا أكون أول من كذب عليه. ولو كان عندى عهد من النبى ﷺ فى ذلك. ما تركت أخابنى تيم بن مرة - أبا بكر - وعمر بن الخطاب على منبره. ولقاتلتهما بيدى ولو لم أجد إلا بردتى هذه. ولكن رسول الله ﷺ لم يقُتل قتلا. ولم يمت فجاءة مكث فى مرضه أياما وليالى. يأتيه المؤذن. فيؤذنه بالصلاة، فيأمر أبا بكر فيصلى بالناس وهو يرى مكانى. ولقد أرادت امرأة من نسائه - عائشة - صرفه عن أبى بكر. فأبى وغضب وقال: «إنكن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس».

فلما قبض الله نبيه ﷺ. نظرنا فى أمورنا. فاخترنا لدنيانا من رضيه ﷺ لديننا. وكانت الصلاة أعظم شعار فى الإسلام وقوام الدين. فبايعنا أبا بكر فكان أهلا لذلك. لم يختلف عليه منا إثنان، ولم يشهد بعضنا على بعض. ولم نقطع البراءة فأديت إلى أبى بكر حقه، وعرفت له طاعته، وغزوت معه فى جنوده، وكنت آخذ إذا أعطانى وأغزو إذا أغزانى، واضرب بين يديه الحدود بسوطى.

فلما قبض ولاها عمر بن الخطاب. فأخذ بسنة صاحبه وما تفرق من أمره. فبايعنا عمر. لم يختلف عليه منا إثنان. ولم يشهد بعضنا على بعض. ولم نقطع البراءة. فأديت إلى عمر حقه وعرفت له طاعته. وغزوت معه فى جنوده، وكنت آخذ إذا أعطانى. وأغزو إذا أغزانى وأضرب بين يديه الحدود بسوطى.

فلما قبض ذكرت فى نفس قرابتى وسابقتى وفضلى. وأنا أظن أنه لن يعدل بى، ولكن خشى أن لا يعمل الخليفة بعده ذنبا إلا لحقه فى قبره، فأخرج منها نفسه وولده - ولو كانت محاباة منه لآثر ولده - وبرئ منها إلى رهط من قريش

ستة. أنا أحدهم. فلما اجتمع الرهط تذكرت فى نفسى قرابتى وسابقتى، وأنا أظن أن لا يعدلوا بى فأخذ عبد الرحمن - بن عوف - مواثيقنا على أن نسمع ونطيع لمن ولاه الله عز وجل أمرنا ثم ضرب بيده على يد عثمان فبايعه. فنظرت فى أمرى. فإذا طاعتى قد سبقت بيعتى. وإذا ميثاقى قد أخذ لغيرى. فبايعنا عثمان. وأديت إلى عثمان حقه. وعرفت له طاعته وغزوت معه فى جيوشه. فكنت آخذ إذا أعطانى، وأغزو إذا أغزانى، وأضرب بين يديه الحدود بسوطى.

فلما أصيب عثمان. نظرت فى أمرى. فإذا الخليفتان اللذان أخذاها بعهد رسول الله ﷺ إليهما فى الصلاة قد مضيا، وهذا الذى أخذ له ميثاقنا قد أصيب فبايعنى أهل هذين المصرين[(١)]. أ.هـ.

لقد بايع علىّ رضى الله عنه أبا بكر خليفة لرسول الله ﷺ عندما استقبل الأيام الأولى من خلافته. وكان يصلى خلفه ويحضر للمشورة، وشهد معه حروب الردة وقتال مانعى الزكاة. فقد جعل أبو بكر رضى الله عنه حراسا على مداخل المدينة يبيتون بالجيوش حولها. وكان من أمراء الحرس على بن أبى طالب والزبير بن العوام وغيرهما وعندما رأى المسلمون عزم الخليفة على أن يقاتل بنفسه. أخذ علىّ بزمام راحلته وقال له: (إلى أين يا خليفة رسول الله ﷺ؟ أقول لك ما قال لك رسول الله ﷺ يوم أحد «شمّ سيفك. ولا تفجعنا بنفسك» فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبدا) فرجع أبو بكر وأمضى الجيش.

وكان أبو بكر يسأله ويستفتيه ويقول له: (أفتنا يا أبا الحسن) ولما أراد أبو بكر غزو الروم دعا كبار الصحابة ومنهم الإمام على كرم الله وجهه واستمع لرأيهم ثم توجه إلى على فقال له: ماذا ترى يا أبا الحسن؟

فقال: أرى أنك إن سرت إليهم بنفسك أو بعثت إليهم، نصرت عليهم إن شاء الله.

فقال: بشرك الله بخير. ومن أين علمت ذلك؟

---

(١) الخلفاء الراشدون: ٥١١ - ٥١٣.

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال هذا الدين ظاهرا على من ناوأه حتى يقوم الدين وأهله ظاهرون».

فقال: سبحان الله. ما أحسن هذا الحديث، لقد سررتنى به سرك الله. ولما ولى علىّ كرم الله وجهه الخلافه جاءه رجل فقال له: يا أمير المؤمنين. ما بال المهاجرين والأنصار قدموا أبا بكر، وأنت أو فى منه منقبة، وأقدم منه سلما - أى إسلاما - وأسبق سابقة؟. قال: إن كُنْتَ قرشيا فأحسبك من عائذة - قبيلة من قريش -؟

قال: نعم. قال: لولا أن المؤمن عائذ الله لقتلتك. ولئن بقيت ليأتينك منى روعة حصراء. ويحك. إن أبا بكر سبقنى إلى أربع: سبقنى إلى الإيمان. وتقديم الإمامة. وتقديم الهجرة وإلى الغار، وإفشاء الإسلام، ويحك إن الله ذم الناس كلهم ومدح أبا بكر فقال: ﴿ **إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ** ﴾ [التوبة: ٤٠].

وبلغه أن عبد الله بن سبأ قال كلاما يفضله فيه على أبى بكر وعمر - خبثا وكيدا - فهم علىّ بقتله. فقيل له: أتقتل رجلا إنما أجلّك وفضلك؟

فقال رضى الله عنه: (لاجرم. لا يساكننى فى بلد أنا فيها)

ولما مات أبو بكر رضى الله عنه. قال الإمام كرم الله وجهه: (رحمك الله أبا بكر كنت والله أول القوم إسلاما وأخصلهم إيمانا وأشدهم يقينا، صدقت رسول الله ﷺ حين كذبه الناس. وواسيته حين بخلوا. وقمت معه حين قعدوا. كنت والله للإسلام حصنا وللكافرين ناكبا. لم تهن حجّتك. ولم تضعف بصيرتك. ولم تجبن نفسك).

وبايع المهاجرون والأنصار عمر بن الخطاب رضى الله عنه أميرا للمؤمنين كوصية أبى بكر رضى الله عنه وكان على رضى الله عنه فى جملة المبالغين وفى أولهم، وكان على كرم الله وجهه مستشاره ومفتيه فى سنوات حكمه. ولما قرر الصحابة تحديد راتب لعمر رضى الله عنه استشارهم فى ذلك. يقول سهل بن حنيف: (مكث عمر رضى الله عنه زمانا طويلا لا يأكل من المال شيئا. حتى

دخلت عليه فى ذلك خصاصة. وأرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فاستشارهم فقال: قد شغلت نفسى فى هذا الأمر. فما يصلح لى منه؟

فقال عثمان بن عفان رضى الله عنه: كل وأطعم. وقال ذلك سعيد بن زيد رضى الله عنه وقال لعلى رضى الله عنه: ما تقول أنت فى ذلك؟ قال: غداء وعشاء. فأخذ بذلك عمر واستخلفه عمر على المدينة لما أراد الخروج لغزو الفرس. كما ولاه قضاءها وكان عمر رضى الله يقول: (على أقضانا).

روى أن امرأة مغيبة - أى غاب عنها زوجها - كان يُدخل عليها. فأنكر عمر ذلك. فأرسل إليها، فقيل لها: أجيبى عمر. فقالت: ياويلها. مالها ولعمر. فبينما هى فى الطريق فزعت فضربها الطلق. فدخلت دارا، فألقت ولدها فصاح الصبى صيحتين ثم مات.

فاستشار عمر أصحاب النبى ﷺ، فأشار عليه بعضهم أن ليس عليك شئ، وإنما أنت والٍ ومؤدِّب. وصمت على رضى الله عنه.

فأقبل عَلَى عَلىّ فقال: ما تقول؟ قال: إن كانوا قالوا برأيهم فقد أخطأ رأيهم. وإن كانوا قالوا فى هواك، فلم ينصحوا لك، أرى أن ديته عليك. فإنك أنت أفزعتها وألقت ولدها بسببك.

فأمر - أى عمر - عليا رضى الله عنه أن يقسم عقله - ديته - على قريش. يعنى يأخذ عقله من قريش. لأنه خطأ. وطلب عمر من علىّ الموعظة. فقال له: عظنى يا أبا الحسن. قال: (لا تجعل يقينك شكا ولا علمك جهلا. ولا ظنك حقا. واعلم أنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت فأمضيت. وقسمت فسوَّيت، ولبست فأبليت).

قال: صدقت يا أبا الحسن.

وقال له: (يا أمير المؤمنين: إن سرك أن تلحق بصاحبيك. فاقصر الأمل. وكل دون الشبع. وقصِّر الإزار. وارقع القميص، واخصف النعل. تلحق بهما).

وروى عن سويد بن غَفَلة قال: مررت بقوم يذكرون أبا بكر وعمر - رضى

الله عنهما – وينتقصونهما. فأتيت عليا – رضى الله عنه – فذكرت ذلك له. فقال:

«لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل. أخوا رسول الله ﷺ ووزيراه» ثم صعد المنبر فخطب فى الناس فقال:

ما بال أقوام يذكرون سيدى قريش وأبو المسلمين بما أنا عنه متنزه ومما يقولون برئ وعلى ما يقولون معاقب؟ والذى فلق الحبة. وبرأ النسمة. وإنه لا يحبهُما إلا مؤمن تقى ولا يبغضهما إلا فاجر ردئ: صحبا رسول الله ﷺ بالصدق والوفاء يأمران وينهيان ويعاقبان. فما يجاوزان فيما يصنعان رأى رسول الله ﷺ ولا يرى رسول الله ﷺ كرأيهما رأيا. ولا يحب حبهما حبا.

مضى رسول الله ﷺ وهو عنهما راض والناس راضون. ثم ولى أبو بكر الصلاة. فلما قبض الله نبيه ﷺ ولاه المسلمون ذلك. وفوضوا إليه الزكاة. لأنهما مقرونتان – وكنت أول من يسمى له من بنى عبد المطلب وهو لذلك كاره – أى للخلافة – يود أن بعضنا كفاه. فكان – والله – خير من بقى. أرأفه رأفة وأرحمه رحمة. وأكيسه ورعا. وأقدمه إسلاما. شبهه رسول الله ﷺ بميكائيل رأفة ورحمة. وبإبراهيم عفوا ووقارا. فسار بسيرة رسول الله ﷺ حتى قبض رحمة الله عليه.

ثم ولى الأمر من بعده. عمر بن الخطاب واستؤمر فى ذلك الناس. فمنهم من رضى ومنهم من كره. فكنت ممن رضى. فوالله ما فارق عمر الدنيا حتى رضى من كان له كارها. فأقام الأمر على منهاج النبى ﷺ وصاحبه. يتبع آثارهما كما يتبع الفصيل أثر أمه. وكان – والله – خير من بقى. رفيقا رحيما وناصر المظلوم على الظالم. ثم ضرب الله بالحق على لسانه حتى رأينا مَلَكا ينطق على لسانه. وأعز الله بإسلامه الإسلام. وجعل هجرته للدين قواما. وقذف فى قلوب المؤمنين الحب له. وفى قلوب المنافقين الرهبة له شبهه رسول الله ﷺ بجبريل فظا غليظا على الأعداء. وينوح حَنقاً ومغتاظا على الكافرين.

فمن لكم بمثلهما؟ لا يُبْلغ مبلغهما إلا بالحب لهما. واتباع آثارهما. فمن احبهما فقد احبنى. ومن ابغضهما فقد ابغضنى. وأنا منه برئ. ولو كنت تقدمت – اى نهيت – فى أمرهما لعاقبت أشد العقوبة. فمن أُتيتُ به بعد مقامى هذا فعليه ما على المفترى.

الا وخير هذه الامة بعد نبيها. أبو بكر وعمر. ثم الله أعلم بالخير أين هو. أقول قولى هذا، ويغفر الله لى ولكم.

وقال له فتى من بنى هاشم: سمعتك تخطب يا أمير المؤمنين فى الجمعة تقول: اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين. فمن هم؟

فاغرورقت عينا علىّ وقال: (أبو بكر وعمر – رضى الله عنهما – إماما الهدى وشيخا الإسلام والمهتدى بهما بعد رسول الله ﷺ من اتبعهما هدى إلى صراط مستقيم. ومن اقتدى بهما يرشد، ومن تمسك بهما فهو من حزب الله. وحزب الله هم المفلحون)

ولما قتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجعل الأمر شورى بين ستة نفر من الصحابة هم عثمان وعلى وطلحة وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم. انتهى بهم الأمر إلى اختيار عثمان بن عفان رضى الله عنه ليكون ثالث الراشدين. فكان على دائما فى جواره وصاحب مشورته ومناصر له طيلة مدة خلافته حتى خرج عليه الثوار وجاءوا من مصر والكوفة والبصرة. وجاء المصريون إلى علىّ كرم الله وجهه: قبح فعلهم وقرعهم قائلا: (لقد علم الصالحون أن جيش ذى المروة وذى خشب – جيشا العراقيين – ملعونون على لسان محمد ﷺ. فارجعوا لاصبحكم الله).

ولما هاجت المدينة وماجت وأحاط الثوار بدار عثمان رضى الله عنه وشددوا عليه الحصار حتى نفد عنده الماء. فذهب إليه علىّ ومعه الماء. ولقي جهدا وعنتا شديدين ممن يحاصرون دار الخليفة. فزجرهم وقال لهم: (والله إن فارس والروم لا يفعلون كفعلكم هذا بهذا الرجل، والله إنهم ليأسرون فيطعمون ويسقون).

فأبوا أن يقبلوا من عليّ كلامه، حتى رمى بعمامته وسط الدار .

وحاول عليّ رضى الله عنه نصرته فاعتم بعمامة رسول الله ﷺ وتقلد سيفه . وجاء إلى دار عثمان . وأمامه ابن الحسن وعبد الله بن عمرو ونفر من المهاجرين والأنصار ودخلوا على عثمان فقال عليّ : (والله لا أرى القوم إلا قاتليك . فمرنا فلنقاتل) .

فأبى عثمان عليهم ولما كرر عليه عليّ ورفض الخليفة . قال على : (اللهم إنك تعلم أنا بذلنا المجهود) ثم أتى المسجد . وحضرت الصلاة، فقالوا له : يا أبا الحسن تقدم فصل بالناس فقال : (لا أصلى بكم والإمام محصور ولكن أصلى وحدى) وصلى وحده وانصرف إلى منزله فلحقه ابنه وقال : والله يا أبت قد اقتحموا عليه الدار قال : (إنا لله وإنا إليه راجعون هم والله قاتلوه . قالوا : أين هو يا أبا الحسن؟ قال : فى الجنة – والله – زلفى قالوا : وأين هم يا أبا الحسن؟ قال : فى النار – والله – ثلاثا) .

لقد قال على كرم الله وجهه لولديه : اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحدا يصل إليه بمكروه .

وبعث الزبير ولده . وبعث طلحة ولده على كره منه . وبعث عدة من أصحاب رسول الله ﷺ أبناءهم ليمنعوا الناس أن يدخلوا على عثمان . وسألوه إخراج مروان ورمى الناس عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بن على بالدماء على بابه، وخشى محمد ابن أبى بكر أن تغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين . فأشار على رجلين معه أن يتسورا معه الدار فيقتلونه دون علم أحد .

وبعد مقتل عثمان رضى الله عنه . دخل الحسن والحسين ومن كان معهما فوجدا عثمان قتيلا فأكبوا عليه يبكون وبلغ عليا وطلحة والزبير وسعدا . ومن كان بالمدينة . فخرجوا وقد ذهبت عقولهم حتى دخلوا على عثمان . فوجدوه مقتولا . فاسترجعوا . وقال عليّ لابنيه : كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟

ورفع يده ولطم الحسين وضرب الحسن. وشتم محمد بن طلحة. ولعن عبد الله ابن الزبير، ثم خرج على وهو غضبان. وتبرأ إلى الله من دمه(١).

(ب) خلافته :

قتل الأوباش والمتمردون ذا النورين: عثمان بن عفان رضى الله عنه. أشد الناس حياء مجهز جيش العسرة، صاحب رسول الله ﷺ وختنه على ابنتيه السيدتين رقية وأم كلثوم رضى الله عنهما. مهاجر الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة فرارا بدينه ثالث الراشدين. المقتول ظلما وعدوانا لسبب أو لأسباب هو غير مسئول عنها، فلقد وضع ثقته فيمن لا يستحق الثقة فخانوه بظلمهم للرعية فألبوا عليه الناس. فكان قدر الله تعالى. ورحل عثمان رضى الله عنه عن الدنيا مظلوما. وباء قاتلوه بالخسران المبين والذى نؤكد عليه ونؤمن به أن الصحابة جميعا بريئون من دمه ولم يقصروا فى الدفاع عنه ولكن الأحداث بالمدينة كانت تتوالى سريعا وفوق قدرتهم حتى وقع أمر الله وكان أمر الله قدرا مقدورا، وانتشرت الفوضى بالمدينة المنورة. ولم يرتدع الظلمة بوجودهم بجوار المصطفى ﷺ.

وهزت هذه الأحداث كبار الصحابة رضى الله عنهم وخافوا على الأمة من الضياع فتكون نهبا للناهبين، ومرتعا خصبا للحاقدين والأفاكين والكاذبين والمخادعين وهرع الناس فى لهفة إلى: على بن أبى طالب كرم الله وجهه ويطلبون تولى إمرة المؤمنين وتردد علىّ رضى الله عنه فى قبولها لما وقع من هذه الأحداث الرهيبة على يد القتلة المجرمين. الذين قتلوا الخليفة الراشد: عثمان بن عفان بوحشية مفزعة وهم أولاء بالمدينة متمكنون. وأيديهم ملطخة بدم الشهيد الزكية فكيف بعلى أو غيره أن يتولى هذا الأمر؟

---

(١) راجع: الإصابة لابن حجر. وحلية الأولياء لابى نعيم والخلفاء الراشدون وتاريخ الطبرى ومشارق الانوار للمؤلف.

وتوالت وفود الصحابة على الإمام كرم الله وجهه قائلين: نبايعك فمد يدك. فأنت أحق بها فقال لهم علي: «ليس ذاك إليكم إنما ذاك إلى أهل بدر. فمن رضى به أهل بدر فهو خليفة».

روى محمد ابن الحنفية رضى الله عنه قال: (كنت مع أبى حين قتل عثمان - رضي الله عنه - فقام فدخل منزلة. فأتاه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل. ولابد للناس من إمام. ولا نجد اليوم أحدا أحق بهذا الأمر منك. لا أقدم سابقة ولا أقرب من رسول الله ﷺ فقال: لا تفعلوا فأن أكون وزيرا خير من أن أكون أميرا. فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك قال: ففى المسجد فإن بيعتي لا تكون خفيا. ولا تكون إلا عن رضا المسلمين. قال ابن عباس: فلقد كرهت أن يأتي المسجد مخافة أن يشّغبَ عليه. وأبى هو إلا المسجد. فلما دخل. دخل معه المهاجرون والأنصار فبايعوه. ثم بايعه الناس)(١).

وكان طلحة بن عبيد الله أول من بايع فقال قائل: (أول من بدأ بالبيعة يد شلاء لا يتم هذا الأمر) فكيف يقول هذا وهذه يد مباركة شلت فى الدفاع عن رسول الله ﷺ فى أحد؟ إن هذا القول جهل من قائله.

وبايع الزبير بن العوام بعد طلحة رضى الله عنهما. ثم تتابع الناس فى مبايعته حتى تمت له البيعة العامة من المهاجرين والأنصار. وكل من حضر من أهل المدينة ومن سائر الأمصار ثم بايعه أهل الأمصار وأذعنوا له إلا ما كان من معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه فى أهل الشام.

روى الطبرى فى تاريخه(٢) عن سيف بن عمر التميمى عن أشياخه قالوا: بقيت المدينة بعد قتل عثمان خمسة أيام وأميرها الغافقى بن حرب يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه. يأتى المصريون عليا. فيختبئ منهم ويلوذ بحيطان المدينة (أى يختبى فى بساتينها) فإذا لقوه باعدهم وتبرأ منهم ومن مقالتهم مرة بعد مرة، ويطلب الكوفيون: الزبير فلا يجدونه. فأرسلوا إليه حيث

(١) الخلفاء الراشرون: ٥٣٣.   (٢) تاريخ الطبرى: ٥/ ١٥٥.

هو رسلا فباعدهم وتبرأ من مقالتهم. ويطلب البصريون طلحة. فإذا لقيهم باعدهم وتبرأ من مقالهم. فبعثوا إلى سعد بن أبى وقاص وقالوا:

إنك من أهل الشورى فرأينا فيك مجتمع. فأقدم نبايعك، فبعث إليهم إنى وابن عمر خرجنا منها فلا حاجة لى فيها. ثم إنهم أتوا ابن عمر عبد الله. فقالوا: أنت ابن عمر فقم بهذا الأمر فقال: إن لهذا الأمر انتقاما. والله لا أتعرض له فالتمسوا غيرى. أ.هـ.

وروى الطبرى: أن حبيب بن ذؤيب قال: إن طلحة والزبير بايعا مكرهين[1].

ويقول أبو بكر بن العربى فى العواصم من القواصم (١٤٣) : قلنا: حاشا لله أن يكرها لقد بايع طلحة والزبير حرين مختارين ولم يكرههما أحد على ذلك. ومن قال كانا مكرهين فهو غير موفق كما أنه بذلك يستعدى الناس على أصحاب رسول الله ﷺ. وممن قال بذلك. العقاد فى عبقرية على (٨٤، ٨٥).

ولقد جاءت علىّ كرم الله وجهه الخلافة على قدر وبايعه الناس بإرادة حرة. ولم تأته من وصية مزعومة كما يدعى بعض الناس. فلو كانت هناك وصية من رسول الله ﷺ لعرفها الصحابة ولعرفها علىّ. ولو كان موصي له ولم ينفذ الوصية كان آثما. وأثم كل من حال بينه وبينها لمخالفتهم وصية رسول الله ﷺ ولقد كانت خلافة علىّ كرم الله وجهه على منهاج النبوة ومسيرة الثلاثة الذين سبقوه بالخلافة. روى فى الصحيح عن سفينة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة. ثم ملكا بعد ذلك) وفى رواية أبى بكرة أن النبى ﷺ قال: (خلافة نبوة ثلاثون عاما ثم يؤتى الله ملكه ما يشاء).

وأما موقف أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها من مبايعة على رضى الله عنه. فقد خاض الناس فيه وماجوا وتكلموا بكلام الشيعة الذين يكرهون

---

(١) رواه الطبرى عن أبى المليح الهذلى: ٥/ ١٥٣.

عائشة كراهية عمياء ويتهمونها باتهامات باطلة. لأن السيدة: عائشة رضى الله عنها كانت تعرف قدر علىّ رضى الله عنه وتعرف سابقته ومكانته عند رسول الله ﷺ، وكان على كرم الله وجهه يعرف لعائشة فضلها ومنزلتها عند رسول الله ﷺ وهى أم المؤمنين ولكن من المؤسف نجد الأستاذ العقاد فى عبقرية الإمام على يقول كلاما يجافى به الحقيقة ويتحامل على السيدة عائشة رضى الله عنها وينسب إليها ما هى بريئة منه كبراءتها فى حادثة الإفك. ويبنى كلامه على سببين أنتجتهما عبقريته. فظلم فى قوله السيدة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها.

كما أنه قال فى طلحة والزبير كلاما لا يسلم بقبوله أى مسلم يعرف للصحابة فضلهم وقدرهم إنه يردد مقالات شيعية غير موفقة[1].

لقد تحمل على كرم الله وجهه أعباء الخلافة. وسار بها مسيرة أسلافه بهمة عالية وتخطى بها كل مفاتن الدنيا ومصاعبها التى لم تستطع أن تفتن الرجل العظيم عن دوره العظيم.

يقول رضى الله عنه[2]: والله لأن أبيت على حسك السعدان [3] مسهدا. أو أجر فى الأغلال مصفدا. أحب إلى من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد. أو غاصبا لشئ من الحطام. وكيف أظلم أحدا لنفس يسرع إلى البلى قفولها ويطول فى الثرى حلولها والله لقد رأيت عقيلا أخى وقد أملق حتى استماحنى من بُرّكم صاعا. ورأيت صبيانه شعث الشعور غبر الألوان من فقرهم. كأنما سودت وجوههم بالعِظْلَم – شئ تصبغ به الثياب – وعاودنى مؤكدا وكرر على القول مرددا. فأصغيت إليه سمعى. فظن أنى أبيعه دينى. وأتبع قياده مفارقا طريقتى. فأحميت له حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها. فضج ضجيج ذى دنف من ألمها. وكاد أن يحترق من ميسمها. فقلت له: ثكلتك

(١) راجع فى ذلك كتابه: عبقرية الإمام على الصفحات: ٦٢ – ٦٦.
(٢) على إمام الأئمة: ٢٦٠. (٣) الحسك هو نبات الشوك.

الثواكل يا عقيل. أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه. وتجرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه؟

أتئن – يا عقيل – من الأذى ولا أئن من لظى؟

واعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعائها ومعجونة شنئتها كأنما عجنت بريق حية أوقيئها فقلت: أصلة أم زكاة أم صدقة؟ فذلك محرم علينا أهل البيت فقال الطارق: لا ذا ولا ذاك، ولكنها هدية. فقلت: هبلتك الهبول. أعن دين الله أتيتني لتخدعني؟ أمختبط أنت أم ذوجنة أم تهجر؟ والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله في نملة أسلبها جلب شعيرة. ما فعلته وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها. ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى؟

(نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل. وبه نستعين) أ. هـ. وهكذا كان الإمام كرم الله وجهه في خلافته يسلك مسلك سابقيه من الراشدين عاملا بمنهج النبوة وأحكام الرسالة يقول: (خير الناس النمط الأوسط. يلحق بهم التالي ويرجع إليهم الغالي).

ويدعو ربه عز وجل وهو يشكو إليه غيبة رسوله ﷺ لأنه لو كان موجودا حيا بينهم ما حدث من الخلاف ما يقض المضاجع بالليل ويزعج السلامة والسلام بالنهار وليس بعد تلك الشدائد إلا أن يتدارك الله أهل الحق برحمته. فيفتح بين القوم بالحق وهو سبحانه وتعالى خير الفاتحين. فيقول[1]:

(اللهم إليك أفضت القلوب، وامتدت الأعناق. وشخصت الأبصار. وثقلت الأقدام وأنضبت الأبدان، اللهم وقد صرح مكنون الشنآن. وجاشت مراجل الأضغان. اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبينا وكثرة عدونا وتشتت أهوائنا. ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين).

وكانت أول خطبة له بعد تمام البيعة قال فيها[2]: إن الله عز وجل أنزل كتابا

---

(١) على إمام الأئمة: ٢٦٦. (٢) الخلفاء الراشدون: ٥٣٦، ٥٣٧.

هاد يا مهديا بين فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر. الفرائض أدوها إلى الله سبحانه. يؤدكم إلى الجنة إن الله حرم حُرَما غير مجهولة. وفضل حرمة المسلم على الحُرَم كلها. وشد بالإخلاص والتوحيد المسلمين والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق. لا يحل أذى المسلم إلا بما يجب بادروا أمر العامة، وخاصة أحدكم - الموت - فإن الناس أمامكم - أى ماتوا - وإنما من خلفكم الساعة تحدوكم. تخففوا تلحقوا، فإنما ينتظر الناس أخراهم. اتقوا الله عباده فى عباده وبلاده: إنكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم. أطيعوا الله عز وجل ولا تعصوه وإذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشر فدعوه. واذكروا إذا أنتم قليل مستضعفون فى الأرض) لقد كان على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى خلافته كما وصفه أحدهم:

(لقد زنت الخلافة وما زانتك. وهى كانت أحوج إليك. منك إليها)

لقد أخذها بحزم وعزم وهو يرى أن واجبه العطاء لا الأخذ. يسهر ليله ولا ينام مفكرا فى أمور رعيته. وفى النهار يكد ويجد ولا يستريح ويجلس للحكم والقضاء بين رعيته رضى الله عنه .

ولاته: أول إمارته بعث عمالا على الأمصار غير جميع عمال عثمان. فبعث على البصرة: عثمان بن حنيف الأنصارى، بدل: عبد الله بن عامر. وعلى الكوفة عمارة بن شهاب بدل: أبى موسى الأشعرى، وعلى اليمن: عبيد الله بن عباس بدل: يعلى بن منبه. وعلى مصر: قيس بن سعد بن عباده. بدل: عبد الله ابن سعد وعلى الشام سهيل بن حنيف: بدل معاوية بن أبى سفيان.

وأمر كلا بالتوجه إلى عمله. فأما عثمان بن حنيف فتوجه إلى البصرة. ولم يرده عنها أحد ولم يعارضه ابن عامر. وأما عمارة بن شهاب. فقابله وهو قريب من الكوفة طليحة بن خويلد الأسدى. فقال له: ارجع فإن القوم لا يريدون بأميرهم بدلا فرجع إلى علىّ وأما عبيد الله بن عباس فلما قارب اليمن خرج منها يعلى بن منبه وأخذ كثيرا من الأموال وذهب إلى مكة فدخل عبيد الله اليمن غير

معارض وأما قيس بن سعد. فلما وصل مصر افترق أهلها عليه، ففرقة دخلت في الجماعة وفرقة أخرى اعتزلت في خربتا - بلد - وقالوا: لا نكون مع عليّ إلا إن قتل قتلة عثمان. وفرقة قالوا: نحن مع علي إلا إن قاد من إخواننا فكتب قيس إلى علي بذلك. وأما سهل بن حنيف. فلما وصل إلى تبوك قابلته خيل عليها رجال من أهل الشام فردوه، وامتنع معاوية من بيعة عليّ واحتج على خلافته لأنه ظن فيه الهوادة في نصرة عثمان على قاتليه. ومعاوية يرى لنفسه حقا عظيما في القصاص من قتلة عثمان لأنه وليه، والله تعالى يقول ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ﴾ [الإسراء: ٣٣] ولم يرى في الامتناع عن البيعة خروجا على الإمام. لأنه رأى أن بيعة علي لم تنعقد حيث لم تكون بإجماع ذوى الحل والعقد.

فأرسل إليه رجلا بطومار ليس فيه شئ من الكتابة وعنوانه من معاوية إلى علي بن أبي طالب وأمره إذا قدم أن يرفعه ليعلم الناس أنه مخالف. ففعل الرجل ما أمر به. فلما علم أهل المدينة بذلك أحبوا أن يَعْلَموا رأى علي في هذه المشكلة أيقاتل معاوية أم يحذر ذلك. فدسوا إليه زياد بن حنظلة. وكان منقطعا إليه فقال له عليّ: يا زياد تيسر قال: لأى شئ. قال: لغزو الشام فقال: زياد الأناة والرفق أمثل. وأنشد:

ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

وقال علي:

متى تجمع القلب الذكى وصارما وأنفا حميًّا تجتنبك المظالم

فخرج زياد فقالوا له: ما وراءك؟ قال: السيف.

وقد عد عليّ خلاف معاوية بغيا وخروجا عن طاعته. لأنه رأى أن بيعته انعقدت بمن بايع، فلزمت من لم يبايع وأرسل إلى أهل الأمصار يستنفرهم لقتال معاوية[1] أ.هـ. فهؤلاء هم ولاة عليّ رضى الله عنه الذين ولاهم على الأمصار

(١) إتمام الوفاء للخضرى: ١٧١، ١٧٢.

خلفا لولاة سلفه عثمان بن عفان رضى الله عنه، وقد أسرع عليّ فى عزل ولاة عثمان – وكان يجب عليه أن ينتظر قليلا حتى تستقر الأمور.

ولما عين ولاته. قال لهم: (أنصفوا الناس من أنفسكم. واصبروا لحوائجهم. فإنهم خزان الرعية. ولا تحسموا أحدا عن حاجته. ولا تحبسوه عن طلبته. ولا تبيعن للناس فى الخراج كَسوة شتاء ولا صيف. ولا دابة يعتملون عليها. ولا عيدا. ولا تضر بن أحدا سوطا لمكان درهم).

وكتب لبعضهم يقول له: (أما بعد: فلا تطوّلن حجابك على رعيتك فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق. وقلة علم من الأمور)

ولم يكن أمير المؤمنين على رضى الله عنه: يستأثر من الفئ بشئ ولا يخص حميما ولا قريبا (١) ولا يخص بالولايات إلا أهل الديانات والأمانات وإذا بلغه عن أحدهم خيانة كتب إليه: ﴿ **وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ** ﴾ [هود: ٨٥، ٨٦].

إذا أتاك كتابى هذا فاحتفظ بما فى يديك من أعمالنا حتى نبعث إليك من يتسلمه منك. ثم يرفع طرفه إلى السماء فيقول: اللهم إنك تعلم أنى لم آمرهم بظلم خلقك ولا يترك حقك).

وكان من سياسته فى تحصيل الخراج قوله: (امض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم، ولا تخدج – تنقص – التحية لهم. ثم تقول: عباد الله. أرسلنى إليكم ولى الله وخليفته. لآخذ منكم حق الله فى أموالكم. فهل لله فى أموالكم حق فتؤدونه إلى وليه؟ فإن قال قائل: لا. فلا تراجعه. وإن أنعم لك بنعم فانطلق معه من غير أن تخيفه وتتوعده. أو تعسفه أو ترهقه فخذ

---

(١) مر بنا فيما سبق موقفه من أخيه عقيل رضى الله عنهما.

ما أعطاك من ذهب أو فضة فإن كان له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلا بإذنه، فإنّ أكثرها له. فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه. ولا عنيف به).

ونهى ولاته وحذرهم من بطانة السوء. فكان مما أوصى به محمد بن أبى بكر: (لا تدخلن فى مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر. ولا جبانا يضعفك عن الأمور. ولا حريصا يزين لك الشره بالجور. فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله.

إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيرا. ومن شركهم فى الآثام فلا يكونن لك بطانة فإنهم أعوان الأئمة. وإخوان الظلمة. وأنت واجد فيهم خير الخلف ممن له آراؤهم ونفاذهم وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم).

وكان يتابع ولاته ويراقبهم وينأى بهم عن الشبهات ويحاسبهم ويؤدبهم. فلقد كتب إلى عثمان بن حنيف الأنصارى عامله على البصرة، فقال : (أما بعد يا ابن حنيف فقد بلغنى أن رجلا من فتيه أهل البصرة دعاك إلى مأدبة. فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان. وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفوّ وغنيهم مدعوّ فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم. فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجوهه فنلْ منه)[1] ألاليت قومى يعلمون.

الجيش:

كان أمير المؤمنين على كرم الله وجهه يصدر أوامره وتكليفاته لجيشه يدعوه إلى التحلى بمكارم الأخلاق وحميد الصفات، والتوجه إلى الله تعالى فى ضراعة وخشوع عند الشدائد والملمات. وحسن التوكل على الله سبحانه فى كل الأمور فنراه فى ميدان الجهاد يقف ضارعا خاشعا ويقول:

(اللهم إليك أفضت القلوب، وامتدت الأعناق. وشخصت الأبصار. ونقلت الأقدام وأفضيت الأبدان. اللهم وقد صرح مكنون الشنآن. وجاشت

---

(١) بتصرف. الخلفاء الراشدون: ٥٣٧، ٥٣٨.

مراجل الأضغان اللهم إنا نشكوا إليك غيبة نبينا ﷺ - وكثرة عدونا . وتشتت أهوائنا . ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق . وأنت خير الفاتحين) .

ثم يتجه إلى جيشه بالوصية مستعلنة صريحة فيقول :

(لا تقاتلوهم حتى يبدءوكم، فإنكم بحمد الله على حجة، وترككم إياهم حتى يبدءوكم حجة أخرى لكم عليهم . فإذا كانت الهزيمة عليهم بإذن الله فلا تقتلوا مدبرا . ولا تصيبوا معورا . ولا تجهزوا على جريح . ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم . وسببن أمراؤكم . فإنهن ضعيفات القوى والأنفس . ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وهن مشركات . ولقد كان الرجل يتناول المرأة فى الجاهلية بالحجر أو الهراوة فيُعيّر بهافى نفسه ويعيّر بها عقبه - أولاده - من بعده) .

لقد كان الإمام كرم الله وجهه حريصا على الائتمار بأمر الله تعالى والمضى على سنة رسول الله ﷺ الذى كان يوصى جنوده الا يقتلوا شيخا فانيا . ولا طفلا ولا أمرأة ولا يعقروا بعيرا ولا يحرقوا نخلا ولا يقطعوا زرعا وأن يتركوا الرهبان والأحبار الذين تفرغوا للعبادة فى الصوامع والبيع فلا يهيجوهم بل يتركوهم وما تفرغوا له .

فعلى هذا سار الخلفاء الراشدون الثلاثة وتبعهم على رضى الله عنه بالاقتداء بهم فى المنهج . لذا فإن نصائحه لجيشه لم تخرج عن هذا الإطار الذى أمر به النبى ﷺ وبما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى كتب إلى أمراء الجيوش يقول : بسم الله وعلى بركة الله وبمعونة الله . فامضوا بتأييد الله ونصره أوصيكم بتقوى الله ولزوم الحق والصبر . فقاتلوا فى سبيل الله من كفر بالله . ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . ولا تجبنوا عند اللقاء . ولا تسرفوا عند الظهور على الأعداء . وإياكم والمثلة . ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا . وتوقوا أن تطئوا هؤلاء عند التقاء الزحفين وفى شن الغارات ولا تغلوا عند الغنائم، ونزهوا الجهاد عن غرض الدنيا . وأبشروا بالربح فى البيع الذى بابعتم به وذلك هو الفوز العظيم .

لا عجب ولا غرابة فلقد رباهم النبى ﷺ على خشية الله عز وجل

والتمسك بالقيم الأخلاقية الرفيعة والمثل العليا فهنيئا لكم أصحاب المصطفى ﷺ وآله وصحبه وسلم.

عدله:

إن صفة العدل شرط من شروط الخلافة الإسلامية وهى صفة لازمة لكل مسلم. وخاصة الحاكم وعماله. لأن العدل هو الرئة التى تتنفس بها الأمة ومؤسساتها - أفراد وجماعات - والإسلام دين تقوم شريعته على العدل والوسطية لأنه دين الرحمة.

كان أمير المؤمنين على رضى الله عنه خير مثال للحاكم العادل والقاضى العادل قال له جعدة بن هبيرة: يا أمير المؤمنين يأتيك الرجلان: أنت أحب إلى أحدهما من أهله وماله. والآخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك. فتقضى لهذا على هذا؟ فلهزه - ضربه بكفه فى صدره - على وقال: إن هذا شئ لو كان لى فعلت. ولكن إنما ذا شئ الله.

وروى يزيد بن عدى قال: (رأيت عليا - رضى الله عنه - خارجا من همذان. فرأى فئتين يقتتلان. ففرق بينهما، ثم مضى فسمع صوتا: يا غوثاً بالله. فخرج يحضر - أى يسرع - نحوه حتى سمعت خفق نعله. وهو يقول: أتاك الغوث فإذا رجل يلازم رجلا. فقال: يا أمير المؤمنين. بعت هذا ثوبا بتسعة دراهم وشرطت عليه ألا يعطينى مغموزا ولا مقطوعا ولا مقطوعا - وكان شرطهم يومئذ - فأتيته بهذه الدراهم ليبدلها لى فأبى. فلزمته. فلطمنى فقال: أبدله فقال بينتك على اللطمة فأتاه بالبينة. فاقعده. ثم قال: دونك فاقتص، فقال: إنى قد عفوت يا أمير المؤمنين قال: إنما أردت أن احتاط فى حقك، ثم ضرب الرجل تسع درات وقال: هذا حق السلطان)

وروى الإمام الشعبى رحمه الله فيقول: (خرج على بن أبى طالب - رضى الله عنه - إلى السوق. فإذا هو بنصرانى يبيع درعاً، فعرف على - رضى الله عنه - الدرع فقال: هذه درعى، بينى وبينك قاضى المسلمين - وكان قاضى المسلمين: شريحا كان على استقضاه - فلما رأى شريح. أمير المؤمنين. قام من مجلس قضائه وأجلس عليا فى مجلسه وجلس شريح قدّامه إلى جنب النصرانى. فقال

على أما – يا شريح – لو كان خصمى مسلما لقعدت معه ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا تصافحوهم. ولا تبدءوهم بالسلام. ولا تعودوا مرضاهم. ولا تصلوا عليهم. وألجئوهم إلى مضايق الطريق. وصغروهم كما صَغَّر الله ».

اقض بينى وبينه يا شريح. فقال شريح: ما تقول يا أمير المؤمنين؟ فقال على هذه درعى وقعت منى منذ زمان فقال شريح: ما تقول يا نصرانى؟ فقال: ما أكذب أمير المؤمنين. والدرع درعى. فقال شريح: ما أرى أن تخرج من يده فهل من بينة؟ فقال علىّ: صدق شريح. مالى بينة. فقال النصرانى: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء. أمير المؤمنين يجئ إلى قاضيه. وقاضيه يقضى عليه هى – والله – يا أمير المؤمنين درعك. اتبعتك وقد زالت عن جملك الأورق فأخذتها. فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول. فقال على: أما إذ أسلمت فهى لك – وحمله على فرس).

وهكذا كان أمير المؤمنين على كرم الله وجهه مثالا للحاكم العادل والقاضى العادل فلقد تدرب على هذا منذ نعومة أظفاره وقد استقبل الإسلام حرا مختارا وتعلم من النبى ﷺ أحكام الله وسنة رسوله ﷺ.

سياسته المالية:

كان أمير المؤمنين يحافظ على المال العام. وكان يعمل فيه بما حكم الله تعالى وبما سنه رسول الله ﷺ فى شرعه القويم.

(جاءه ابن النباح فقال: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت مال المسلمين من صفراء وبيضاء، فقال: الله أكبر، فقام متوكئا على عامر بن النباح حتى قام على بيت مال المسلمين. فقال:

هذا جناى وخياره فيه   وكل جان يده إلى فيه

يا ابن النباح على بأشياخ الكوفة. قال: فنودى فى الناس. فأعطى جميع ما فى بيت مال المسلمين وهو يقول: ياصفراء ويا بيضاء. غرّى غيرى ها. وها. حتى ما بقى منه دينار ولا درهم. ثم أمر بنضحه وصلى فيه ركعتين. وكان ورعه

وزهده يمنعانه من أن يأخذ شيئا من بيت المال وذلك علاوة على شرفه فهو ممن تحرم عليهم الصدقات رضى الله عنهم.

قال أبو مطرف: (رأيت عليا رضى الله عنه - مؤتزرا بإزار. مرتديا برداء ومعه الدرّة كأنه أعرابى يدور حتى بلغ سوق الكرابيس - أثواب القطن - فقال: يا شيخ أحسن بيعى فى قميص بثلاثة دراهم. فلما عرفه لم يشتر منه شيئا فأتى غلاما حدثا. فاشترى منه قميصا بثلاثة دراهم. ثم جاء أبو الغلام. فأخبره فأخذ أبوه درهما. ثم جاء به فقال: هذا الدرهم يا أمير المؤمنين. قال: ما شأن هذا الدرهم؟ قال: كان قميصنا ثمن درهمين. قال: باعنى رضايا وأخذ رضاه) ورفض رضى الله عنه أخذ الدرهم.

وقر عرض سيفه للبيع ليشترى بثمنه ثوبا يستر به جسده. فيقول له أحد المسلمين أنا أسلفك ثمن الثوب ولا تبع سيفك يا أمير المؤمنين وكان زاهدا فى دنياه ويقول لها (يا دنيا غرى غيرى).

وقال عبد الله بن رزين: دخلنا عَلَى عَلِىّ يوم الأضحى فقرب إلينا خزيرة - قطع صغيرة من اللحم - فقلنا: أصلحك الله. لو قدمت إلينا هذا البط والأوز فإن الله قد أكثر الخير، فقال يا ابن رزين: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان: قصعة يأكلها هو وأهله وقصعة يطعمها بين الناس»).

وقال له رجل: (يا أمير المؤمنين. إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك نصيبا من هذا المال. وأنت ترعد من هذا البرد؟ فقال: إنى - والله - ما أرزأكم - أنقصكم - من مالكم شيئا وما هى إلا قطيفتى التى أخرجتها من بيتى).

وخطب الناس فقال: (يا أيها الناس: والله الذى لا إله إلا هو ما رزأت من مالكم قليلا ولا كثيرا إلا هذه - وأخرج قاروره من كم قميصه فيها طيب - فقال: أهداها إلى دهقان).

لك الله يا أمير المؤمنين ما زهدت فى الدنيا زهد الهاربين أو العاجزين ولكن

كان زهدك زهد المؤمنين المتقين الذين يخشون الله تعالى ولم تبهرهم الدنيا بزخارفها وإنما يتعامل مع الدنيا على قدرها يقول رضى الله عنه :

(الدنيا دار صدق لمن صدقها . ودار نجاة لمن فهم عنها . ودار غنى وزاد لمن تزود منها مهبط وحى الله . ومسجد أنبيائه ومتجر أوليائه . ربحوا فيها الرحمة . واكتسبوا فيها الجنة) .

ثم هو يقول مبينا سياسته ومنهجه :

(أأقنع من نفسى بأن يقال أمير المؤمنين، ثم لا أشارك المؤمنين فى مكاره الزمان؟ والله لو شئت لكان لى من صفو هذا العسل ولباب هذا البر ومناعم هذه الثياب . ولكن هيهات أن يغلبنى الهوى، فأبيت مبطانا . وحولى بطون غَرْثَى – أى جائعة –) .

وسأل رجل الحسن البصرى عن الإمام على . فقال له : يا أبا سعيد : ما تقول فى على بن أبى طالب؟ فاحمرت وجنتا الحسن . وقال : (رحم الله عليا . إن عليا كان سهما لله صائبا فى أعدائه وكان فى محلة العلم أشرفها وأقربها إلى رسول الله ﷺ وكان رهبانى هذه الأمة لم يكن لمال الله بالسروقة . ولا فى أمر الله بالنؤومة . أعطى القرآن عزائمه وعمله وعلمه . فكان منه فى رياض موثقة . وأعلام بينة . ذلك على بن أبى طالب يالكع) .

رحمك الله يا أبا الحسن . وجزاك عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وأجمل المثوبة يقدر ما قدمت وما أعطيت والله يضاعف لمن يشاء فلقد كنت نموذجا فريدا للحاكم العادل الزاهد التقى الورع . مثل ما كنت المؤمن القوى والمجاهد الصابر والعالم الفذ والمفتى العظيم والشجاع الجرئ فلم تأخذك فى الله لومة لائم حتى صرت إلى ما صرت إليه فى رضوان الله ونعيمه .

الإمام والرعية :

إن العلاقة بين الحاكم والمحكوم على درجة عالية من الأهمية . فالحاكم محتاج إلى ثقة الرعية ومعاونتهم ومحبتهم له . والرعية محتاجة إلى عدل الحاكم

ورحمته وكل من الحاكم والمحكوم محتاج إلى محبة الآخر له. وتقديم النصيحة له.

ولابد للحاكم – دائما – أن يقدم الإرشاد والتوجيه لرعيته. وأن يعرفهم بحقائق الأمور وخاصة فى الأمور الصعبة. فكلما كانت الرؤيا واضحة أمام الرعية. كان الولاء كاملا والولاء للحاكم وللأمة يجعل الفرد دائما متفانيا فى خدمة مجتمعه مؤثرا مصلحة الأمة على مصلحته الشخصية.

وكان الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه يعرف هذه الحقيقة. لذلك فإنه لم تشغله مسئولياته العظيمة عن الاهتمام بأمور الرعية. وتفقد أحوالهم وتنفيس الكرب عنهم. فكان يمشى فى الأسواق ويجوب الشوارع وحده. يرشد الضال. ويهدى الحائر ويعين الضعيف ويمر بالباعة وأصحاب الحوانيت وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا** ﴾ [القصص:٨٣] ويقول: (نزلت هذه الآية فى أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة على سائر الناس).

وكان يوجه رعيته ويرشدهم إلى ضرورة المحافظة على أمور حياتهم الدنيوية والأخروية. فكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. ويحذر من الغش والخداع ويحث على الرحمة بالآخرين ومد يد العون للمحتاجين.

يقول أبو مطر: (خرجت من المسجد. فإذا رجل ينادى خلفى: ارفع إزارك فإنه أتقى لربك، وأتقى لثوبك وخذ من رأسك – أى خذ من شعر رأسك – إن كنت مسلما فإذا هو: على ومعه الدِّرَة فانتهى إلى سوق الإبل فقال: بيعوا ولا تحلفوا فإن اليمين تنفق السلعة. وتمحق البركة. ثم أتى صاحب التمر فإذا خادم تبكى. فقال: ما شأنك؟ قالت: باعنى هذا تمرا بدرهم فأبى مولاى أن يقبله. فقال: خذه واعطها درهما. فإنه ليس لها أمر. فكأنه أبى فقلت: أتدرى من هذا؟ قال: لا قلت: على أمير المؤمنين فصب تمره وأعطاها درهما. وقال: أحب أن ترضى عنى يا أمير المؤمنين. قال: ما أرضانى عنك إذا وفيتّهم. ثم مر مجتازا

بأصحاب التمر فقال: أطعموا المسكين يَرْبُ - يزيد - كسبكم. ثم مر مجتازا أصحاب السمك فقال: لا يباع في سوقنا طاف - أي السمك الميت في الماء ويطفو على سطحه -)

ووقف الإمام يوما يخطب الناس مبينا لهم ضرورة الاهتمام بأمر الدار الآخرة. فقال: (عباد الله: لا تغرنكم الحياة الدنيا. فإنها دار بالبلاء محفوفة. وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة. وكل ما فيها إلى زوال. وهي ما بين أهلها ذول وسجال لن يسلم من شرهانزًا لها. بينا أهلها في رخاء وسرور. إذا هم منها في بلاء وغرور العيش فيها مذموم. والرخاء فيها لا يدوم. وإنما أهلها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها. وتقصمهم بحمامها - أي تكسرهم بموتها.

عباد الله: إنكم وما أنتم من هذه الدنيا عن سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعمارا وأشد منكم بطشا وأعمر منكم ديارا. وأبعد آثارا فأصبحت أصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها وأجسادهم بالية، وديارهم خالية وآثارهم عافية واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والأحجار المسندة في القبور الملاطية - مونة البناء من الطين - الملحَدة التي قد بني على الخراب فناؤها. وشيد بالتراب بناؤها. فمحلها مقترب. وساكنها مغترب. بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران على ما بينهم من قرب الجوار ودنوّ الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله - الصدر - البلى وأكلتهم الجنادل والثرى فأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد غضارة العيش رفاتًا فجمع بينهم الأحباب وسكنوا التراب وظعنوا فليس لهم إياب. هيهات. هيهات ﴿كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] فكان قد صرتم إلى ما صاروا عليه من الوحدة والبلى في دار الموتى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو قد تناهت الأمور. وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور. وأوقفتم للتحصيل بين يدي ملك جليل. فطارت القلوب لإشفاقها من

سالف الذنوب . وهتكت عنكم الحجب والأستار فظهرت منكم العيوب والأسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت . ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾ [الكهف : ٤٩] .

جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه . متبعين لأوليائه حتى يحلنا وإياكم دار المقامة من فضله . إنه حميد مجيد .

وروى ابن أعبَدَ قال : قال على رضى الله عنه (يا ابن أعبد . هل تدرى ما حق الطعام؟ قلت : وما حقه؟ قال : تقول . بسم الله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا . ثم قال : أتدرى ما شكره إذا فرغت ؟ قلت : وما شكره؟ قال : تقول : الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا)[١] أ . هـ .

وفى خطبته الأولى بعد تمام البيعة له أكد على ضرورة الالتزام بالأوامر الإلهية والبعد عن المحرمات مما نهى الله تعالى عنه ورسوله ﷺ فقال : (إن الله عز وجل أنزل كتابا هاديا . بين فيه الخير والشر . فخذوا بالخير ودعوا الشر . الفرائض أدوها إلى الله سبحانه يؤدكم إلى الجنة . إن الله حرم حُرُمًا غير مجهولة . وفضّل حرمة المسلم على الحُرَم كلها . وشدّ بالإخلاص والتوحيد المسلمين . والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق لا يحل أذي المسلم إلا بما يجب بادروا أمر العامة . وخاصة أحدكم الموت فإن الناس أمامكم . وإنما من خلفكم الساعة تحدوكم . تخففوا تلحقوا فإنما ينتظر الناس أخراهم . اتقوا الله عباده فى عباده وبلاده . إنكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم . أطيعوا الله عز وجل ولا تعصوه . وإذا رأيتم الخير فخذوا به . وإذا رأيتم الشر فدعوه ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ

---

(١) أقوال الإمام على نقلا عن كتاب الخلفاء الراشدين عن الشيخ .

﴿قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٢٦] فلما فرغ من خطبته هذه وأراد الانصراف إلى بيته. قالت السبئية (أتباع عبد الله بن سبأ اليهودى):

خـذها إليك واحْـذَرَن أبا حـسن إنا نُمـرُّ الأمـر إمـرار الرسن
صـولة أقـوام كـأسـداد السـفن بمشـرفـيـات كـغـدران اللبن
ونطعن الملك بلين كـالشطن حـتى يمرن على غـيـر عنن

أسداد السفن: السفن الضخمة

والمشرفيات: نوع من السيوف يجلب من المشارف

الشطن: الحبل الطويل. عنن: ظهر وعرض.

فرد عليهم الإمام كرم الله وجهه بحزمه وعزمه ولوح لهم ببأس. فقال لهم:

إنى عـجـزت عـجـزة لا أعـتـذر سـوف أكـيس بعـدها واسـتـمـر
أرفع من ذيلى مـا كنت أجـر وأجـمع الأمـر الشـتـيت المنتـشـر
إن لم يشاغبنى العجول المنتصر أو يتركونى والسلاح يبتدر[١] أ.هـ

وهكذا كان الإمام على رضى الله عنه يوجه الأمة ويرشدهم إلى ضرورة التمسك بما يعود عليهم بالنفع فى الدنيا وفى الآخرة. فهو ناصح أمين وصادق. وحكم غير غاش لرعيته. لقد أحسن القدوه بمن سبقه من الثلاثة الراشدين وسار على منهجهم رضى الله عنهم.

* * *

(١) المصدر السابق: ٥٥٢ والكيس الفطن.

(٣) الإمام والفتنة

(أ) بداية الفتن:

لقد أطلت الفتنة برأسها منذ عقد البيعة للإمام على رضى الله عنه. وأخذت الأحداث تتوالى. والمدينة المنورة ملأها البدو وأوباش الأمصار الذين انتهكوا حرمتها فلم يرعو الأدب بجوار المصطفى ﷺ وسفكوا الدم الحرام فى البلد الحرام فى الشهر الحرام. فقتلوا أمير المؤمنين: عثمان بن عفان رضى الله عنه ذا النورين وصاحب المآثر العظيمة.

لقد هجمت الفتن بكاهلها على الدولة المسلمة والخليفة الراشد على بن أبى طالب رضى الله عنه. الذي لم يرقى النوم راحة منذ توليه فلم يغمض له جفن ولم يسترح له جسد منذ توليه إلى أن فاضت روحه الزكية إلى بارئها. وهذا قدره. وكان أمر الله قدرا مقدورا. وترجع أهم أسباب الفتنة – فى نظرى – إلى ما يلى:

أولا: قميص عثمان:

روى المؤرخون : أن النعمان بن بشير رضى الله عنه قد خرج من المدينة المنورة إلى بلاد الشام. ومعه قميص عثمان رضى الله عنه مضرّج بدمه. وأصابع نائلة بنت الفرافصة التى أصيبت حين دافعت عن زوجها عثمان بيدهافقطعت مع بعض الكف. وخصلة شعر من لحية عثمان. اقتلعها منه محمد بن أبى بكر. فورد بهذه الأشياء على معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه بالشام بتكليف من امرأة عثمان رضى الله عنه فوضعه معاوية على المنبر بالمسجد ليراه الناس وعلق الأصابع فى كُمّ القميص وندب الناس للأخذ بثأر عثمان ممن قتلوه. فتباكى الناس حول المنبر وجعل القميص يرفع تارة ويضع تارة والناس يتباكون حوله سنة كاملة. وكل منهم يطلب من صاحبه ضرورة الأخذ بالثأر. وآلى الرجال من أهل الشام ألا يأتوا النساء ولا يمسهم ماء الغسل من الجنابة إلا ما كان من الاحتلام ولا

ينامون على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان . وسوف يتحملون النتيجة مهما كانت ولو كان فيها إزهاق أرواحهم ويروى الثقاة من المؤرخين أن معاوية وجماعة من الصحابة معه كانوا يبرءون عليا من دم عثمان . فكانوا يحرضون الناس على المطالبة بدم عثمان ممن قتله من هؤلاء، الخوارج والبغاة . الذين خرجوا على نظام الدولة المسلمة وقتلوا الخليفة وهم يروجون لاتهامات باطلة وأقوال مزيفة حول عمال عثمان . وكما هو مدون فى كتب التاريخ كان عمال عثمان إخوة من الصحابة المجاهدين الصابرين كأبى موسى ومعاوية وغيرهما

ثانيا : موقف طلحة والزبير :

وما إن تمت البيعة للإمام على كرم الله وجهه . ولم يلتقط الناس أنفاسهم فإذا بالسيدين الجليلين : طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ومعهما كبار الصحابة رضى الله عنهم . يدخلون على أمير المؤمنين ويطلبون منه : الأخذ بدم عثمان بن عفان رضى الله عنه . وضرورة إقامة الحدود والإسراع فى معاقبة القتلة والتنكيل بهم وبمن عاونوهم لكى تستريح منهم الأمة وحتى لا يستفحل أمرهم ويتعاظم شرهم . فيقدمون بأعمال أخرى تراق فيها الدماء .

إن أمير المؤمنين كان يعرف هذه الحقيقة ولم يكن يجهلها . إلا أنه كان يرى الوضع الحالى بالمدينة المنورة لا يسمح بمواجهة هؤلاء الثوار وطلب من الصحابة الإمهال حتى ينصرف هؤلاء الثوار إلى بلادهم وتهدأ الأمور وتستقر أمور الدولة يقول لإخوانه (يا إخوتاه . إنى لست أجهل ما تعلمون . ولكنى كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم؟ ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبد انكم . وثابت إليهم أعرابكم، وهم خلا لكم يسومونكم ما شاءوا فهل ترون موضعا لقدرة على شئ مما تريدون؟ قالوا : لا . قال : فلا والله لا أرى إلا رأيا ترونه إن شاء الله إن هذا الأمر أمر جاهلية وأن لهؤلاء القوم مادة . وذلك أن الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الأرض من أخذ بها أبدا . إن الناس من هذا الأمر إن حُرّك على أمور : فرقة ترى ما

ترون. وفرقة ترى مالا ترون وفرقة لا ترى هذا ولا هذا. حتى يهدأ الناس. وتقع القلوب مواقعها. وتؤخذ الحقوق. فاهدأ واعنى. وانظروا ماذا يأتيكم ثم عودوا).

واضح أن الصحابة متفقون على ضرورة تطبيق أحكام الشريعة وإقامة الحدود. ولكن كان الخلاف بينهم حول التوقيت.

فقد كان أمير المؤمنين يرى الإرجاء والإمهال حتى تستقر الأمور. والآخرون يريدون الإسراع فى القصاص. ولكن كان أمير المؤمنين مصيبا فى رأيه لما رآه من كثرة عدد الثائرين من القتلة ومن أيدهم من جفاة الأعراب والرعاع من الناس وقد ضاق الإمام بهؤلاء الثائرين ذرعا ولذا أمر مناديا ينادى فيهم:

(برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه. يا معشر الأعراب الحقوا بمياهكم) ولكن طلحة والزبير رضى الله عنهما طلبا من أمير المؤمنين أن يأذن لهما أن يأتيا البصرة والكوفة. لإحضار قوة كبيرة من الجند للاستعانة بهم فى ضرب هؤلاء لتعود الحياة إلى حالة الهدوء والاستقرار. ولكن أمير المؤمنين رفض السماح لهما بذلك فاستأذناه فى الذهاب إلى مكة لأداء العمرة. فأذن لهما. فخرجا إلى مكة.

ثالثا: طائفة السبئية:

وهم أتباع عبد الله بن سبأ اليهودى وهم إليه ينسبون. وإليه ينقادون وبفكره الخبيث يتمسكون. وهم محركو الفتنة وقوادها. وهم الذين أشعلوا نارها. وأحرقوا الناس بلهبها ولظاها يدسون الدسائس ويروجون الأكاذيب والشائعات ويلفقون التهم والأكاذيب ضد الصحابة وينشرونها بين الأوباش وجفاة الأعراب وللأسف نجد الكثير من كتب التاريخ والسير مملوءة بهذه الروايات الملفقة والمكذوبة. وينخدع بها الكثير ويظنونها حقائق. فيتهمون الصحابة رضى الله عنهم ويقولون فيهم الأقاويل مما يتنافى تماما وأخلاق الصحابة الكرام الذين أثنى الله عليهم فى القرآن الكريم وعلى لسان النبى ﷺ.

نرى من هذه الروايات الكثير فى مروج الذهب للمسعودى وتاريخ الطبرى

ونقل عنهما وعن غيرهما صاحب إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء والخلفاءُ الراشدون للنجار ورجال حول الرسول وخلفاء حول الرسول وعبقرية الإمام على وغيرها من كتب المحدثين. وأما كتب الشيعة فحدث عنها ولا حرج مملوءة بالخرافات والأكاذيب والأحاديث الموضوعة فى التجنى على كبار الصحابة وسبهم ولعنهم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

ولا يعجب المرء لأن التاريخ الإسلامي - بكل أسف - بدأ تدوينه متأخرا بعد سقوط دولة بنى أمية وقيام الدولة العباسية وأكثر المؤرخين بجمع روايات وسماعات ولا يقوم بتحقيقها ومراجعتها فالصحابة رضى الله عنهم أعلى وأسمى وأرفع مما يقوله هؤلاء وأولئك فيهم فبعض المؤرخين إما متشيع أو حاقد أو جاهل بأحوال الصحابة أو سليم النية أو مغالى يتطرف يمينا أو يسارا. جزى الله أصحاب النبى ﷺ عن الأمة خير الجزاء.

رابعا: تغيير الولاة:

إن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه كان رجلا بعيد النظر واسع الفكرة إلا أن الظروف المحيطة به كانت أقوى مما يظن كما يبدو لى.

لقد ظن الإمام كرم الله وجهه أن الإسراع فى تغيير عمال عثمان رضى الله عنه وتعيين بدلا منهم ربما يكون هذا الفعل دعوة منه لتهدئة الثائرين. ولأخذ البيعة له من الأمصار. ولكن هذا التصرف جاء فى غير وقت أوانه. ولقد نصحه بعض الصحابة لكى ينتظر فى هذا الأمر حتى تهدأ الأمور قال له المغيرة بن شعبة رضى الله عنه ناصحا: (إنى أرى أن تقر عمالك على البلاد فإذا أتتك طاعتهم استبدلت بعد ذلك بمن شئت وتركت من شئت). وأكد عبد الله بن عباس رضى الله عنهما النصيحة فأشار على الإمام أن يقر نوابه على الأقاليم إلى أن يتمكن وتصبح الأمور كلها بيده. وأن يقر معاوية - خصوصا - على الشام.

فرفض الإمام رضى الله عنه وجهة النظر هذه. وولى على الأمصار نوابا آخرين ذكرناهم فيما سلف.

فانتشرت الفتنة وتفاقم الأمر ورد بعض عمال علي ولم يتمكنوا من استلام مهامهم وبعث عليّ إلى معاوية بن أبى سفيان كتبا كثيرة. فلم يرد عليها جوابا ومضى ثلاثة أشهر من مقتل عثمان رضى الله عنه. ثم بعث معاوية كتابا مع رجل فدخل به على أمير المؤمنين فقال له: ما وراءك؟

قال: جئتك من عند قوم لا يريدون إلا القود. كلهم موتور، تركت سبعين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان. وهو على منبر دمشق. فقال عليّ اللهم إنى أبرأ إليك من دم عثمان) ثم خرج رسول معاوية من عند الإمام. فهم به أولئك الخوارج البغاة قتلة عثمان ليقتلوه. ولكنه أفلت منهم بعد جهد.

فقرر أمير المؤمنين قتال أهل الشام لرفضهم البيعة وكتب إلى عماله على مصر والكوفة والبصرة. لكى يستحثوا الناس ويستنفروهم لقتال أهل الشام. وخطب الناس فحثهم على ذلك.

ولكن ابنه الإمام الحسن رضى الله عنه كان له رأى آخر. قال: (يا أبت دع هذا. فإن فيه سفك دماء المسلمين ووقوع الاختلاف بينهم).

يقول كثير من الباحثين: ليت عليا استجاب لرجاء ابنه الحسن عندنا أشار عليه بعدم الخروج من المدينة وعندما أشار عليه أن لا يخرج للقتال فى صفين.

ولكن عليا لم يقبل منه ذلك، وصمم على قتال أهل الشام ورتب الجيش ودفع باللواء إلى ابنه: محمد ابن الحنفية. واستخلف على المدينة. قثم بن العباس رضى الله عنهما وكان بذلك جاهزا للخروج إلى الشام حتى جاءه ما شغله عن ذلك كله.

خامسا: قتلة عثمان بن عفان رضى الله عنه.

إن قتلة أمير المؤمنين: عثمان بن عفان رضى الله عنه. ومن وافقهم أتوا من مصر والبصرة والكوفة وأجلاف العرب ممن ينتشرون فى البوادى ومن خلفهم السبئيين هم المسئولون الأول عن قيام الفتنة وتطورها. فوقع الناس فى حيرة

وأريقت دماء كثيرة لمذنبين وأبرياء. واتهم الكثير من الشرفاء وروجت حولهم الشائعات وانتشرت الأكاذيب وزيفت الحقائق وجيشت الجيوش ودارت المعارك بين المسلمين وسقط عشرات الألوف .

سادسا : خروج السيدة عائشة إلى البصرة :

إن أزواج النبى ﷺ قد خرجن إلى الحج. وخرج معن الكثير من المسلمين ولحق بهن طلحة والزبير - بعد استئذانهما أمير المؤمنين : على رضى الله عنه - لأداء شعائر العمرة. وكان موسم الحج قد انتهى. ولم تعد نساء النبى ﷺ إلى المدينة ولكنهن أقمن فى مكة لما وصلهن خبر مقتل أمير المؤمنين : عثمان رضى الله عنه فاقمن بمكة حتى تستقر الأمور وتهدأ الأحوال.

ووصل طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضى الله عنهما إلى مكة ومعهما خلق كثير فاجتمع بمكة - بعد الحج - خلائق من الصحابة وأمهات المؤمنين.

وقامت السيدة عائشة رضى الله عنها - لما لها من مكانة رفيعة فى نفوس المسلمين - تحث الناس على القيام بطلب دم عثمان والقصاص من قتلته. واشتوروا فيما بينهم ماذا يفعلون؟ وبعد محاورات ومداولات استقر رأيهم على المسير إلى البصرة. بهدف جمع قوة ضاربة من أهلها الشرفاء لتتعاون هذه القوة مع سلطة الخلافة وجيشها لتفريق الثوار والقضاء على تسلطهم على المدينة. وليتمكنوا من قتلة عثمان.

ولم يكن عند المجتمعين من نساء النبى ﷺ ومن الصحابة الكرام أدنى شك فى براءة الإمام على كرم الله وجهه من دم الإمام الشهيد عثمان بن عفان رضى الله عنه وعلى وجه الخصوص السيدة عائشة وطلحة والزبير رضى الله عنهم.

ولم يكن الأمر كما ادعى بعض الكتاب المحدثين من أمثال : الشيخ عبد الوهاب النجار. والخضرى والعقاد وطه حسين وخالد محمد خالد وغيرهم بأن خروج السيدة عائشة وطلحة والزبير كان لتصفية حساب من السيدة عائشة مع

الإمام على لموقفه فى حادثة الإفك. وطلحة والزبير بسبب طلب الولاية وأرادوا بهذا الخروج خلع الإمام على. وهو ما ينفيه القاضى أبو بكر ابن العربى فى كتابه: العواصم من القواصم والحافظ ابن حجر فى كتابه فتح البارى[1]. فقد نقل عن كتاب (أخبار البصرة) لعمر بن شبة قول المهلب:

(إن أحدا لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا عليا فى الخلافة ولا دعوا إلى أحد منهم ليولوه الخلافة).

لقد سارت السيدة عائشة رضى الله عنها وطلحة والزبير إلى البصرة ومعهم ألف مقاتل مجهزين بأسلحتهم وعتادهم وتلاحق بهم آخرون حتى وصلوا البصرة فى ثلاثة آلاف مقاتل وقد كان من الأفضل لهم وللأمة أن يسيروا بجيشهم هذا إلى المدينة المنورة ليشدوا من أزر الخليفة ويعاونوه فى تفريق هؤلاء الثائرين عن المدينة. لكى يتمكن الخليفة من قتلة عثمان والقصاص منهم. وهذه مسئوليته وحده بحكم وظيفته كأمير للمؤمنين. وليس من حق أى أحد أن يتطوع للقيام بهذه المهمة دون التخطيط مع الخليفة واستئذانه. فهو وحده الذى يقدر الظروف ويقرر المواقف ضد هذه العناصر الخارجة على نظام الدولة.

ولو أنهم ذهبوا إلى المدينة لمعاونة أمير المؤمنين لتغيير الحال إلى الأحسن والأفضل ولما وقعت هذه الأحداث الجسام فى معركتى الجمل وصفين.

وأنا لا أعتب عليهم ولا أحاسبهم – لأنه من القبح أن يحاسب الابن أمه. أو يعتب على صحابة رسول الله ﷺ – وإنما أعذرهم ولا أشك فى حسن نيتهم. لأنهم كانوا جميعا مجتهدين وما أرادوا بذلك إلا الخير وجمع الكلمة وتوحيد الصف وإقامة شريعة الله عز وجل. فجاءت النتائج عكس ما كانوا يأملون والمجتهد مثاب من الله تعالى. أصاب أم أخطأ كما روى فى صحيح الحديث.

ولهم سابقتهم إلى الإسلام وهم المجاهدون الصابرون. صحبوا النبى ﷺ

---

(١) فتح البارى: ١٣ / ٤١، ٤٢ السلفية.

وبذلوا كل ما يملكون نشراً للإسلام ودفاعا عن النبى ﷺ فهم يعرفون قدر الإمام على ومنزلته من رسول الله ﷺ وهو يعرف لهم أقدارهم ومنازلهم رضى الله عنهم ... وبعد :

فهذه كلها كانت السبب فى الفتنة وبداية الصراع الذى لم يكن فى حساب أحد من الناس والذى انتهى بمصرع رابع الخلفاء الراشدين كرم الله وجهه .

(ب) وقعة الجمل :

تحركت السيدة : عائشة رضى الله عنها ومعها طلحة والزبير رضى الله عنهما ومعهم ألف مقاتل مدججين بالسلاح وانضم إليهم آخرون فصاروا ثلاثة آلاف . وأم المؤمنين تحمل فى هودج لها على جمل اسمه (عسكر) خرجوا من مكة المكرمة يريدون البصرة ومروا فى مسيرهم ليلا بماء يقال له (الحَوْأب) فنبحتهم كلاب عنده .

فلما سمعت ذلك أم المؤمنين قالت : ما اسم هذا المكان؟ قالوا : الحوأب فضربت بإحدى يديها على الأخرى . وقالت : (إنا لله وإنا إليه راجعون . ما أظننى إلا راجعة . قالوا : ولم؟ قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول لنسائه : ليت شعرى أيتكن التى تنبحها كلاب الحوأب . ثم ضربت عضد بعيرها فأنا خته . وقالت : ردونى . ردونى . أنا والله صاحبة ماء الحوأب)[1] .

فقال لها الزبير رضى الله عنه : ترجعين؟ عسى الله أن يصلح بك وبين الناس . فقبلت ذلك من جوارى رسول الله ﷺ . رجاء أن تشفع لها منزلتها عند الناس فى اجتماعهم للأخذ بدم عثمان الشهيد . فاستمرت فى مسيرها إلى البصرة وتابع الناس معها طريقهم . من أجل الإصلاح وإقامة حدود الله عز وجل .

ونقل خبر هذه المسيرة إلى أمير المؤمنين فخرج فى تعبئته التى كان قد أعدها للخروج بها إلى الشام وهو يرجو أن يدركهم . ليحول بينهم وبين الخروج لما يعرفه أمير المؤمنين مما سوف يترتب على ذهاب السيدة : عائشة ومن معها إلى البصرة . وخاف الإمام أن تصاب أم المؤمنين بسوء أوتهان . فهذا هو الذى دفع

الإمام لكى يخرج بفواته مسرعا ليلحق بهم ويمنعهم . فلما وصل إلى الربذة - مكان - فبلغه أنهم قد مروا به وفاتوه فواصل الإمام سيره نحو البصرة .

واقترب جيش السيدة عائشة من البصرة . فكتبت إلى الأحنف بن قيس وغيره من رءوس الناس أنها قدمت . فبعث إليها أمير البصرة : عثمان بن حنيف رسولين : الصحابى عمرو بن حصين والتابعى : أبا الأسود الدؤلى ليعلما ما جاءت به .

فلما قدما وسالاها ذكرت لهما أنها جاءت للطلب بدم عثمان . لأنه قتل مظلوما فى شهر حرام وبلد حرام . وتلت قوله تعالى : ﴿ **لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ** ﴾ [النساء : ١١٤] وقالت : انهض فى الإصلاح ممن أمر الله عز وجل وأمر رسول الله ﷺ الصغير والكبير والذكر والأنثى فهذا شأننا إلى معروف نامركم به . ونحضكم عليه ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره .

ولما علم أهل البصرة بقدوم السيدة عائشة ومعها طلحة والزبير . انقسموا ثلاث فرق : فرقة حبذت خروج السيدة عائشة ومن معها وباركته وانضمت إلى من جاء معها لمعاونتها على الإصلاح والثأر من قتلة عثمان رضى الله عنه .

وفرقة بقيت على ولائها لوالى البصرة عثمان بن حنيف . الذى لم يرحب بقدومها والفرقة الثالثة : اعتزلت الفريقين ورأت فى ذلك سلامتها .

وعزم عثمان بن حنيف أن يمنع جيش عائشة من دخول البصرة . حتى يقدم أمير المؤمنين على رضى الله عنه . فخرج بالجيش . وتقابل مع جيش السيدة بالمِرْبَدَ - مكان بالبصرة - وكان جيشها فى يمين المريد . وجيش ابن حنيف فى ميسرته . فتكلم طلحة فندب إلى الأخذ بثأر عثمان والطلب بدمه . وتابعه الزبير فتكلم بمثل مقالته . فقال من فى الميمنة : صدَقَا وبَرَّا . وقالا الحق . وأمرا به . وقال من فى ميسرته : فجرا وغدرا وقالا الباطل . وأمرا به . فتحاثى الناس بالتراب . وتراموا بالحجارة .

ولما تكلمت السيدة عائشة فحثت الناس للأخذ بثار عثمان . وقتل قتلته . افترق جيش ابن جنيف فرقتين : فرقة ثبتت معه . والأخرى انضمت لجيش عائشة وأقبل حُكَيمٌ بن جبَلة – وكان على خيل ابن حنيف وممن باشر قتل عثمان بن عفان – فانشب القتال وجعل أصحاب أم المؤمنين يكفون أيديهم ويمتنعون من القتال وجعل حُكيم يفتحم عليهم . فاقتتلوا على فم السكة . وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا حتى انتهوا إلى (مقبرة بنى مازن) وحجز الليل بينهم . فلما كان اليوم الثانى قصدوا للقتال فاقتتلوا قتالا شديدا . إلى أن زال النهار . وقتل خلق كثير من أصحاب ابن حنيف وكثرت الجراح فى الفريقين فلما عضتهم الحرب تداعوا للصلح .

ودخل بعض الناس على عثمان بن حنيف قصره . فأخرجوه إلى طلحة والزبير أسيرا ولم يبق فى وجهه شعرة إلا نتفوها . فاستعظما ذلك . وبعثا إلى عائشة فاعلماها الخبر . فأمرت أن يخلى سبيله .

فحمى لذلك جماعة من قوم قتلة عثمان بن عفان وأنصارهم . فركبوا فى جيش قريب من ثلاثمائة . ومقدمهم حكيم بن جبلة . فبارزوا وقاتلوا . فتصدى لهم جيش عائشة فانهكوهم قتلا . وقتل حكيم، وضعف شأن جيشه . وتغلب جيش عائشة على البصرة ونادى منادى طلحة والزبير فى القبائل أن من كان فيكم ممن غزا المدينة أحد فليأتنا به فجئ بهم . فقتلوا . فما أفلت منهم إلا حرقوص بن زهير السعدى فإن بنى سعد قومه منعوه[1] . ا.هـ .

وأصبحت بذلك البصرة تحت يد السيدة عائشة ومن معهامن الجيش . وكتبوا بذلك إلى أهل الشام وطلبوا منهم النهوض للمعاونة فى الثأر من قتلة عثمان رضى الله عنه وبعثوا بمثل ذلك إلى أهل لكوفة واليمامة والمدينة، وغيرها .

لقد بعثت السيدة عائشة رضى الله عنها بكتاب إلى أهل الكوفة منه : (إنا قدمنا البصرة . فدعوناهم إلى إقامة كتاب الله بإقامة حدوده . فأجابنا الصالحون إلى

---

(١) الخلفاء الراشدون : ٥٥٩، ٥٦٠ .

ذلك. واستقبلنا من لا خير فيه بالسلاح – أي قتلة عثمان – وقالوا: لنتبعنكم عثمان. ليزيدوا الحدود تعطيلا فعاندوا فشهدوا علينا بالكفر وقالوا لنا المنكر فقرأنا عليهم ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ [آل عمران: ٢٣] فاذعن لى بعضهم، واختلفوا بينهم فتركناهم وذلك فلم يمنع ذلك من كان على رأيه الأول أن يضع السلاح فى أصحابى وعزم عليهم عثمان ابن حنيف[١] إلا قاتلونى حتى منعنى الله عز وجل بالصالحين. فرد كيدهم فى نحورهم فمكثنا ستا وعشرين ليلة ندعوهم إلى كتاب الله وإقامة حدوده – وهو حقن الدماء أن تهراق دون من قد حل دمه – فأبوا. واحتجوا بأشياء. فاصطلحنا عليها فحافوا. وخانوا. وغدروا. فجمع الله – عز وجل – لعثمان ثارهم. فأقادهم. فلم يفلت منهم إلا رجل فالزموا الرضا إلا عن قتلة عثمان بن عفان حتى يأخذ الله حقه. ولا تخاصموا الخائنين ولا تمنعوهم ولا ترضوا بذُوِّى حدود الله فتكونوا من الظالمين)[٢].

علىّ وجيشه فى البصرة:

أما أمير المؤمنين: على بن أبى طالب فإنه لما بلغه وهو بالمدينة بمسير عائشة وقد عبئ جيشه إلى الشام دعا وجوه أهل المدينة. وقال لهم (إن آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أولا فانصروا الله ينصركم ويصلح لكم أمركم).

فانتدب معه ناس وثقل آخرون. فخرج من المدينة. وهو يرجو أن يلحق الزبير وطلحة قبل أن يصلا البصرة. واستخلف على المدينة: سهل بن حنيف فلما وصل الربذة أتاه خبر سبقهم. وفى الربذة لقبه عبد الله بن سلام. وطلب منه ألا يخرج فأبى. وكذلك تمنى الحسن بن على بن أبى طالب على أبيه ألا يخرج فأبى أيضا ورأى الناس تصميمه وعزمه على المسير إلى البصرة. فقام إليه ابْن لرفاعة ابن

---

(١) عثمان بن حنيف والى البصرة. من الصحابة الكرام.
(٢) المصدر السابق: ٥٦٠، ٥٦١.

رافع فقال: (يا أمير المؤمنين. أى شئ تريد؟ وإلى أين تذهب بنا؟ فقال: أما الذى نريد وننوى فالإصلاح. إن قبلوا منا وأجابونا إليه.

قال: فإن لم يجيبوا إلية؟ قال: ندعهم بعذرهم. ونعطيهم الحق ونصبر.

قال: فإن لم يرضوا؟ قال: ندعهم ما تركونا. قال: فإن لم يتركونا؟

قال: امتنعنا منهم. قال: فنعم إذا)

وبعث أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة يستنصرهم. وأرسل محمد بن أبى بكر ومحمد بن جعفر ومعهما كتابا. هذه صورته:

(إنى اخترتكم على الأمصار وفرعت إليكم لما حدث فكونوا لدين الله أنصارا وأعوانا وانهضوا إلينا. فالإصلاح نريد، لتعود هذه الأمة إخوانا. ومن أحب ذلك وآثره فقد أحب الحق. ومن أبغض ذلك فقد أبغض الحق وغمصه).

وكان رأى أبو موسى الأشعرى أمير الكوفة قعود الناس عن هذه الفتن. فلما سأله أهل الكوفة عن الخروج إلى على والقتال معه. قال: (إنما هما أمران القعود فى سبيل الآخرة والخروج فى سبيل الدنيا).

فلم يخرج مع ابن أبى بكر وابن جعفر أحد. فاغلظا لأبى موسى. فقال لهما: والله إن بيعة عثمان لفى عنقى وعنق صاحبكما. فإن لم يكن بد من القتال فلا نقاتل أحدا حتى تفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا.

فرجعا إلى على بالخبر. فلقياه بذى قار فأرسل بدلهما مالك بن الحارث الأشتر وعبد الله بن عباس فلما قدما الكوفة. كلما أبا موسى واستعانا عليه بنفر من أهلها. فقام وخطب الناس. وبعد أن حمد الله وأثنى عليه. قال:

(أيها الناس إن أصحاب النبى ﷺ الذين صحبوه أعلم بالله ورسوله ممن لم يصحبه. وإن لكم علينا لحقا. وأنا مؤد إليكم نصيحة. كان الرأى أن لا تستخفوا بسلطان الله وأن لا تجترئوا على الله وأن تأخذوا من قدم عليكم من المدينة فتردوهم إليها حتى يجتمعوا فهم أعلم بمن تصلح له الإمامة وهذه فتنة صماء القائم فيها خير من اليقظان. واليقظان خير من القاعد والقاعد خير من القائم

والقائم خير من الراكب، والراكب خير من الساعى فكونوا جرثومة من جرائيم العرب فاغمدوا السيوف وانصلوا الأسنة وقطعوه الأوتار. وآووا المظلوم والمضطهد حتى يلتئم هذا الأمر وتنجلى هذه الفتنة).

فرجع ابن عباس والأشتر إلى على بالخبر. فأرسل الحسن بن على وعمار بن ياسر فاقبلا حتى دخلا المسجد. فقال الحسن لأبى موسى لم تثبط الناس عنا فوالله ما أردنا إلا الإصلاح ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شئ. قال: صدقت بأبى أنت وأمى. ولكن المستشار مؤتمن سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم. والقائم خير من الماشى. والماشى خير من الراكب).

(وقد جعلنا الله إخوانا. وقد حرم علينا دماءنا وأموالنا)

فكثر الجدال بين الناس فمن محرض على الخروج مع أمير المؤمنين. ومن مثبط عنه[1].

وبعد المحاورات والمداولات استجاب الناس للنفير وساروا مع الحسن بن على وعمار بن ياسر جيش من أهل الكوفة قوامه زهاء تسعة آلاف رجل وكان من رؤساء من انضاف إلى على القعقاع بن عمرو. وسعد بن مالك، وزيد بن صوحان. وعدى بن حاتم. وحجر بن عدى فجاءوا عليا وقد زلزلوا الأرض بصياحهم وملأوه بسيوفهم المشرعة، فقام أمير المؤمنين فيهم خطيبا فقال: (يا أهل الكوفة: أنتم وليتم شوكة العجم وملوكهم. وفضضتم جموعهم حتى صارت إليكم مواريثهم فاغنيتم حوزتكم. وأعنتم الناس على عدوهم وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة. فإن يرجعوا فذاك ما نريده. وإن يلجوا داو يناهم بالرفق. وبايناهم حتى يبدؤونا بظلم. ولن ندع أمرا فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه من الفساد إن شاء الله. ولا قوة إلا بالله)[2].

---

(١) إتمام الوفاء: ١٧٥، ١٧٦.　(٢) الخلفاء الراشدون: ٥٦٣.

وكان أمير المؤمنين قد التقى بعامله على البصرة: عثمان بن حنيف رضى الله عنه مهشما. وليس فى وجهه شعرة فقال: يا أمير المؤمنين: بعثتنى إلى البصرة وأنا ذو لحية. وقد جئتك أمرد فقال له أمير المؤمنين: (أصبت خيرا وأجرا).

وأراد أمير المؤمنين أن يتعرف على حقيقة موقف طلحة بن عبيد الله والزبير ابن العوام رضى الله عنهما فندب لهذه المهمة الصحابى العبقرى والقائد المظفر: القعقاع بن عمرو رضى الله عنه. وقال له: (الق هذين الرجلين – طلحة والزبير – فادعهما إلى الألفة والجماعة. وعظِّم عليهما الفرقة).

فخرج القعقاع حتى قدم البصرة. فبدأ بأم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها فسلم عليها وقال: (أى أمه. ما أشخصك. وما أقدمك هذه البلده؟ قالت: (أى بنى إصلاح بين الناس. قال: فابعثى إلى طلحة والزبير حتى تسمعى كلامهما فبعثت إليهما فجاءا.

فقال: إنى سألت أم المؤمنين. ما أشخصها. وما أقدمها هذه البلاد؟

فقالت: إصلاح بين الناس. فما تقولان أنتما أمتابعان أم مخالفان؟ قالا: متابعان قال: فأخبرانى. ما وجه هذا الإصلاح؟ فوالله لئن عرفناه لنصلحن. ولئن أنكرناه لا نصلح قالا: قتلة عثمان رضى الله عنه. فإن هذا إن ترك كان تركا للقرآن. وإن عمل به كان إحياء للقرآن.

قال: قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة. وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم قتلتم ستمائة رجل. فغضب لهم ستة آلاف. واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم. وطلبتم ذلك الذى أفلت – يعنى حرقوص بن زهير – فمنعه ستة آلاف وهم على وجل – أى على خوف وحذر – فإن تركتموهم كنتم تاركين لما تقولون. وإن قاتلتموهم والذين اعتزلوكم. فأديلوا عليكم فالذى حذرتم وقربتم به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون. وأنتم أحميتم مضر وربيعة من هذه البلاد. فاجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرة لهؤلاء. كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير.

قالت أم المؤمنين: فتقول أنت ماذا؟

قال: أقول: هذا الأمر دواؤه التسكين. وإذا سكن اختلجوا - تفرقوا - فإن بايعتمونا فعلامة خير. وتباشير رحمة. ودرك بثأر هذا الرجل. وعافية وسلامة لهذه الأمة. وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه. كانت علامة شر. وذهاب هذا الثأر. وبعث الله في هذه الأمة هزا هزها - البلايا والحروب - فآثروا العافية ترزقوها. وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم تكونون. ولا تعرضونا للبلاء. ولا تَعرَّضوا له فيصرعنا وإياكم. وايم الله. إني لأقول هذا وادعوكم له. وإني لخائف ألا يتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الأمة التي قل متاعها. ونزل بها ما نزل. فإن هذا الأمر الذي حدث أمر ليس يُقَدّر وليس كالأمور. ولا كقتل الرجل. الرجل ولا النفر الرجل ولا القبيلة الرجل.

فقالوا: نعم. إذا قد أحسنت وأصبت المقالة. فارجع: فإن قدم عَليٌّ وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر.

فرجع إلى عليّ فأخبره. فأعجبه ذلك. وأشرف القوم على الصلح. كره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه)[1] لقد وقع كلام القعقاع بن عمرو موقعا حسنا من نفس أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها وطلحة والزبير رضي الله عنهما. وكذلك أعجب أمير المؤمنين عليّ من مقالة القعقاع بن عمرو وسر بنجاح مهمته وتوصله للصلح وحفظ دماء المسلمين واتفاق الكلمة وتوجد الصف للوقوف أمام قتلة عثمان والتنكيل بهم. وخطب فيمن معه فكان مما قال: (ثم حدث هذا الحدث الذي جره على الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا. حسدوا من أفاءها الله عليه على الفضيلة. وأرادوا رد الأشياء على أدبارها والله بالغ أمره ومصيب ما أراد. ألا وإني راحل غدا فارتحلوا ألا ولا يرتحن غدا أحد أعان على عثمان بشئ في شئ من أمور الناس. وليُغْن السفهاء عنى أنفسهم).

---

(١) في هذا النص الذي رواه الطبري في تاريخه الرد القوي على افتراءات بعض المؤلفين والباحثين والمؤرخين لهذه الأحداث.

وارتحل أمير المؤمنين بمن معه. وحطوا رحالهم قريبا من البصرة فنزل جيشه بمكان يسمى (الزاوية) وجيش عائشة نزل بمكان يسمى (الفرضة) وتدانوا حتى تراءوا عند قصر عبيد الله بن زياد [1] في يوم الخميس للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين للهجرة.

من أين جاء الشر؟

لما كان أمر الصلح – بين على ومعسكر السيدة عائشة – لايسوء أحدا من الأمة سوى المجلبين على عثمان لأن حياتهم لا تكون إلا بدوام الشقاق بين على وخصومه: أشفقوا على أنفسهم أن يكون هذا الصلح على أعناقهم فاجتمع منهم رهط ممن سار إلى عثمان. ورضى بسير من سار وخلصوا نجيا. منهم: علباء ابن الهيثم وعدى بن حاتم. وسالم بن ثعلبة العبسى. وسريح بن أوفى. والأشتر. وابن السوداء (عبد الله بن سبأ) وخالد بن ملجم وغيرهم. فتشاوروا فيما يصنعون. وكان فيما قال بعضهم لبعض: إذا اجتمع الناس غدا واصطلحوا فليس الصلح إلا علينا وأشار بعضهم (وهو الأشتر) بقتل: على وطلحة حتى تكون هذه بتلك فيغفر الناس لهم ما أحدثوا بعثمان. فسفه الآخرون رأيه. وكل أبدى رأيا فقال لهم ابن السوداء: إن عزكم فى خلطة الناس فصانعوهم. وإذا التقى الناس غدا فانشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر. فإذا من أنتم معه لا يجد بدا من أن يمتنع. ويشغل الله عليا وطلحة والزبير عما تكرهون.

لما وصل علىّ بعد ذلك إلى البصرة وقد بيت السبئية أمرهم وهو لا يعلم ولا بقية عسكره بما يسرون. أرسل إلى القوم: (إن كنتم على ما فارقتم القعقاع عليه. فكفوا وأقرونا ننزل وننظر فى هذا الأمر). فنزلوا والقوم لا يشكون فى الصلح. ومشت السفراء بين الفريقين وبات الناس ينتظرون العافية من هذا الحادث الجلل. فقام السبئية فى الغلس ووضعوا السلاح فى أهل البصرة وهم غازون. فلما

---

[1] عين فيما بعد واليا على البصرة فى عهد يزيد بن معاوية فقتل جيشه الإمام الحسين بن على رضى الله عنه فى كربلاء.

كانت الهيعة. سأل طلحة والزبير عن الخبر. فقالوا: طرقنا أهل الكوفة ليلا. فقالا: قد علمنا أن عليا غير منته حتى يسفك الدماء ويستحل الحرمة وأنه لن يطاوعنا وسأل عليّ عن الخبر. وكان السبئية قد أرصدوا رجلا قريبا منه يخبره بما يريدون فقال له: ما فجئنا إلاو قوم منهم بيتونا. فرددناهم من حيث جاءوا فوجدنا القوم على رجل فركبونا وثار الناس. فقال عليّ: قد علمت أن طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدماء ويستحلا الحرمة وأنهما لن يطاوعانا.

ولم يجد الفريقان بدا من القتال. إذا لم يكن ثمة مجال لاستجلاء الواقع ولا تراسل الرؤساء. وتبين الحقيقة يفضى إلى تدارك الأمر[1] أ.هـ.

والحمد لله لم يكن من بين المتآمرين من قتلة عثمان صحابى واحد. وهم قريب من ألفى رجل. وقامت الحرب وتبارز الفرسان وجالت الشجعان. فنشبت الحرب وتواقف الفريقان وقد اجتمع مع أمير المؤمنين عشرون ألفا والتف حول السيدة: عائشة نحو من ثلاثين ألفا.

وقام أنصار عبد الله بن سبأ اليهودى الحاقد بالقتل خلسة وطرفى النزاع لم يطلعا على مؤامرة السبئيين. وظن أمير المؤمنين ومن معه. أن طلحة والزبير قد غدروا بهم. وظن طلحة والزبير وعائشة أن عليا قد غدر بهم. وكل من الفريقين أتقى لله وأرفع من أن يفعل ذلك فى الجاهلية فكيف بعد أن بلغوا على المنازل من أخلاق القرآن وأدب الرسول ﷺ.

ولما قامت المعركة جاء كعب بن سور – قاضى البصرة – إلى السيدة عائشة رضى الله عنها فقال: يا أم المؤمنين أدركى الناس لعل الله أن يصلح بك بين الناس. فجلست فى هودجها فوق بعيرها. وستروا الهودج بالدروع. وجاءت فوقفت بحيث تنظر للناس عند حركاتهم.

وحميت المعركة واشتد أوارها. ومع كل رأس يميل أو ساق تقطع. أو

---

(١) الخلفاء الراشدون النجار (٤٠٩).

معصم تبتر. كان قلب الإمام عليّ. يتفطر وينزف دما. لما يرى من تقاتل أصحاب الدين الواحد.

إن وزر ذلك كله يبوء به قتلة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه. المتآمرون الذين أقاموا القتال بتلك المكيدة اليهودية. حتى ظن كل فريق. أن الفريق الآخر قد غدر به. ولم يكن هناك أى مجال لإزالة اللبس وكشف المؤامرة.

والعجب كل العجب أن العقاد[1] رحمه الله يمدح أتباع ابن سبأ فيقول: وكان معه – أى عليّ – جماعة السبئية. وهم أخلص الناس له. وأغيرهم عليه. ولكنهم لفرط غيرتهم ولددهم فى عداوتهم. لم يقتنعوا بما دون القضاء على خصومه. ولم يقبلوا التوسط فى الصلح دون الغلبة التى لا هوادة فيها قد هموا القوم. وأوقدوا جذوة الحرب. قبل أن يفرغ عليّ من حديث المهادنة والتقريب بينه وبين أصدقائه الذين خرجوا عليه ... إلخ.

وبارز عمار بن ياسر الزبير بن العوام فكان عمار ينخزه بالرمح. والزبير كافّ عنه لأنه سمع النبى ﷺ يقول لعمار (تقتلك الفئة الباغية).

وقد رأى الزبير رضى الله عنه أن قتاله ليس بصواب. وأن ما رآه فى المعركة بين أبناء الدين الواحد لأمر محزن. فترك المعركة ورجع. فنزل واديا يقال له (وادى السباع) وتبعه رجل يسمى عمرو بن جرموز. فوجده نائما. فقتله غيلة. قبح الله فعليه. وأما طلحة فجاءه فى المعركة سهم لا يعرف صاحبه فقتله رضى الله عنه.

ولما وقفت أم المؤمنين وهى فى هودجها تنظر الناس. هالها ما ترى. فناولت كعب بن شور مصحفا وقالت: (ادعهم إليه) فلما تقدم كعب بالمصحف يدعو إليه استقبلته مقدمة جيش الكوفيين وكان عبد الله بن سبأ وأعوانه بين يدى الجيش يقتلون من قدروا على قتله من أهل البصرة أعوان جماعة السيدة عائشة

---

(١) عبقرية الإمام على: ٩٥.

رضى الله عنها. فلما رأوا كعب بن شور رافعا المصحف رشقوه بنبالهم رشقة رجل واحد فأردوه قتيلا.

ووصلت النبال على هودج أم المؤمنين رضى الله عنها. فجعلت تنادى (الله. الله. يا بنى اذكروا يوم الحساب) ورفعت يديها تدعو على قتلة عثمان. فضج الناس معها بالدعاء حتى بلغت الضجة إلى أمير المؤمنين. فقال: ما هذا؟ قالوا: أم المؤمنين تدعو على قتلة عثمان وأشياعهم فقال (اللهم العن قتلة عثمان وأشياعهم) [ذكره الحافظ ابن عساكر ٧/ ٨٥].

وجعل أولئك النفر من السبئيين يرشقون هودج أم المؤمنين بالنبال. وجعلت أم المؤمنين تحرض الناس على منعهم وكفهم. فطردوهم. وجعلت الحرب تتماوج فمرة لأتباع السيدة عائشة ومرة للمعسكر الثانى وقتل خلق كثير وجم غفير.

واستبسل أتباع السيدة عائشة حول هودجها خوفا من أن ينالها سوء حتى قتل على خطام الجمل أربعون رجلا وقيل سبعون رجلا[1]. وجاء محمد بن أبى بكر وعمار بن ياسر وحملا الهودج فنحياه عن القتلى وخرج بها أخوها محمد حتى أدخلها البصرة — وقد عقر جملها بأمر من علىّ محاولا بذلك وقف القتال. وقد كان ما توقع أمير المؤمنين. ونادى منادى أمير المؤمنين فى الناس:

(إنه لا يتبع مدبر. ولا يذفف على جريح ولا يدخلوا الدور) ولما حمل محمد بن أبى بكر وعمار بن ياسر هودج أم المؤمنين بأمر من الإمام على كرم الله وجهه. وأمرهما أن يضربا عليها قبة بعيدا عن مكان القتلى.

سألها محمد: هل وصل إليك شئ من الجراح؟ فقالت: لا. وسلم عليها عمار فقال: كيف أنت يا أمه؟ فقالت: لست لك بأم. قال: بلى. وإن كرهت.

وجاء إليها أمير المؤمنين علىّ كرم الله وجهه مسلما: فقال: كيف أنت يا أمه؟ قالت: بخير قال: يغفر الله لنا ولكم. فقالت: غفر الله لنا ولكم.

---

(١) كلهم قريشيون مكيون.

وأقام الإمام عليّ في عسكره ثلاثة أيام لا يدخل البصرة. ونادى في الناس أن يدفنوا موتاهم بعد أن صلى على الموتى جميعا وترحم على من يعرفه منهم ومن لا يعرفه. فكلهم مسلمون.

وكان مجموع من قتل يوم الجمل من الفريقين عشرة آلاف. خمسة آلاف من هؤلاء وخمسة آلاف من هؤلاء. وقتل قبل وصول الإمام في المعركة التي دارت بين معسكر السيدة عائشة وقوات عثمان بن حنيف. ألف قتيل. رحم الله الصادقين من القتلى ورضى عن الصحابة الكرام منهم ونسأل الله تعالى أن يعفو عن مسيئهم ويغفر لنا ولهم إنه سميع مجيب.

وكانت الوقعة يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٦ هـ.

قال فيه الإمام على رضى الله عنه (والله لوددت أنى مت قبل هذا بعشرين سنة) ومثل هذا القول قالت أم المؤمنين رضى الله عنها.

وأمر أمير المؤمنين أن يجمع كل ما في أرض المعركة ويحمل إلى مسجد البصرة. ونادى في الناس كل من عرف شيئا أخذه – أى عرف حاجته – وأما الباقى فهو ملك للدولة. لأن هذه ليست غنائم. فطعن السبئية في رأى عليّ وقالوا: كيف تحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا أموالهم فبلغ ذلك عليا رضى الله عنه فقبحهم وذمهم وأنكر عليهم ما قالوه. قائلا: أيكم يحب أن تصير أم المؤمنين في سهمه..؟

وحملت أم المؤمنين من قبتها إلى دار: عبد الله الخزاعى بالبصرة على صفية بنت الحارث وبايع أهل البصرة أمير المؤمنين على بالخلافة. وولى عليها: عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما. وجعل على الخراج وبيت المال: زياد بن أبى سفيان.

وذهب أمير المؤمنين إلى دار عبد الله بن خلف الخزاعى ودخل على أم المؤمنين. فسلم عليها وقعد وسألها عن حالها. وفي يوم السبت غرة رجب سنة ست وثلاثين للهجرة كان يوم رحيلها فجاءها عليّ حتى وقف لها وحضر الناس. فخرجت على الناس وقالت:

(يا بني . نعتب بعضنا على بعض استبطاء وزيادة . فلا يعتدن أحد منكم بشئ بلغه من ذلك . إنه ما كان بيني وبين على في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها وإنه عندى - على معتبتي - لمن الأخيار) .

وقال على : (يا أيها الناس صدقت وبَرتْ ما كان بيني وبينها إلا ذلك . وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة) ثم شيعها على أميالا وسرح بنيه معها يوما رضى الله عنهم جميعا وهكذا أسدل الستار على هذا الفصل المأساوى الرهيب الذى تنفطر له القلوب يتحمل وزره هؤلاء الذين خرجوا على أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضى الله عنه وقتله . وتمردوا على سلطان الدولة . ونشروا الرعب والفزع على أرض الحجاز وخاصة المدينة المنورة التى انتهكوا حرمتها وحرمة الشهر الحرام (ذى الحجة ٣٤ هـ) ولم يتادبوا في جوار رسول الله ﷺ وأشعلوا النيران بالمدينة حتى امتدت إلى البصرة العراقية فاكتوى الناس بنارها ولفحهم لهيبها وسقط الرجال من الطائفتين كل حسب نيته - نرجو الله أن يعفو عنهم - وتركوا الأحياء في حسرة ولوعة مما حدث - والكل لا يدرى ماذا حدث ولم حدث - من القتل والتشرد .

والحمد لله رب العالمين قد برأت ساحة الصحابة وأم المؤمنين كما مر بنا في الفقرات السابقة فهذا أمير المؤمنين نراه وهو يتفقد القتلى يرى أخاه وصاحبه : **طلحة بن عبيد الله مجندلا . فيمسح التراب عن وجهه وعيناه تدمعان وهو يقول : (رحمة لله عليك أبا محمد . يعز على أن أراك مجندلا تحت نجوم السماء) ثم قال : (إلى الله أشكو فجرى وتجبرى . والله لوددت أنى كنت مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة)** [ابن عساكر ٧ / ٨٦، ٨٧ عن الشعبى] .

ولما ذهب إليه عمرو بن جُرموز يخبره بأنه قتل الزبير بن العوام ليكون له بذلك عنده حظوة . فقال له أمير المؤمنين : (سمعت رسول الله ﷺ يقول « بشر قاتل ابن صفية[1] بالنار ») .

---

(١) السيدة صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ وعمة الإمام على كرم الله وجهه وهى : أم الصحابى الجليل الزبير بن العوام زوج السيدة أسماء أخت السيدة عائشة رضى الله عنهما .

ثم قال لهذا الرجل الشقى قاتل الزبير الذى دخل عليه ومعه سيف الزبير (إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله ﷺ).

كما أنه قال (إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير وعثمان ممن قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧] قال ذلك لعمران بن طلحة يواسيه كما أنه أمر بتعزير رجلين وقعا فى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ببعض الكلام فضربا مائة. مائة فسحقا لهؤلاء الذين وقعوا فى أصحاب رسول الله ﷺ وأم المؤمنين ويدعون أنها كانت تكره عليا وما كانت تريد مبايعته. ويلهثون وراء روايات مكذوبة عن الشيعة ومن على شاكلتهم ممن لا يعرفون للصحابة قدرهم.

فهذه أم المؤمنين لما سئلت: (أى الناس أحب إلى رسول الله ﷺ؟ قالت: فاطمة فقيل لها من الرجال؟ قالت: زوجها إن كان ما علمت صواما قواما).

كما أنها هى التى روت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام فضلهم ومناقبهم وجاء الأحنف بن قيس – بعد مقتل عثمان – يسألها قائلا: (أنشدك بالله من تأمرينى أن أبايع؟ قالت: عليا. فقال الأحنف: أتأمرينى بذلك وترضينه لى؟ قالت: نعم. فبايعه).

إن هذا الذى وقع كان الصحابة لا يريدونه. لأنهم كانوا يريدون الإصلاح وإقامة حدود الله عز وجل وأن تستقر أمور الدولة. ولكنهم شاءوا وشاء الله تعالى: وكان أمر الله قدرا ومقدورا.

(جـ) على ومعاوية رضى الله عنهما

كان معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما أميرا على بلاد الشام. زمن خلافة عمر بن الخطاب وزمن خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنهما.

ولما بويع الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه بالخلافة بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه قام بتبديل الأمراء بالأمصار. وبعث (سهل بن حنيف) أميرًا على الشام بدل معاوية رضى الله عنه فردته جماعة من الناس من

تبوك . وعزم أهل الشام على الثأر لدم عثمان رضى الله عنه ولما فرغ أمير المؤمنين من وقعة الجمل سار من البصرة إلى الكوفة فدخلها لثنتى عشر ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين للهجرة . ونزل (الرحبة) وصلى فى الجامع الأعظم ركعتين . ثم خطب الناس فحثهم على الخير . ونهاهم عن الشر . وامتدح أهل الكوفة التى جعلها مقر خلافته وأراد أن يبعث إلى معاوية رضى الله عنه يدعوه إلى بيعته . فقال له جرير بن عبد الله البجلى : (أنا أذهب إليه يا أمير المؤمنين . فإن بينى وبينه ودا . فآخذ لك منه البيعة) .

قال الشيخ محمد الخضرى رحمه الله : فأرسل - على - جرير بن عبد الله البجلى إلى معاوية بالشام يدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس . ويعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته . فامتنع معاوية حتى تقتل قتلة عثمان حيث كانوا . ثم يختار المسلمون لأنفسهم إماما . لأنه رأى أن بيعة علىّ لم تنعقد لافتراق الصحابة - أهل الحل والعقد - فى الآفاق . ولا تتم البيعة إلا باتفاقهم ولا تلزم بعقد من تولاها من غيرهم . أو من القليل منهم . فجعل رضى الله عنه القصاص من قتلة عثمان أول واجب على المسلمين . والذى يطالب به وليه . ثم اختيار الإمام أمر ثان .

ولم يكن معاوية يتهم عليا رضى الله عنهما بالممالأة على عثمان . حاشا لله . بل كان يظن فيه الهوادة عن نصرة عثمان من قاتليه . كما ذكر العلامة ابن خلدون فى مقدمة تاريخه .

أما علىّ رضى الله عنه . فكان يرى أن بيعته قد تمت ولزمت من تأخر عنها باجتماع من اجتمع عليها بالمدينة دار النبى ﷺ . وموطن الصحابة وأرجأ الأمر فى القصاص من قتلة عثمان إلى اجتماع الناس واتفاق الكلمة . فيتمكن حينئذ مما يجب أن يفعل . وبذلك عد من لم يبايعه خارجا عليه يحل له قتاله[1] . أ.هـ.

---

(١) إتمام الوفا : ١٨٣ .

كان عليّ ومعاوية رضى الله عنهما متفقين على ضرورة القصاص من قتلة عثمان رضى الله عنه ولكن الخلاف كان حول زمن التنفيذ. فمعاوية كان يستعجل التنفيذ. وعليّ يرى من الضرورى تأخير التنفيذ حتى يتم مبايعة من لم يبايع ويخرج الثوار من المدينة وتستقر أمور الدولة ولكل منهما مبرراته كما ذكر الشيخ محمد الخضرى. ويذكر الأستاذ عبد الستار الشيخ المزيد من التفسير لوجهتى النظر عن كل منهما فيقول(1): فقد رأى معاوية وأهل الشام. أن الجناة على عثمان وعلى رأسهم الأشتر وابن سبأ فى معسكر على – وهذه حقيقة لا يمارى فيها أحد – وقد قتلوا الخليفة بوحشية مفظعة. وكانوا مِسْعرَ الحرب بين على وأصحاب الجمل. فصعب على معاوية أن يراهم أحياء يتنفسون الهواء وأن يبايع الإمام وهم لا يزالون فى جيشه. فتمنى أن يقتلهم الخليفة. أو أن يسلمهم إلى معاوية – وهو الوالى القوى – فينكل بهم.

وقد كان لعلى – رضى الله عنه – العذر فى عدم التعجيل بعقوبتهم. لأنهم قد أصبحوا فى العراق بمعقل من قوتهم. وعنجهية قبائلهم. وكثرة مؤيديهم ومادتهم. وفتح باب القتال معهم ينذر بشر مستطير. وتسكين الأمر هو الحل الأنجع فى مثل هذه الظروف. وهذا ما تنبه له القعقاع بن عمرو عندما سار بالصلح بين أمير المؤمنين وأصحاب الجمل.

ولهذا فإن عليا رفض طلب معاوية ودعاه أن يدخل فى البيعة كما دخل أهل مكة والمدينة والبصرة والكوفة واليمن ومصر والبحرين واليمامة وغيرهم. ثم بعد ذلك يقوم الإمام بإقامة الحدود والقصاص من المجرمين.

فالذين يطالبون بإقامة حد الله على قتلة عثمان معذورون. لأنهم يطالبون بحق سواء أكانوا من أصحاب الجمل. أم من أهل الشام. وكذلك عليّ معذور فى تأجيل إقامة حد الله لأن ذلك كان عن ضرورة قائمة. أ. هـ.

ولنا أن نتساءل هل يجوز فى الفقه الإسلامى أن يقام حد الله على قتلة أمير

---

(1) الخلفاء الراشدون: ٥٨٢، ٥٨٣.

المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ولم تتم البيعة لأى شخص ليتحمل مسئولية الحكم فيها؟

إن سيدنا معاوية يزعم أن الإمام علىّ لم تتم له البيعة. وأن بيعة أهل المدينة وغير الصحابة لا تكفى لتفرق الصحابة بالأقاليم فكيف – وهو يزعم ذلك – يطلب من سيدنا علىّ بن أبى طالب أن يسلم له قتلة عثمان لينكل بهم إن لم يقم هو بإقامة حد الله؟

وأجيب: لا يجوز شرعا أن يقتص من الجانى قبل أن تتم مبايعة الخليفة – لأن المسئولية ليست محددة فى شخص ما – وإذا أقيم الحد بلا خليفة. فسوف يجر هذا الأمر إلى فوضى وأقول أيضا: إن مطالبة معاوية لأمير المؤمنين علىّ بالقصاص من قتلة عثمان أو يسلمهم له لينكل بهم. هو اعتراف من معاوية رضى الله عنه بأن عليا كرم الله وجهه هو أمير المؤمنين فإذا لم يكن هذا الإعتراف قائما لطالب غير الإمام علىّ بالقصاص والثأر من هؤلاء القتلة إن مبررات علىّ لموقفه. ومبررات معاوية لموقفه. أبلغ رد على أولئك الذين يلمزون الصحابة ويتهمونهم بما ليس فيهم. فلقد رأينا فى هذه المبررات أن كلا من معاوية وعلى. يحترم صاحبه ويعرف له منزلته ومكانته وشرفه. رضى الله عن الصحابة الكرام.

إلى الشام ووقعة صفين

ولما أصر معاوية رضى الله عنه على موقفه – القصاص أولا ثم المبايعة – قرر أمير المؤمنين على كرم الله وجهه المسير إلى أهل الشام لردهم إلى الجادة. وضمهم إلى الصف الإسلامى وأخذ البيعة منهم. فاستخلف على الكوفة. أبا مسعود: عقبة بن عمرو. وخرج منها حتى وصل إلى (النخيلة) – أول طريق الشام من العراق – وقد أشار عليه ناس بأن يبقى فى الكوفة ويبعث غيره إلى الشام فرفض. وقدم عليه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما من البصرة واستخلف عليها زيادا.

وعلم بذلك معاوية رضى الله عنه سار إليه فى جيوش الشام فالتقى الجيشان

فى سهل صفين على نهر الفرات شرقى حلب . خرج الشاميون فى تسعين ألفا . وتقدم على بجيوشه إلى تلك الجهة فى مائة وعشرين ألفا .

يقول الإمام محمد بن سيرين رحمه الله : (وكان الصحابة فى أيام هذه الفتنة عشرات الألوف فلم يحضرها منهم مائة . بل لم يبلغوا ثلاثين) .

وعبر علىّ بجيشه الفرات . وقدم بين يديه زياد بن النضر وشريح بن هانئ فى طائفة من الجيش نحو معاوية وضم إليه مالك الأشتر .

وفى اليوم الثالث فاقبل على رضى الله عنه فى جيوشه . وجاء معاوية رضى الله عنه فى جنوده فتواجه الفريقان . وتواقفوا طويلا . وذلك بمكان يقال له (صفين) فى أوائل ذى الحجة وأقام على يومين لا يكاتب معاوية . ولا يكاتبه معاوية .

ثم قرر أمير المؤمنين أن يحاول مرة أخرى فى إثناء معاوية عن موقفه حتى يجتمع المسلمون على كلمة سواء فبعث إليه وفدا مكونا من بشير بن عمرو الأنصارى وسعيد بن قيس الهمدانى وشبث ابن ربعى التميمى قائلالهم : (ائتوا هذا الرجل فادعوه إلى الله وإلى الطاعة والجماعة واسمعوا ما يقول لكم) .

فتوجهوا إليه . فتكلم بشير بن عمرو . فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : (يا معاوية : إن الدنيا عنك زائلة . وإنك راجع إلى الآخرة . وإن الله محاسبك بعملك ومجازيك عليه . وإنى انشدك الله الا تفرق جماعة هذه الأمة والا تسفك دماءها بينها .

فقال معاوية : هلا أوصيت بذلك صاحبك ؟

فقال بشير : ليس مثلك . إن صاحبى أحق البرية بهذا الأمر فى الفضل والدين والسابقة فى الإسلام والقرابة بالرسول ﷺ .

قال : فماذا يقول ؟ قال : يأمر بتقوى الله . وأن تجيب ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق فإنه أسلم لك فى دنياك . وخير لك فى عاقبة أمرك .

قال معاوية: ونترك دم ابن عفان؟ لا والله لا أفعل ذلك أبدا.

فذهب سعيد بن قيس يتكلم. فبادره شيث بن ربعى. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معاوية قد فهمت ما رددت على بشير. إنه والله لا يخفى علينا ما تطلب. إنك لم تجد شيئا تستغوى به الناس. وتستميل به أهواءهم وتستخلص به طاعتهم إلا قولك: قتل إمامكم مظلوما فنحن نطلب بدمه. فاستجاب لك سفهاء طغام. وقد علمنا أنك أبطأت عنه بالنصر. وأحببت له القتل لهذه المنزلة التى أصبحت تطلب ورب متمنى أمر وطالبه يحول الله دونه وربما أوتى المتمنى أمنيته وفوق أمنيته. والله مالك فى واحد منهما خير. والله إن أخطأت ما ترجو إنك لشر العرب حالا. ولئن أصبت ما تتمناه لا تصيبه حتى تستحق من ربك صلى النارفاتق الله يا معاوية ودع ما أنت عليه. ولا تنازع الأمر أهله.

فاثرت مقالته هذه فى معاوية أشد التأثير لأنه حمله فيها ما لم يرده. فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: أما بعد: فإن أول ما عرف به سفهك وخفة حلمك أن قطعت على هذا الحسيب الشريف سيد قومه منطقه. ثم اعترضت بعد فيما لا علم لك به. فقد كذبت ولؤمت أيها الأعرابى الجلف الجافى فى كل ما ذكرت ووصفت. انصرفوا فليس بينى وبينكم إلا السيف.

ومن هنا يفهم أن السفراء بين الأمراء عليهم المدار فى الإصلاح والإفساد.

ولقد صدق معاوية. فإن شبث بن ربعى كان أول الخارجين على أمير المؤمنين على فرجع الوفد إلى على وأخبره.

وكانت الحرب إذا لا محيص عنها إذ معاوية يطلب قتلة ابن عمه. عثمان ابن عفان. وهو أولى الناس بالمطالبة بذلك لأنه وليه. وحدود الله لا تؤخر لأى سبب. وعلىّ يريد رده إلى الطاعة والجماعة. ثم ينظر فى القصاص من قتلة عثمان.

ومع ذلك كانوا يحذرون أن يلقى جميع أهل الشام جميع أهل العراق حذرا من الهلاك والاستئصال فيضيع الإسلام. ويطمع فيه أعداؤه[1]. أ. هـ.

---

(١) إتمام الوفاء: ١٨٣ – ١٨٥.

وقال القتال بينهما خلال شهر ذى الحجة سنة ٣٦ هـ وفى مطلع شهر المحرم من السنة السابعة والثلاثين للهجرة . ثم عقد هدنة مدتها شهر بين أمير المؤمنين على رضى الله عنه ومعاوية وأهل الشام طمعا فى الصلح لكى يتمكن أمير المؤمنين من رعاية مصالح العباد وإقامة حد الله وشريعته . واختلفت بينهما الرسل والرسائل فى هذا الشهر من تحقيق هذا الغرض . فأرسل أمير المؤمنين إلى أهل الشام . عدى ابن حاتم ويزيد بن قيس الأرحبى وشبث بن ربعى وزياد بن حفصة . ولما وصلوا إلى معاوية رضى الله عنه . تكلم عدى . فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : (أما بعد : فإنا أتيناك ندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا وأمتنا . ونحقن به الدماء ونصلح ذات البين . إن ابن عمك أحسن الأمة سابقة . وأحسنها فى الإسلام أثرا وقد استجمع له الناس . ولم يبق أحد غيرك وغير من معك . فاحذر يا معاوية لا يصيبك وأصحابك مثل يوم الجمل) فقال معاوية : (كأنك إنما جئت مهددا . ولم تأت مصلحا . هيهات يا عدى . إنى والله لابن حرب لا يقعقع لى بالشنان . وإنك والله من المجلبين على عثمان وإنك من قتلته . وإنى لأرجو أن تكون ممن يقتله الله به) .

فقال من مع عدى : (أتيناك فيما يصلحنا وإياك فأقبلت تضرب لنا الأمثال . دع مالا ينفع وأجبنا فيما يعم نفعه) .

فطلب معاوية أن يسلم على من معه من قتلة عثمان . ومن ألب عليه .

فقال شبث بن ربعى : (أيسرك أن تقتل عمار بن ياسر؟ فقال : وما يمنعنى من ذلك لو تمكنت من ابن سمية لقتلته بمولى عثمان . فقال شبث : والله الذى لا إله غيره لا تصل إليه حتى تندر الهام عن الكواهل وتضيق الأرض والقضاء عليك .

فقال معاوية : لو كان كذلك لكانت عليك أضيق – ثم تفرق القوم بلا نتيجة وكذلك من بعثهم معاوية إلى على[1] . أ . هـ – وكان قد بعث جماعة

---

(١) المصدر السابق : ١٨٥ . وأعتقد عدم صحة ما قاله معاوية فى عمار بن ياسر . لأن معاوية ممن سمعوا قول رسول الله ﷺ لعمار (تقتلك الفئة الباغية) فهل يجرؤ معاوية أن يكون من هؤلاء؟

منهم حبيب بن مسلمة فأكدوا على ما خرج أهل الشام لأجله وهو القصاص من قتلة أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه.

هذا. وقد ذكر الطبرى فى تاريخه(١): أن أمير المؤمنين عليّ رضى الله عنه رد على رسل معاوية فى كلام طويل. وفيه ينتقص من معاوية وأبيه. ويقول فيهما (إنهما دخلا الإسلام ولم يزالا فى تردد فيه) وأنه قال: (لا أقول إن عثمان قتل مظلوما ولا ظالما).

وهذا الكلام قبيح ولا يمكن صدوره من الإمام على رضى الله عنه ولا من أى أحد من الصحابة بل ولا من مؤمن يتقى ربه. لأمور هى:

(١) إن التعرف على إيمان العبد وحقيقته ليس موكولا إلى العباد. فالعباد لهم الظاهر والله عز وجل يتولى السرائر. وفى جهاد معاوية وأبيه ما يدل على حسن صحبتهما وصدق إيمانهما وقوته.

(٢) إن معاوية وأباه صحابين حسن إسلامهما. ومعاوية كان محل ثقة رسول الله ﷺ وهو من كتاب الوحى كما أنه خال المؤمنين فأخته (أم حبيبة رضى الله عنها) إحدى أمهات المؤمنين.

(٣) روى الطبرى هذا الخبر عن أبى مِخْنف. قال فيه ابن عدى (شيعى محترق صاحب أخبارهم) وقال فيه الذهبى (اخبارى تالف. لا يوثق به) وقال ابن كثير (وهذا عندى لا يصح عن على رضى الله عنه) وكان ممن سعى للصلح بين الطرفين فى فترة الهدنة: الصحابيان الجليلان: أبو الدرداء وأبو أمامة رضى الله عنهما. ذهبا إلى معاوية فقالا له: فيم تقاتل هذا الرجل؟

فقال: «أقاتله على دم عثمان. وأنه آوى قتلته فاذهبا إليه. فقولا له: فليقدنا من قتلة عثمان ثم أنا أول من بايعه من أهل الشام.

فذهبا إلى على رضى الله عنه فقالا له ذلك. فقال: هؤلاء الذين تريان:

---

(١) ص / ٦١٨ - ٦٢٠.

فخرج خلق كثير فقالوا: كلنا قتلة عثمان . فمن شاء فليرمنا . فرجع أبو الدرداء وأبو أمامة . فلم يشهدا لهم حربا .

ولما انتهت مدة الهدنة أمر على مناديا فنادى: (إنى قد استأنيتكم لتراجعوا الحق . وأقمت عليكم الحجة . فلم تجيبوا . وإنى قد نبذت إليكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين) .

وعبأ علىّ جيشه وكذلك معاوية عبأ جيشه رضى الله عنهما – العراقيون أكثر من مائة ألف والشاميون: مائة وثلاثون ألفا وأوصى على أصحابه فقال: (لا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم فأنتم – بحمد الله – على حجة وترككم إياهم حجة أخرى . فإذا هزمتموهم . فلا تقتلوا مدبرا . ولا تجهزوا على جريح . ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل . وإذا وصلتم إلى رجال القوم فلا تهتكوال سترا ولا تدخلوا دارا . ولا تأخذوا شيئا من أموالهم . ولا تهيجوا النساء بأذى وان شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم فإنهن ضعاف القوى والأنفس) .

وابتدأ القتال يوم الثلاثاء أول يوم من صفر سنة سبع وثلاثين فخرجت فرقة من العرقيين ومثلها من الشاميين واقتتلتا ثمانية أيام . وفى مساء الثلاثاء الثامن صفر خطب على أصحابه . فحمد الله تعالى وأثنى عليه . فقال: (الحمد لله الذى لايبرم ما نقضه . وما أبرم لم ينقضه الناقضون ولو شاء الله ما اختلف إثنان من خلقه . ولا اختلفت الأمة فى شئ . ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله . وقد ساقتنا وهؤلاء القوم أقدار . فنحن بمرآى من ربنا ومسمع . فلو شاء عجل الفتنة وكان منه التغيير حتى يكذب الظالم ويعلم الحق أين مصيره . ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال والآخرة دار القرار . ليجزى الذين أساءوا بما عملوا . ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى . ألا وإنكم لا قوا غدا فأطيلوا الليلة القيام وأكثروا تلاوة القرآن . واسألوا الله النصر والصبر . والقوهم بالجد والحزم وكونوا صادقين) .

والتقى الجيشان بكامل عدتهما وعتادهما . فتقاتلوا قتالا شديدا . وانصرفوا عند المساء . وكل غير غالب .

وفى يوم الخميس عاشر صفر فإن رحا الحرب دارت بشدة على الطائفتين. ودعا كل فريقه وحمسهم وتقدم الأشتر بن الحارث بمن معه حتى قارب مكان معاوية. ولم يصدهم عن القتال إقبال الليل فاستمروا فى القتال بضراوة فى ليلة تعد من ليالى الإسلام المظلمة وتساقط القتلى من الطرفين بأعداد كثيرة. وكادت الدائرة تدور على أهل الشام الذين ظهرت عليهم أمارات الملل والسآمة (ليلة الهرير) فقال معاوية وعمرو بن العاص رضى الله عنهما. ندعوهم لكتاب الله أن يكون حكما بيننا وبينهم فأمر معاوية برفع المصاحف على أسنة الرماح وقالوا: (هذا بيننا وبينكم قد فنى الناس. فمن للثغور؟ ومن لجهاد المشركين والكفار)؟

وقد أشار عمرو بن العاص على معاوية بهذا. فقال له (أرسل إلى على بمصحف فادعه إلى كتاب الله فإنه لن يأبى عليك).

فجاء به رجل فقال: بيننا وبينكم كتاب الله ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ**﴾ [آل عمران: ٢٣].

فقال على: نعم أنا أولى بذلك بيننا وبينكم كتاب الله).

فلما رأى أصحاب على المصاحف. وقد أشرفوا على الانتصار اختلفوا: ففرقة تقول: نجيب إلى كتاب الله عز وجل ورئيسهم الأشعث بن قيس الكندى. وفرقة تأبى إلا القتال حتى يتم الأمر. لأنهم ظنوا أن رفع المصاحف خديعة. ورئيسهم. الأشتر. الذى كان يصر على أن يمعن قتلا فى المسلمين ويسفك دماءهم.

فقد أرسل على إليه. يزيد بن هانى. يأمره بأن يوقف القتال. فرد الأشتر على الرسول قائلا: (قل له ليس هذه الساعة التى ينبغى لك أن تزيلنى فيها عن موقفى. إنى قد رجوت أن يفتح لى. فلا تعجلنى). فرجع يزيد بن هانئ إلى أمير المؤمنين فأخبره بقول الأشتر. وصمم الأشتر على القتال لينتهز الفرصة. فارتفع

الشغب وعلت الأصوات . فقال القراء (الخوارج) لعلى : والله ما نراك إلا أمرته أن يقاتل . فقال : أرايتمونى ساررته؟ ألم أبعث إليه جهرة وأنتم تسمعون؟

قالوا : فابعث إليه فليأتك . وإلا والله اعتزلناك . فقال على ليزيد بن هانئ . (ويحك قل له أقبل . فإن الفتنة قد وقعت) .

فلما رجع إليه يزيد فابلغه عن أمير المؤمنين أن ينصرف عن القتال ويقبل إليه . جعل يتململ ويقول : (ويحك ألا ترى إلى ما نحن فيه من النصر . ولم يبق إلا القليل) ؟

فقال له يزيد بن هانئ : (أيهما أحب إليك أن تقبل أو يقتل أمير المؤمنين كما قتل عثمان؟ ثم ماذا يغنى عنك نصرتك هاهنا) .

فأقبل الأشتر إلى علىّ تاركا القتال . وقال : (يا أهل العراق . يا أهل الذل والوهن . أحين علوتم القوم . وظنوا أنكم لهم قاهرون . رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها . وقد – والله – تركوا ما أمر الله عز وجل به فيها . وسنة من أنزلت عليه ﷺ فلا تجيبوهم أمهلونى فقد أحسست بالفتح) .

قالوا : لا . قال : أمهلونى عدو الفرس . فإنى قد طمعت فى النصر . قالوا : إذا ندخل معك فى خطيئتك .

فأنى لهذا الرجل (الأشتر) الذى يحب سفك الدماء – أن يتهم الصحابة بأنهم تركوا كتاب الله عز وجل . وهجروا سنة النبى ﷺ ؟

فهل يعقل امرؤ مسلم . أنه يجوز لمسلم أن يتهم معاوية وعَمْرًا رضى الله عنهما بذلك؟

إن هذا الرجل لم يكن سويا . فكان يحب سفك الدم ويرى فى هزيمة أهل الشام نصرا وفتحا وما أشبه الليلة بالبارحة . فإننا نرى ونسمع من يجوزون لشباب الأمة الجهاد ضد البلدان التى يعيشون فيها . وإذا ما دعاهم أحد الجهاد أعداء الإسلام تقاعسوا واختفوا . فهذا سفه فى الفكر وخلل فى العقل وجهل بأحكام دين الله وشرعه .

لقد حقق فى هذا الأشتر نبوءة الخليفة الراشد الملهم سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فقد روى أنه رأى هذا الرجل فصوب النظر فيه طويلا ثم قال : (إن للمسلمين من هذا يوما عصيبا) وقد كان ما تنبأ به عمر رضى الله عنه بعد سنوات . وهو كشف حظى به عمر .

روى فى الحديث : أن النبى ﷺ قال : (قد كان فيمن كان قبلكم محدثون - ملهمون - فإن يكن أحد فى أمتى . فهو عمر) .

هذا : وقام الأشتر يناظر أولئك القراء الذى رغبوا فى وقف القتال - لما رفعت المصاحف - ونزل أمير المؤمنين على كرم الله وجهه على رأيهم حتى لا يسقط المزيد من القتلى والجرحى فأخذ الأشتر يوبخ هؤلاء الناس واتهمهم فى دينهم وشجاعتهم فقال لهم :

(خدعتم والله فانخدعتم . ودعيتم إلى وضع الحرب فأحببتم . يا أصحاب الجباه السود كنا نظن صلواتكم زهادة فى الدنيا وشوقا إلى لقاء الله عز وجل . فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت) فسبوه وسبهم . فضربوا وجه دابته بسياطهم وهم يلعنونه وأجمع أكثر العراقيين وكل الشاميين على المصالحة والمسالمة مدة . رجاء أن يتفق الطرفان على أمر يحقن دماء المسلمين . وكفاهم الأحداث والمعارك التى أقاموها فى صفين خلال مائة وعشر يوما . وخاصة الأيام الثلاثة الأخيرة والتى انتهت بليله الهرير .

لقد خاض الطرفان خلال هذه المدة تسعين زحفا سقط فيها سبعون ألفا من المسلمين خمسة وأربعون ألفا من أهل الشام . وخمسة وعشرون ألفا من أهل العراق . كما ذكر الكثير من المؤرخين لذا أصبح من الحكمة أن تتوقف الحرب . واللجوء إلى حل المسألة حلا سلميا . فكان (التحكيم) .

التحكيم

رفع أهل الشام المصاحف على الرماح . ونادوا أهل العراق : (ندعوكم إلى كتاب الله) . ترك أمير المؤمنين وجمع كثير من أتباعه - وخصوصا القراء - القتال

وأرسل إلى أهل الشام (ابعثوا حكما منكم وحكما منا . ويحضر معهما من لم يباشر القتال فمن رأوا الحق معه أطاعوه) فأجاب الإمام على رضى الله عنه ومن معه إلى ذلك . ورفضته طائفة القراء (الخوارج) ثم كتب علىّ بينه وبين معاوية كتاب الحكومة بين أهل العراق وأهل الشام .

(هذا ما قاضى عليه أمير المؤمنين علىّ معاوية) فامتنع أهل الشام من ذلك وقالوا : اكتبوا اسمه واسم أبيه . فأجاب أمير المؤمنين إلى ذلك . فأنكره عليه الخوارج أيضا .

واتفق الطرفان على أن يحضر الحكمان بعد مدة عينوها فى مكان بين الشام والعراق . كما اتفقا على أن يرجع كل فريق إلى بلده . فرجع علىّ ومن معه إلى الكوفة . ورجع معاوية ومن معه إلى الشام إلى أن يقع الحكم .

وجاء علقمة بن قيس إلى الإمام على رضى الله عنه يحتج عليه بقبول التحكيم وتنازله عن لقب أمير المؤمنين – فقال له أمير المؤمنين : (إنى كنت كاتب رسول الله ﷺ يوم الحديبية . فكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ قالوا : لو نعلم أنه رسول الله . ما قاتلناه امحها قلت هو والله رسول الله ﷺ وإن رغم أنفك ، ولا والله لا أمحوها فقال لى رسول الله ﷺ : « أرنيه » فأريته . فمحاها . وقال : « أما إن لك مثلها . وستاتيها وأنت مضطر » .

ثم اتفق الفريقان – بعد توقف القتال – على أن يختار كل من على ومعاوية رضى الله عنهما رجلا من جهته . ثم يتفق الحكمان على ما فيه مصلحة المسلمين . فاختار معاوية : عمرو بن العاص رضى الله عنه واختار علىّ . عبد الله بن عباس رضى الله عنهما . وأبى القراء ذلك وأشاروا على الإمام على بتوكيل أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه وكان أول من أشار بذلك . الأشعث بن قيس . لما يرون فى أبى موسى من الصلاحية لذلك فهو صحابى جليل ولاه عمر بن الخطاب القضاء وكتب إليه رسالته المشهورة والتى يحدد فيها أسس القضاء وقواعده . كما أن أبا موسى رجل نهى عن الفتنة واعتزل المقاتلين وذكر الجميع بقول رسول الله ﷺ فى الفتنة (القاعد فيها خير من القائم) لذلك اختاروه ليمثل العراقيين فى

أمر التحكيم. ولما أرسل إلى أبى موسى بذلك قال: إن الناس قد اصطلحوا. قال: الحمد لله. فقيل له: وقد جعلت حكما. فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم أخذوه حتى أحضروه إلى علىّ رضى الله عنهما – وكان نص كتاب التحكيم . ما يلى:

(بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما تقاضى عليه على بن أبى طالب. ومعاوية بن أبى سفيان. وشيعتهما فيما تراضيا عليه من الحكم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

قضية علىّ. على أهل العراق شاهدهم وغائبهم. وقضية معاوية على أهل الشام شاهدهم وغائبهم إنا تراضينا. أن نقف عند حكم القرآن فيما يحكم من فاتحته إلى خاتمته. نحيى ما أحيا. ونميت ما أمات على ذلك تقاضينا وبه تراضينا.

وإن عليا وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس (أبو موسى الأشعرى) ناظرا وحكما. ورضى معاويه بعمرو ابن العاص ناظرا وحكما.

على أن عليا ومعاوية أخذا على: عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص: عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله. أن يتخذا القرآن إماما. ولا يعدوا به إلى غيره فى الحكم بما وجداه فيه مسطورا، وما لم يجدا فى الكتاب رداه إلى سنة رسول الله الجامعة لا يتعمدان لها خلافا ولا يبغيان فيها بشبهة، وأخذ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص على علىّ ومعاوية عهد الله وميثاقه بالرضا فيما حكمايه مما فى كتاب الله وسنة نبيه. وليس لهما أن ينقضا ذلك ولا يخالفاه إلى غيره.

وهما آمنان فى حكومتهما على دمائهما وأموالهما وأهاليهما وأولادهما لم يعدوا الحق رضى به راض أو سخط ساخط. وإن الأمة أنصارهما على ما قضيا به من الحق مما فى كتاب الله.

فإن توفى أحد الحكمين قبل انقضاء الحكومة. فلشيعته وأنصاره أن

يختاروا مكانه رجلا من أهل المعدلة والصلاح على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق.

وإن مات أحد الأميرين قبل انقضاء الأجل المحدود فى هذه القضية فلشيعته أن يولوا مكانه رجلا يرضون عدله وقد وقعت القضية بين الفريقين. والمفاوضة ورفع السلاح.

وقد وجبت القضية على ما سمينا فى هذا الكتاب. من موضع الشرط على الأميرين والحكمين والفريقين والله أقرب شهيد. وكفى به شهيدا. فإن خالفا وتعديا. فالأمة بريئة من حكمهما ولا عهد لهما ولا ذمة والناس آمنون على أنفسهم وأهاليهم وأولادهم وأموالهم إلى انقضاء الأجل. والسلاح موضوع والسبل آمنة. والغائب من الفريقين مثل الشاهد فى الأمر.

وللحكمين أن ينزلا منزلا متوسطا عدلا بين أهل العراق والشام ولا يحضرهما إلا من أحبا عن تراض منهما.

والأجل إلى انقضاء شهر رمضان. فإن رأى الحكمان تعجيل الحكومة عجلاها. وإن رأيا تأخيرها إلى آخر الأجل. أخراها.

فإن هما لم يحكما بما فى كتاب الله وسنة نبيه إلى انقضاء الأجل. فالفريقان على أمرهم الأول فى الحرب وعلى الأمة عهد الله وميثاقه فى هذا الأمر. وهم جميعا يد واحدة على من أراد فى هذا الأمر إلحادا أو ظلما أو خلافا).

وشهد على ما فى هذا الكتاب من أهل العراق: الحسن والحسين. ابنا على وعبد الله بن عباس والأشعث بن قيس الكندى وسهل بن حنيف وغيرهم.

ومن أهل الشام: حبيب بن مسلمة الفهرى. وأبو الأعور السلمى. وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وعبد الله ابن عمرو بن العاص وآخرون.

وكتب يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين. وقرأ الأشعث بن قيس هذا الكتاب على الناس من الطائفتين. ثم أخذ الناس

يدفنون قتلاهم. وأطلق كل من عليّ ومعاوية سراح الأسرى. وخرج معاوية بمن معه إلى دمشق، ورجع على وأصحابه إلى الكوفة.

وعند حلول شهر رمضان من سنة سبع وثلاثين للهجرة. بعث على رضي الله عنه. أربعمائة فارس مع شريح بن هانئ. ومعهم أبو موسى الأشعرى. وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما وبعث معاوية رضى الله عنه: عمرو بن العاص فى أربعمائة فارس من أهل الشام ومعهم عبد الله بن عمرو فتوافوا بدومة الجندل بأذرح - قرية فى جنوب بادية الشام - بين الكوفة والشام.

وشهد معهم جماعة من رءوس الناس. كعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والمغيرة بن شعبة وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى.

واجتمع أبو موسى الأشعرى وعمرو بن العاص رضي الله عنهما. وبحثا فى هذا الأمر المكلفين به ثم اتفقا على أن يعزلا: عليا ومعاوية. ثم يجعلا الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على الأصلح منهما أو من غيرهما. ويظل كل منهما أميرا على ما تحت يده حتى يختار المسلمون. أميرا للمؤمنين وقد أشار أبو موسى الأشعرى. بعبد الله بن عمر رضى الله عنهما. فأبى عمرو. وطلب من أبى موسى أن يقر ابنه: عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما. فأبى أبو موسى ذلك. لأن عبد الله كان مع أبيه فى جند معاوية ومع ذلك أثنى عليه أبو موسى خيرا.

وقال عمرو لأبى موسى: (ما ترى فى هذا الأمر)؟

قال: أرى أنه فى النفر الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض.

قال عمرو: فأين تجعلنى أنا ومعاوية؟

فقال: إن يستعن بكما ففيكما معونة. وإن يستغن عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما واصطلحا أخيرا على أن إمامة المسملين يترك النظر فيها إلى أعيان الصحابة.

إن هذا هو الحق فى أمر التحكيم. أن يظل الأمر على ما هو عليه. معاوية

أميرا على بلاد الشام وعليّ على ما تحت حكمه حتى ينظر فى هذا الأمر أعيان الصحابة ويختاروا أميرا للمؤمنين ويحددوا موقف معاوية من إمارة بلاد الشام. وأبو موسى وعمرو لم يكونا إلا مجتهدين.

أما ما ذكر فى كثير من كتب التاريخ من روايات وقصص ومواقف فى هذا الأمر فهو زور وبهتان من روايات أبى مخنف الشيعى وغيره من الوضاعين الذين يتهمون عمرو بن العاص بأنه قد خدع أبا موسى الأشعرى ولذلك سب كل منهما صاحبه وشتمه.

فهل يتصور مسلم أن تكون أخلاق الصحابة فى هذا السفه والانحطاط. وهم الأعلام الكرام إن التاريخ الإسلامى لم يدون إلا بعد سقوط الدولة الأموية وهذا يعنى أشياء كثيرة زورت فيه من خلط ودس وتزوير فى الروايات مجاملة لهذا أو تعصبا لذلك أو كراهية لهؤلاء. أو حبا لذلك فكتب التاريخ فى حاجة ماسة إلى مراجعتها وتجريدها مما فيها من روايات كاذبة ومن الخزعبلات التى ترد فى بعضها فأصحابها إما متشيع أو خارجى أو غير ذلك. فاتخذوا الصحابة غرضا واتهموا كبارهم وسابقيهم رضى الله عنهم.

يقول محب الدين الخطيب بهامش العواصم من القواصم(١): فالتحكيم لم يقع فيه خداع ولا مكر ولم تتخلله بلاهة ولا غفلة وكان يكون محلا للمكر أو الغفلة لو أن عمرا أعلن فى نتيجة التحكيم أنه ولّى معاوية إمارة المؤمنين وخلافة المسلمين. وهذا ما لم يعلنه عمرو ولا ادعاه معاوية. ولم يقل به أحد فى الثلاثة عشر قرنا الماضية. وخلافة معاوية لم تبدأ إلا بعد الصلح مع الحسن بن على. وقد تمت بمبايعة الحسن لمعاوية. أ. هـ.

* * *

(١) ص ١٧٥.

وكان من أمر جماعة القراء أنهم رفضوا قضية التحكيم. وخرجوا على أمير المؤمنين على رضى الله عنه ولذلك سموا (الخوارج) وبالغوا فى النكير على الإمام كرم الله وجهه وصرحوا بكفره. ولما انتهى الحكمان من مهمتها. رفض علىّ رأيهما ورد عليهما. وندب الناس إلى الخروج إلى أهل الشام. وكتب إلى الخوارج يعلمهم أن الذى قرره الحكمان مردود عليهما. وأنه قد عزم على الذهاب إلى الشام. ودعاهم إلى القتال معه. فأبو ذلك ورفضوه.

فعجيب أمر هؤلاء الخوارج. أليسوا هم الذين ضغطوا على أمير المؤمنين أن يوقف القتال لما رفع أهل الشام المصاحف على الرماح. ثم هم بعد ذلك يرفضون أمر التحكيم ثم يتجرأون على تكفير وتخطئته. لك الله يا أمير المؤمنين.

وخرج الإمام من الكوفة إلى النخيلة فى خمسة وستين الفا وأمده ابن عباس بثلاثة آلاف ومائتى فارس من البصرة. فكان جيش أمير المؤمنين ثمانية وستين الفا ومائتين مقاتلا وخطب فيهم الإمام وحثهم على القتال والصبر عند لقاء أهل الشام.

وبينما هو كذلك إذ بلغه أن الخوارج أخذوا يعيثون فى الأرض فسادا وسفكوا الدماء وقطعوا السبيل. واستحلوا المحارم واغتصبوا الأموال.

فلما بلغ ذلك عليا وأتباعه خافوا إن هم ذهبوا لقتال أهل الشام. فسوف يزداد عبث هؤلاء الخوارج بالذرارى والديار. فأشار أتباع الإمام أن لا يذهبوا إلى الشام إلا بعد أن ينتهوا من أمر الخوارج وأن يؤمنوا الناس من شرورهم.

جاء إثنان من رؤسائهم – هما زرعة بن البرج. وحرقوص بن زهير السعدى – وطلبا من علىّ أن يتراجع عن التحكيم. فأبى ذلك. فقال له زرُعة: (أما والله يا على: لئن لم تدع تحكيم الرجال فى كتاب الله – عز وجل – قاتلتك أطلب بذلك وجه الله ورضوانه. فقال له على: بؤسا لك ما أشقاك كأنى بك قتيلا تسفى عليك الريح. قال: وددت أن كان ذلك. فقال له على: لو كنت محقا كان فى الموت

على الحق تعزية عن الدنيا إن الشيطان قد استهواكم . فاتقوا الله عز وجل إنه لا خير لكم فى دنيا تقاتلون عليها . فخرجا من عنده يحكّمان) أى يقولان لا حكم إلا لله .

قال عبد الله بن شداد عن تلك الفتنة العظيمة : (إن عليا لما كاتب معاوية وحكّم الحكمين خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس . فنزلوا بأرض يقال لها حَرُوراء من جانب الكوفة . وأنهم عتبوا عليه . فقالوا : انسلخت من قميص ألبسكه الله . واسم سماك به الله . ثم انطلقت فحكمت فى دين الله . ولا حكم إلا لله) .

فلما أن بلغ عليا ما عتبوا عليه وفارقوه عليه . أمر فاذن مؤذن أن لا يدخل على أمير المؤمنين رجل إلا رجلا قد حمل القرآن . فلما أن امتلأت الدار من قراء الناس . دعا بمصحف إمام عظيم . فوضعه بين يديه فجعل يصكه بيده ويقول : أيها المصحف حدث الناس . فناداه الناس . فقالوا : يا أمير المؤمنين ما تسأل عنه . إنما هو مداد فى ورق ونحن نتكلم بما روينا منه . فماذا تريد ؟

قال : أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا . بينى وبينهم كتاب الله . يقول الله تعالى فى كتابه فى امرأة ورجل ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا** ﴾ [النساء : ٣٥] . فأمة محمد ﷺ أعظم دما وحرمة من امرأة ورجل . ونقموا على أن كاتبت معاوية . كتبت على بن أبى طالب . وقد جاءنا سهل بن عمرو ونحن مع رسول الله ﷺ بالحديبية حين صالح قومه قريشا . فكتب رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل : لا أكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال : كيف تكتب ؟

قال : اكتب باسمك اللهم . فقال رسول الله ﷺ « اكتب » فكتب . فقال : أكتب . هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ . فقال : لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك . فكتب : « هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشا » يقول الله تعالى فى كتابه : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ**

﴿ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ﴾ [الاحزاب: ٢١][(١)] وهكذا اقام عليهم أمير المؤمنين الحجة. ثم بعث إليهم حبر الأمة: عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ليناظرهم ويبين لهم خطأهم فى تأويلهم وتنطعهم فى فهم كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ فلما جاء ابن عباس الخوارج ووقف فى وسط معسكرهم. قام ابن الكواء – أحد رءوسهم – فخطب الناس فقال: يا حملة القرآن. هذا عبد الله بن عباس. فمن لم يكن يعرفه. فأنا أعرفه. ممن يخاصم فى كتاب الله بما لا يعرفه. هذا ممن نزل فيه وفى قومه ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨] فردوه إلى صاحبه. ولا تواضعوه كتاب الله. فقال بعضهم: والله لنواضعنه. فإن جاء بحق نعرفه لنتبعنه وإن جاء بباطل لنكبتنّه.

يقول ابن عباس رضى الله عنهما عن أمره مع الخوارج: قلت لعلى بن أبى طالب: يا أمير المؤمنين. أبْرِدْ بالظهر لعلّى آتى هؤلاء القوم فأكلمهم. قال: إنى خائف عليك. قلت: كلا.

قال ابن عباس: فقمت وخرجت. ودخلت عليهم فى نصف النهار. وهم قائلون. فسلمت عليهم فقالوا: مرحبا بك يا ابن عباس. فما جاء بك؟

قلت لهم: آتيتكم من عند صاحب النبى ﷺ وصهره. وعليهم نزل القرآن. وهم أعلم بتأويله منكم. وليس فيكم منهم أحد. لأبلغكم ما يقولون وتخبرون بما تقولون.

قلت: أخبرونى ماذا نقمتم على صاحب رسول الله ﷺ وابن عمه؟

قالوا: ثلاث .. قلت: ما هن؟

قالوا: أما إحداهن: فإنه حكّم الرجال فى أمر الله. وقال الله تعالى: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ ﴾ [يوسف: ٦٧] ما شأن الرجال والحكم؟ .. فقلت: هذه واحدة.

قالوا: وأما الثانية: فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم. فإن كانوا كفارا سلبهم. وإن كانوا مؤمنين ما أحل قتالهم؟ قلت: هذه اثنتان فما الثالثة؟

(١) الخلفاء الراشدون: ٦٢٠، ٦٢١.

قالوا: إنه محا نفسه عن أمير المؤمنين. فهو أمير الكافرين قلت: هل عندكم شئ غير هذا؟

قالوا: حسبنا هذا.

قلت: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ما يرد قولكم. أترضون؟

قالوا: نعم.. قلت: أما قولكم: (حكم الرجال فى أمر الله) فأنا أقرأ عليكم فى كتاب الله أن قد صير الله حكمه إلى الرجال فى ثمن ربع درهم. فأمر الله الرجال أن يحكموا فيه. قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ [المائدة: ٩٥] فأنشدكم بالله تعالى. أحُكمْ الرجال فى أرنب ونحوها من الصيد أفضل أم حكمهم فى دمائهم وصلاح ذات بينهم. وأنتم تعلمون أن الله تعالى لو شاء لحَكَم ولم يصير ذلك إلى الرجال؟ – قالوا: بلى هذه أفضل.

وفى المرأة ووجها قال الله عز وجل: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ [النساء: ٣٥].

فأنشدتكم بالله حكم الرجال فى صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من حكمهم فى امرأة؟ أخَرَجْتُ من هذه؟. قالوا: نعم.

قلت: وأما قولكم (قاتل ولم يسب ولم يغنم). أفتسبون أمكم عائشة؟ وتستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهى أمكم؟ فإن قلتم: إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها. فقد كفرتم. وإن قلتم ليست بأمنا. فقد كفرتم. لأن الله تعالى يقول: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٦] فأنتم تدورون بين ضلالتين. فأتوا منهما بمخرج.

قلت: فخرجت من هذه؟ قالوا: نعم.

واما قولكم (محا اسمه من أمير المؤمنين) فانا آتيكم بمن ترضون وأراكم قد سمعتم أن النبى ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين. فقال لعلى رضى الله عنه «هذا ما صالح عليه محمد رسول الله » فقال المشركون: لا والله ما نعلم أنك رسول الله. لو نعلم أنك رسول الله لأطعناك فاكتب: محمد بن عبد الله. فقال رسول الله ﷺ «امح يا على. رسول الله. اللهم إنك تعلم أنى رسولك – امح يا على. واكتب: هذا ما صالح عليه. محمد بن عبد الله».

فوالله لرسول الله خير من عليّ. وقد محا عن نفسه. ولم يكن محوه ذلك بمحاه من النبوة. خرجت من هذه؟ قالوا: نعم.

فرجع منهم أربعة آلاف. كلهم تائب. فيهم ابن الكواء. حتى أدخلهم ابن عباس على. عليّ بالكوفة فبعث عليّ إلى بقيتهم. فقال: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم. فقفوا حيث شئتم متى تجتمع أمة محمد ﷺ بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دما حراما وتقطعوا سبيلا فتظلموا ذمة. فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ [الآنفال:٥٨] بقى من بقى منهم على رآيه وضلالته. حتى شتموا أمير المؤمنين وهو على المنبر.

فبينما هو يخطب ذات يوم. إذ قام إليه رجل من الخوارج فقال: يا على أشركت فى دين الله الرجال لا حكم إلا لله فتنادوا من كل جانب (لاحكم إلا لله لا حكم إلا لله).

(فجعل على يقول: هذه كلمة حق يراد بها باطل) ثم قال: إن لكم علينا ان لا نمنعكم فيئًا ما دامت أيديكم معنا. وأن لا نمنعكم مساجد الله وأن لا نبدأكم بالقتال حتى تبدءونا.

إجتمع الخوارج فى بيت عبد الله بن وهب الراسبى. فخطب فيهم يزهدهم فى الدنيا ويرغبهم فى الآخرة والجنة ثم قال لهم (اخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال) تكلم حرقوص بن زهير بمثل ما تكلم عبد الله وتكلم أيضا شخص آخر.

واختار المجتمعون : عبد الله بن وهب الراسبى رئاسة جماعتهم فقبل وقال : أما والله لا أقبلها رغبة فى الدنيا . ولا أدعها فرقا من الموت .

خرج هؤلاء المتنطعون فى دين الله من جماعة المسلمين . وتركوا الكوفة إلى النهروان . وهناك اشتد ساعدهم وقويت شوكتهم . واتفقوا على أن من لا يعتقد معتقدهم . يكفر ويباح دمه وماله وأهله . ولم يقولوا هذا الكلام ليكون كلاما نظريا . ولكنهم نفذوه عمليا . فعاثوا فى الأرض فسادا وسفكوا الدماء البريئة واستحلوا المحارم . وكان من جملة من قتلوه عبد الله بن خباب بن الأرت صاحب رسول الله ﷺ أسروه وامرأته معه وهى حامل فقالوا : من أنت؟ قال : أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ وإنكم قدروعتمونى . فقالوا : لا بأس عليك . حدثنا ما سمعت من أبيك . فقال : سمعت أبى يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ستكون فتنة . القاعد فيها خير من القائم . والقائم خير من الماشى . والماشى خير من الساعى) فاقتادوه وذبحوه . وجاءوا إلى أمرأته . فقالت : إنى امرأة حبلى . الا تتقون الله؟ فذبحوها وبقروا بطنها عن وليدها .

فبلغ خبر هذا الحدث الرهيب أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه . وكان قد جهز جيشه يريد الشام فاستشار أصحابه . فأشاروا عليه بقتال الخوارج . واستقر رأيهم على ذلك .

فتوجه الإمام بجيشه إليهم . وبعث إليهم قيس بن سعد بن عبادة يطلب منهم أن يخرجوا قتلة عبد الله بن خباب وغيره (ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم حتى أقتلهم . ثم أنا تارككم وذاهب إلى الشام ثم لعل الله أن يُقْبل بقلوبكم . ويردكم إلى خير مما أنتم عليه) .

فبعثوا إلى أمير المؤمنين يقولون : (كلنا قتلنا إخوانكم . ونحن مستحلون دماءهم ودماءكم) فتقدم قيس بن سعد فوعظهم فيما ارتكبوه من الأمر العظيم وأنبهم أبو أيوب الأنصارى ووبخهم وتقدم إليهم أمير المؤمنين ووعظهم وخوفهم وحذرهم وتوعدهم . فلم يكن لهم جواب إلا أن تنادوا فيما بينهم . أن لا

تخاطبوهم ولا تكلموهم وتهيئوا للقاء الله عز وجل. الرواح الرواح إلى الجنة وتقدم الخوارج واصطفوا للقتال. وتاهبوا للنزال. ووقف عليّ رضى الله عنه بجيشه أمامهم وطلب من أبى أيوب الأنصارى أن يرفع راية أمان للخوارج ويقول لهم: من جاء إلى هذه الراية فهو آمن. إنه لا حاجة لنا فيكم إلا من قتل إخواننا. فانصرف منهم طوائف كثيرون. ولم يبق من الآلاف الأربعة منهم إلا ألفا أو أقل مع عبد الله بن وهب الراسبى. فرحفوا إلى عليّ. فقال لأصحابه كفوا عنهم حتى يبدؤوكم. وأقبلت الخوارج يقولون: لا حكم إلا لله الرواح. الرواح إلى الجنة. وحملوا على مقدمة جيش أمير المؤمنين. وهجم عليهم الجيش بالرماح وبالسيوف حتى صرعوهم تحت سنابك الخيول وقتل أمراؤهم عبد الله بن وهب وحرقوص بن زير وشريح بن أوفى ولم ينج منهم إلا دون العشرة وقتل من جيش على نحو العشرة وكان ذلك فى شهر شعبان سنة ثمان وثلاثين للهجرة ثم أمر عليّ الناس أن يلتمسوا المُخْدَج – ناقص اليد – فى القتلى. وأن علامته أن إحدى يديه كثدى المرأة لها حلمة كحلمة ثدى المرأة جوله سبع شعرات. فقال لهم على (التمسوا فيهم المخدج) فالتمسوه فلم يجدوه. فقام عليّ بنفسه. فوجد ناسا قتل بعضهم على بعض فقال أخروهم فإذا هو بالمخدج مما يلى الأرض فكبر. ثم قال: (صدق الله وبلغ رسوله. فقام إليه عبيدة السلماني فقال: يا أمير المؤمنين. الله الذى لا إله إلا هو لسمعت هذا من رسول الله ﷺ فقال: إى والله الذى لا إله إلا هو).

واستبشر الناس بأن عليا على الحق بعد ما عثر الإمام على المخدج.

هذا. وقد قضى أمير المؤمنين على معظم الخوارج ولكنه لم يستطع إبادتهم. وبقيت منهم بقية انضم إليهم من مال إلى رأيهم فى بقية خلافة عليّ. ودبروا قتله على يد ابن ملجم.

وقام الخوارج فى وجه الدولة الأموية وأقلق راحة الخلفاء فى حروب متواصلة بحجة أنهم مغتصبون للخلافة. وأنهكهم الأمويون ولكنهم لم يقضوا عليهم وبقيت منهم جماعات حتى صدر الدولة العباسية ودخلت منهم طائفة بلاد المغرب (ريف الجزائر).

فلقد عاملهم عليّ رضى الله عنه معاملة طيبة ومد إليهم يد الرحمة ولكنهم اختاروا هذا الطريق لأنفسهم .

سألت أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها تلميذها التابعى الكبير : مسروق بن الأجدع فقالت : عندك علم عن ذى الشدية الذي أصابه على فى الحرورية؟ قلت : لا .

قالت : فاكتب لى بشهادة من شهدهم . فرجعت إلى الكوفة وبها يومئذ أسباع . فكتبت شهادة عشرة من كل سبع . ثم أتيتها بشهادتهم . فقرأتها عليها . قالت : لعن الله فلانا . فإنه كتب إلى أنه أصابهم بنيل مصر . ثم أرخت عينيها فبكت . فلما سكنت عبرتها قالت : (رحم الله عليا كان على الحق . وما كان بينى وبينه إلا كما يكون بين المرأة وأحمائها)

ولما انتهى أمير المؤمنين من الخوارج عزم على التوجه نحو الشام وخطب فى أتباعه يدعوهم لذلك ولكنهم اعتذروا وشكوا إليه قلة النبال وكلل السيوف . وتعبهم وإرهاقهم . وطلبوا منه أن يأذن لهم بالراحة فى معسكرهم ولم يجد الإمام بدا من الاستجابة لهم .

ولكنهم أخذوا يتسللون ويذهبون إلى رحالهم . ولم يبق معه إلا الصحابة الكرام رضى الله عنهم .

* * *

وداعا - أبا الحسن
(إنا لله وإنا إليه راجعون)

روى عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعلى: «من أشقى الأولين؟» قال: (عاقر الناقة). قال: «فمن أشقى الآخرين»؟ قال: «الله ورسوله أعلم قال: «قاتلك».

وعن على رضى الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ: «إن الأمة ستغدر بك بعدى. وانت تعيش على ملتى. وتقتل على سنتى. من أحبك أحبنى. ومن أبغضك أبغضنى. وإن هذه ستخضب من هذا» أى ستبتل لحيته من رأسه رضى الله عنه ولقد مرض رضى الله عنه مرضا شديدا حتى قلق عليه أصحابه. فجاءه أحد الأنصار. فقال له: «ما يقيمك بهذا المنزل؟ ولو مت لم يلك إلا أعراب جهينه. احتمل حتى تأتى المدينة. فإن أصابك أجلك وليك أصحابك. وصلوا عليك).

فقال على: «إنى لست ميتا من وجعى هذا. إن رسول الله ﷺ عهد إلى أن لا أموت حتى أؤمرّ. ثم تختضب هذه – يعنى لحيته – من دم هذه – هامته».

وجاء جماعة من الخوارج وقالوا له: (اتق الله فإنك ميت. قال: لا. والذى فلق الحبّة وبَرَأَ النَّسَمَة. ولكن مقتول من ضربة على هذه تخضب هذه – وأشار بيده إلى رأسه ولحيته – عهد معهود. وقضاء مقضى. وقد خاب من افترى).

وكان له أيام الخوارج حراس يحرسونه كل ليلة. يبيتون فى المسجد بالسلاح. فرآهم رضى الله عنه فقال: ما يجسلكم؟ قالوا: نحرسك. فقال: أمن أهل السماء تحرسون. أم من أهل الأرض؟ فقالوا: بل من أهل الأرض. قال: (إنه لا يكون فى الأرض شئ حتى يقضى فى السماء. وليس من أحد إلا وقد وكل به ملكان يدفعان عنه ويكلانه حتى يجئ قدره. فإذا جاء قدره خليا بينه وبين قدره وإن عَلَى من الله جُنّة حصينة. فإذا جاء أجلى كشف عنى. وإنه لا يجد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه. وما أخطاه لم يكن ليصيبه).

ولما دخل شهر رمضان جعل عليّ يتعشى ليلة عند الحسن وليلة عن الحسين . وليلة عند عبد الله بن جعفر زوج ابنته السيدة : زينب رضى الله عنها . لا يزيد على ثلاث لقم ويقول : (يأتى أمر الله وأنا خميص وإنما هى ليلة أو ليلتان) . وجاء وقت الرحيل من الدنيا ليلحق عليّ بمن سبقوه . يروى لنا شيخنا الباقورى[1] القصة : اجتمع بعض الخوارج فتذاكروا أمر الناس . وعابوا على ولاتهم ما شاء لهم الهوى أن يعيبوا ثم ذكروا أسلافهم الذين قتلوا من قبل فى معركة النهروان فترحموا عليهم وهم يقولون : ما نصنع بالبقاء بعدهم؟ وهم الذين كانوا دعاة الناس إلى عبادة الله لا يخافون فى ذلك لومة لائم . فحبذا لو بعنا أنفسنا لله فأتينا أئمة الضلال فالتمسنا قتلهم . إذا الأرحنا منهم البلاد ولأخذنا بثأر إخواننا . فقال ابن ملجم أنا أكفيكم على بن أبى طالب . وقال البرك بن عبد الله : أنا أكفيكم معاوية بن أبى سفيان . وقال عمر بن بكر أنا أكفيكم عمرو بن العاص . ثم تعاهدوا وتواثقوا بالله لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذى توجه إليه يقتله أو يموت دونه .

فأخذوا أسيافهم . فسقوها سما قاتلا . وتواعدوا لسبع عشرة تخلو من رمضان أن يثبت كل واحد منهم على صاحبه الذى توجه إليه . وأقبل كل رجل منهم إلى المصر الذى فيه صاحبه فأما ابن ملجم المرادى . فكان عداده فى كندة . فخرج فلقى أصحابه بالكوفة . وكاتمهم أمره كراهة أن يظهروا شيئا من أمره . ثم لقى ابن ملجم فى ذلك اليوم امرأة تدعى (قطام) وقد قتل أبوها وأخوها يوم النهر . وقد كانت المرأة فائقة الجمال . فلما رآها ألبست بعقله ونسى حاجته التى جاء لها . ثم خطبها ليتزوجها . فقالت له : لا أتزوجك حتى تشفينى . قال : وما يشفيك؟ قالت : ثلاثة آلاف وعبد وقينة . وقتل على بن أبى طالب . قال : هو مهر لك .

فقالت له : التمس غرته فإن أصبت شفيت نفسك ونفسى ويهنؤك العيش .

---

[1] (١) على إمام الأئمة : ٣١٥ - ٣١٧ .

وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينتها وزينة أهلها. فأجابها: والله ما جاء بى الخارجى إلى هذا المصر إلا قتل علىّ. فلك ما سألت. قالت: اطلب لك من يسند ظهرك ويساعدك على أمرك فبعثت إلى رجل من قومها يقال له (وردان) فكلمته. فأجابها. ثم ذهب ابن ملجم إلى رجل من أشجع يقال له (شبيب ابن بجره) فقال له: هل لك فى شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وما ذاك؟قال: قتل على ابن أبى طالب.

فقال له الرجل: ثكلتك أمك. لقد جئت شيئا إدًا. كيف تقدر على. علىّ؟ قال: أكمن له فى المسجد. فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه.

فإن نجونا. شفينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا. وإن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها قال الرجل: ويحك لو كان غير على لكان أهون على. لقد عرفت بلاءه فى الإسلام وسابقته مع رسول الله ﷺ. وما أجدنى أنشرح لقتله. قال: أما تعلم أنه قتل أهل النهر العباد الصالحين؟ قال بلى أعلم. قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا فأجابه إلى ما دعاه إليه. ثم جاءوا (قطام) وهى فى المسجد الأعظم معتكفة. فقالوا لها: لقد اجتمع رأينا على قتل علىّ. فقالت المرأة: إذا أردتم ذلك فأتونى.

ثم عاد إليها ابن ملجم فى ليلة الجمعة التى قتل فى صبيحتها علىّ سنة أربعين فقال: هذه الليلة التى أوعدت فيها صاحبى أن يقتل كل منا صاحبه.

فدعت لهم بالحرير فعصبتهم به. وأخذوا أسيافهم وجلسوا فى مواجهة السدة التى يخرج منها علىّ فلما خرج ضربه شبيب بالسيف. فوقع سيفه فى عضادة الباب. وضربه ابن ملجم فى قرنه بالسيف وهرب وردان حتى دخل منزله. فدخل عليه رجل من بنى أبيه. وهو ينزع الحريرة عن صدره. فقال: ما هذا الحرير والسيف؟ فأخبره بما كان وانصرف فجاء فعَلا به وردان فقتله.

ثم خرج شبيب نحو أبواب كنده فى الغلس. وصاح الناس. فلحقه رجل

من حضر موت يقال له (عويمر). وفي يد شبيب السيف فأخذه وجثم عليه الحضرمي.

فلما رأى الناس قد أقبلوا في طلبه. وسيف شبيب في يده. فخشي على نفسه فتركه. ونجا شبيب في غمار الناس. فشدوا على ابن ملجم فأخذوه. إلا أن رجلا من همدان. يكنى: أبا أدماء. أخذ سيفه فضرب رجله فصرعه. وتأخر عليّ. وتقدم جعدة بن بهيرة. فصلى بالناس الغداة.

ثم قال كرم الله وجهه: على بالرجل. فأدخل عليه. فقال له: ألم أحسن إليك؟ قال: بلى أحسنت قال: فما حملك على هذا؟ قال: لقد شحذت سيفي أربعين صباحا. وسألت الله أن يقتل به شر خلقه. فقال كرم الله وجهه: لا رآك الله إلا مقتولا به. ولا أراك إلا من شر خلقه. أ. هـ. لك الله يا إمام. لقد أصبح صاحب الأمس عدو اليوم. فقتلوك بغدرهم وبغيهم ووصفوك بالقبح. وأنت علي بن أبي طالب ربيب بيت النبوة والسابق إلى الإسلام والمجاهد الصابر المحتسب زوج الزهراء وأبو الحسنين وزينب وحبيب الله تعالى ورسوله. لقد قضيت حياتك في شغل دائم وجهد مستمر لا تكل ولا تمل في خدمة الدعوة والدفاع عن العقيدة وحبا في الله تعالى ورسوله ﷺ. ولما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى كنت العون والمفتي والمستشار لخلفائه الثلاثة. حتى انتقلت إليك الخلافة في جو مشحون بالتمرد والخلاف في الرأي وتدخل الأوباش والحقدة في أمور سيادية للدولة حتى قتل سلفك أشد الناس حياء وعفة عثمان بن عفان رضي الله عنه. فساءوا إليك في مقتله. وتحملت مسئولية القصاص وإقامة الحد بحكم منصبك. فلم يصبروا ويعطوك الفرصة لتقيم شريعة الحق. وكانوا يحملونك على قتال من تحب من أبناء عمومتك. ولما استجبت لداعي السلام بمشورتهم انقلبوا عليك وعادوك ثم قرروا التخلص من وجودك وكان أمر الله قدرا مقدورا. فقتلوك بغيا وعدوانا لتلحق بالنبي ﷺ وبمن سبقوك من أصحابك في دار النعيم رضي الله عنك وعنهم أجمعين. وسحقا للخوارج ومن على شاكلتهم ممن أعملوا السيف في رقاب المسلمين.

وروى عن محمد بن الحنفية رضى الله عنه - ابن الإمام على كرم الله وجهه - قال: كنت أصلى تلك الليلة التى ضرب فيها علىّ فى المسجد الأعظم - الجامع - وكان معى كثير من أهل الكوفة يصلون قريبا من السدة - ما هم إلا قيام وركوع وسجود. وما يسأمون من أول الليل إلى آخره.

فلما خرج على لصلاة الغداة. جعل ينادى: أيها الناس الصلاة. الصلاة فنظرت إلى بريق وسمعت الكلمة (الحكم لله يا على. لا لك ولا لأصحابك) ثم رأيت سيفا ثم سمعت عليا يقول:

لا يفوتنكم الرجل. وشد الناس عليه من كل جانب. ثم لم أبرح حتى أخذ ابن ملجم وأدخل على علىّ فدخلت فيمن دخل من الناس فسمعت عليا يقول: «النفس بالنفس. إن أنامت فاقتلوه كما قتلنى. وإن بقيت رأيت فيه رأيى».

ثم دخل الناس على الحسن بن على فزعين لما حدث. فبينما هم عنده وابن ملجم مكتوف بين يديه إذ قالت أم كلثوم بنت على - بنت الزهراء - وهى تبكى: يا عدو الله. إنه لا بأس على أبى وإن الله مخزيك. فقال الملعون: فعلى من تبكين؟ لقد اشتريت السيف بألف. وسقيته السم بألف ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل الكوفة ما بقى منهم أحد.

ويذكر أهل الثقة: أن جندب بن عبد الله دخل على. علىّ فقال: يا أمير المؤمنين: إن فقدناك - ولن نفقدك - أفنبايع الحسن؟ فقال كرم الله وجهه: (لا آمركم ولا أنهاكم: أنتم أبصر) (١).

وصية على لأولاده

عرف علىّ كرم الله وجهه أنها النهاية فدعا الحسن والحسين رضى الله عنهما فقال لهما:

أوصيكما بتقوى الله. وألا تبغيا الدنيا وإن بغتكما. ولا تبكيا على شئ

---

(١) المصدر السابق: ٣١٧، ٣١٨ وأم كلثوم بنت على ولدتها الزهراء: وتزوجها عمر بن الخطاب وولدت له زيدا وماتت وابنها فى يوم واحد وقال عمر: تزوجتها لأصل نسبى بنسب رسول الله ﷺ وأمهرها اكبر مهر اخذته زوجة عربية رضى الله عنها ودفنت بالبقيع.

زوى عنكما. وقولا الحق وارحما اليتيم. وأغيثا الملهوف. واصنعا للآخرة. وكونا للظالم خصما. وللمظلوم نصرا. واعملا بما فى الكتاب. ولا تأخذكما فى الله لومة لائم.

ثم نظر إلى ابنه: محمد بن الحنفية رضي الله عنه فقال: هل حفظت ما أوصيت به أخويك؟ قال: نعم قال على: فإنى أوصيك بمثله. وأوصيك بتوقير أخويك لعظيم حقهما عليك. فاتبع أمرهما. ولا تقطع أمرا دونهما.. ثم قال للحسن والحسين: أوصيكما به. فإنه ابن أبيكما. وقد علمتما أن أباكما كان يحبه.

ثم قال للحسن: أوصيك أى بنى: بتقوى الله وإقام الصلاة لوقتها وإيتاء الزكاة عند محلها. وحسن الوضوء فإنه لا صلاة إلا بطهور. ولا تقبل صلاة من مانع زكاة. وأوصيك بغفر الذنب. وكظم الغيظ وصلة الرحم. وحلم عند الجهل. والتفقه فى الدين. والتثبت فى الأمر. والتعاهد للقرآن. وحسن الجوار واجتناب الفواحش. والأمر بالمعروف. والنهى عن المنكر.

ثم أوصيك ياحسن وجميع ولدى وأهلى بتقوى الله ربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون. واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا. فإنى سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام» انظروا إلى ذوى أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب. الله الله فى الأيتام فلا تعنوا أفواههم ولا يضيعن بحضرتكم. والله الله فى جيرانكم فإنها وصية نبيكم ﷺ والله الله فى الزكاة فإنها تطفئ غضب الله – والله. الله فى ذمة نبيكم فلا يظلمن أظهركم. والله الله فى أصحاب نبيكم فإن رسول الله أوصى بهم – والله الله فى الفقراء والمساكين فأشركوهم فى معايشكم. والله الله فيما ملكت أيمانكم. وقولا للناس حسنا. ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان. واتقوا الله إن الله شديد العقاب. حفظكم الله من أهل بيت وأستودعكم الله واقرأ عليكم السلام ورحمة الله. ثم أنهاكم عن المثلة.

ثم سكت رضى الله عنه فلم ينطق إلا: بلا إله إلا الله محمد رسول الله.

حتى قبض وهو يقول: يا بنى عبد المطلب لا الفينكم تخوضون دماء المسلمين. فتقولوا قتل أمير المؤمنين. الا: لا يقتلن إلا قاتلى انظر يا حسن. إن أنامت من ضربته هذه. فاضربه ضربة بضربة. ولا تمثل بالرجل. فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إياكم والمثلة. ولو كانت بالكلب العقور».

وفاة الإمام والقصاص

لما أحسّ على كرم الله وجهه بدنو أجله أوصى أولاده. والوصية هنا واجبة – بكلمات تكون دستوراً لكل مسلم وفاضت الروح لبارئها. وأصبح يوم التاسع عشر من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة هو يوم ذكرى اليمه وحزينة لشيعته ومحبيه كرم الله وجهه – لانه ضرب وبقى يوم الجمعة وليلة السبت وفاضت روحه ليلة الاحد وجئ بعبد الرحمن بن ملجم المرادى – قاتله – للإمام الحسن رضى الله عنه فقدمه فقتله ثم أخذه الناس فادرجوه فى الحصير. ثم أحرقوه بالنار. وللناس فى هذا عذرهم. فلم يسيطروا على عواطفهم فأحرقوه بعد القصاص منه ولما فاضت روح الإمام إلى بارئها غسله إبناه: الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر. وكفنوه فى ثلاثة أثواب ليس فيها قميص. وصلى عليه ابنه الإمام الحسن رضى الله عنه. ودفن بدار الإمارة بالكوفة خوفا عليه من الخوارج أن ينبشوا قبره رضى الله عنه. وما قيل غير ذلك فهو هراء وكذب. فقد ادعى بعض الكذبة أنه حمل على راحلته فذهبت به فلا يدرى أين ذهبت. وهذا من كذب رواة الشيعة فلا يلتفت إليه. وكان عمر الإمام يوم استشهد: ثلاثا وستين سنة. وقضى فى الخلافة الحزينة أربع سنين وتسعة أشهر. أنزله الله تعالى منازل الانبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين ولما مات رثاه الإمام الحسن فقال: (لقد فارقكم رجل بالامس لم يسبقه الأولون بعلم ولم يدركه الآخرون. كان رسول الله ﷺ يبعثه بالراية. جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره لا ينصرف حتى يفتح له).

ولما بلغ خبر مقتله أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها. قالت:

فألقت عصاها واستقرت بها النوى　　كما قر عينا بالإياب المسافر

وكانت السيدة أم كلثوم رضى الله عنها إذا حضرت صلاة الفجر بالمسجد تبكى وتقول:

(ما لى ولصلاة الغداة. قتل زوجى عمر أمير المؤمنين صلاة الغداة. وقتل أبى أمير المومنين صلاة الغداة) وهذا أبو الأسود الدؤلى - تلميذ الإمام على الذى كلفه الإمام بوضع قواعد علم النحو - يرثى أستاذه:

ألا ياعين ويحك أسعدينا	ألا تبكى أمير المؤمنينا
وتبكى أم كلثوم عليه	بعبرتها وقد رأت اليقينا
ألا قل للخوارج حيث كانوا	فلا قرت عيون الحاسد بنا
أفى شهر الصيام فجعتمونا	بخير الناس طرا أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا	وذللها. ومن ركب السفينا
وكل مناقب الخيرات فيه	وحب رسول رب العالمين
لقد علمت قريش حيث كانت	بأنه خيرهم حسبا ودينا
إذا استقبلت وجه أبى حسين	رأيت البدر فوق الناظرينا

وروى أن معاوية رضى الله عنه سمع رجلا يقول له: جئتك يا معاوية بعد قتل أبخل الناس على بن أبى طالب. فتغير وجه معاوية ثم قال له: ويحك كيف تقول هذا؟ كيف تقول إنه أبخل الناس وهو الذى لو ملك بيتا من تبر وبيتا من تبن. لأنفذ تبره قبل تبنه. ثم هو الذى كان يكنس بيوت الأموال ويصلي فيها. ثم هو الذى قال: يا صفراء ويا بيضاء غرا غيرى. ثم هو الذى لم يخلف ميراثا وقد كانت الدنيا كلها بيده. إلا ما كان من الشام[1]. أ. هـ.

هذا وأما من ذهب إلى قتل معاوية. فإنه ضربه فى وركه عند ذهابه لصلاة الفجر وأمسك به وقتلوه.

وأما من ذهب لقتل عمرو بن العاص. فلم يتمكن من قتله لأن عمرا لم يخرج لصلاة الفجر وأناب خارجة بن أبى حبيبة فظنه الرجل عمرا فضربه فقتله. فاقتادوه إلى عمرو فامر بقتله أخذا بثأر خارجة. قبح الله هؤلاء القتلة.

---

(١) على إمام الائمة: ٣٢٢ والخلفاء الراشدون: ٦٣٩، ٦٤٠ وإتمام الوفا: ٢٠٧ - ٢٠٩.

على بين الغلاة والقلاة

روى فى الحديث : أن رسول الله ﷺ قال : (يا على : يهلك فيك إثنان : محب غال . ومبغض قال) والغلو : هو مجاوزة حد الاعتدال فى حب الإمام على كرم الله وجهه . وبنيه رضى الله عنهم والقال : هو البغض الشديد لعلى وبنيه رضى الله عنهم .

فإن ما أفرزته الأحداث والحوادث والحروب والمواقف . مولودان . أحدهما أسبق من الآخر .

الأول : شيعته الذين رفعوا راية الغلو فى محبته .

والثانى : الخوارج الذين رفعوا راية العداء والحقد والكراهية حتى قتلوه كرم الله وجهه وإن من يتحدث عن الإمام أو يكتب عنه لا يستطيع أن يهمل الحديث عن هاتين الجماعتين لأن وجودهما فى حياة الإمام كان وجودا أساسيا . ولا يمكن عزل الحديث عنهما عن الحديث عنه وما دام الحديث عن الإمام مستمرا ولنا فيه هذا الجهد المتواضع . فلا بأس من ذكر عرض موجز عن الطائفتين لتتم بذلك الفائدة المرجوة من هذا البحث .

أولا : الشيعة

(الشيعة) أقدام المذاهب السياسية الإسلامية . وقد ظهروا بمذهبهم فى آخر عصر « عثمان » رضى الله عنه . ونما وترعرع فى عهد « على » رضى الله عنه . إذ كان كلما اختلط بالناس ازدادوا إعجابا بمواهبه . وقوة دينه وعلمه . فاستغل الدعاة ذلك الإعجاب . وأخذوا ينشرون آراءهم فيه ما بين رأى فيه مغالاة . ورأى فيه الاعتدال .

ولما اشتدت المظالم على أولاد علىّ – رضى الله عنه – فى عهد الأمويين . وكثرة نزول الأذى بهم ثارت دفائن المحبة لهم . وهم ذرية رسول الله ﷺ ورأى الناس فيهم شهداء الظلم فاتسع نطاق المذهب الشيعى . وكثر أنصاره .

وقوام هذا المذهب هو ما ذكره «ابن خلدون» فى مقدمته (إن الإمامة ليست من مصالح العامة التى تفوض إلى نظر الأمة. ويتعين القائم فيها بتعيينهم. بل هى ركن الدين وقاعدة الإسلام. ولا يجوز لنبى إغفالها وتفويضها إلى الأمة. بل يجب عليه تعيين الإمام لهم. ويكون معصوما عن الكبائر والصغائر).

ويتفق «الشيعة» على أن «على بن أبى طالب» هو «الخليفة المختار» من النبى ﷺ وانه أفضل الصحابة رضوان الله تبارك وتعالى عليهم.

ويرى أن من الصحابة من يرى رأى الشيعة فى تفضيله على كل الصحابة.

وقد ذكر «ابن أبى الحديد» الشيعى المعتدل. أن من الصحابة الذين فضلوا عليا عن كل الصحابة: عمار بن ياسر. والمقداد بن الأسود. وأباذر الغفارى. وسلمان الفارسى. وجابر بن عبد الله وأبى بن كعب. وحذيفة. وبريدة. وأبا أيوب الأنصارى. وأبا الطفيل عامر بن وائلة. والعباس بن عبد المطلب وبنيه. وبنى هاشم كافة. ويقول ابن أبى الحديد: وابن الزبير كان من القائلين به فى بدء الأمر. ثم رجع عنه كما يذكر أن بعض بنى أمية. كانوا يرون هذا الرأى. ومنهم سعيد بن العاص.

ولم يكن الشيعة على درجة واحدة. بل كان منهم الذين غالوا فى تقدير على وبنيه. ومنهم المعتدلون المقتصدون. وقد اقتصر المعتدلون على تفضيله على كل الصحابة من غير تكفير أحد، ومن غير أن يضعوه فى درجة التقديس التى يعلو بها على البشر[1].

ويقول الشهرستانى[2]: (الشيعة) هم الذين شايعوا عليا عليه السلام على الخصوص. وقالوا: بإمامته وخلافته. نصا ووصاية. إما جليا وإما خفيا. واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده. وإن خرجت فبظلم يكون من غيره. أو بتقية من عنده. قالوا: وليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة.

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية: ٣٠، ٣١.

(٢) الملل والنحل بهامش الفصل لابن حزم: ١٥١، ١٥٢.

وينتصب الإمام بنصبهم. بل هى قضية أصولية. هو ركن الدين لا يجوز للرسول عليه السلام إغفالة وإهماله وتفويضه إلى العامة. وإرساله.

ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص. وثبوت عصمة الائمة وجوبا عن الكبائر والصغائر والقول بالتولى والتبرى قولا وفعلا وعقدا إلا فى حالة التقية. ويخالفهم بعض الزيدية فى ذلك ولهم فى تعدية الإمامة كلام وخلاف كثير. وعند كل تعدية وتوقف مقالة ومذهب وخبط وهم خمس فرق: كيسانية وزيدية وإمامية. وغلاة. وإسماعيلية.

وبعضهم يميل فى الأصول - العقيدة - إلى الاعتزال وبعضهم إلى السنة. وبعضهم إلى التشبيه. ا. هـ. وقد ظهرت الفرق الشيعيه فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه. وانتشرت فى بلاد العالم الإسلامى وخصوصا فى مصر والعراق وبلاد فارس وخلا منها بلاد الحجاز - مكة والمدينة وما جاورهما - لتمسكها بمذهب السنة وطرد ما عداه.

والفرق الشيعية فرق إسلامية. عدا فرق الغلاة مثل السبأية والغرابية ومن على شاكلتهما فالسبأبة تؤله عليا والغرابيه تفضله على النبى ﷺ.

والشيعة قد تأثروا بالأفكار الفارسية وهى المؤثر الأول والحقيقى فى فكر الشيعة. والفكر اليهودى له أيضا أثر ليس بالهين فى الفكر الشيعى. وخاصة فى فرق الغلاة.

وأكثر فرق الشيعة اعتدالا: الزيدية وإمامهم: زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على رضي الله عنهم وهم منفتحون على أهل السنة ويقولون بجواز إمامة المفضول فى وجود الفاضل. ولا يكفرون أحدا من الصحابة رضي الله عنهم. وهم منتشرون باليمن وبجوارهم المذهب الشافعى.

والإمامية (الإثنا عشرية) أكبر الفرق الشيعية وهى منتشرة بالعراق وإيران وما جاورهما. وهم يقولون: إن الأئمة لم يعرفوا بالوصف بل بالتعيين. فالإمام على عينه النبى عليه الصلاة والسلام والأئمة عند الشيعة كلهم معصومون ظاهرا

وباطنا ويجوز أن تظهر على أيديهم خوارق العادات وللأسف الشديد . إن الشيعة خذلوا الإمام على كرم الله وجهه بعد قضية التحكيم وانصرفوا عنه ولم يوافقوه فى التقدم إلى أهل الشام بعد فشل عمليه التحكيم . فاضطر للعودة إلى الكوفة وظل بها حتى لقى ربه عز وجل . على كل حال تأصلت فرق الشيعة وتحددت مبادئها بعد مقتل الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

ثانيا : الخَوارج

(الخوارج) فرقة ظهرت فى جيش على بن أبى طالب كرم الله وجهه عندما اشتد القتال بين أهل العراق وأهل الشام فى صفين . وذاق معاوية حر القتال . وكاد يفر من الميدان حتى أسعفته فكرة التحكيم فرفع جيشه المصاحف على أسنة الرماح ليحتكموا إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وأصر علىّ على مواصلة القتال . ولكن طائفة القراء ضغطوا عليه ليقبل وقف القتال وهددوه بالانسحاب إن لم يفعل . فنزل على رأيهم . ولما لم تأت عملية التحكيم بما كانوا يأملون . لاموا الإمام علىّ لأنه قبل تحكيم الرجال بل كفروه وطالبوه بالتوبة . ورفعوا شعارهم (لا حكم إلا لله) وأخذوا يقاتلون عليا بعد أن كانوا يجادلونه ويقطعون عليه القول .

والخوارج أشد الفرق الإسلامية دفاعا عن مذهبها وحماسة لآرائها . وأشد الفرق الإسلامية تدينا فى جملتها . وأشدها تهورا واندفاعا . وهم يتمسكون بظواهر الآيات والأحاديث النبوية وقد استهوتهم فكرة التبرؤ من عثمان وعلى وطلحة والزبير وخلفاء بنى أمية والحكام الظالمين ومن صفاتهم العامة غير التمسك بظواهر النصوص : حب الفداء والرغبة فى الموت . والتجرؤ على القتل لأتفه الأسباب . وهذه الصفات كلها ليست مظهرا للشجاعة وإنما هو . هوس دينى وعدم فقه صحيح بأمور الدين وعقيدته . وعصبية جاهلية .

وكانوا يقاطعون الإمام علىّ فى خطبته ويسبونه . ويقاطعونه فى صلاته

ويسبون عثمان أيضا ويكفرون اتباعهما ولقد قتلوا عبد الله بن خباب ذبحا وبقروا بطن امرأته وهي حامل. وقتلوا عليا رضي الله عنه.

يقول الكامل في المبرد (من طريف أخبارهم أنهم أصابوا مسلما ونصرانيا. فقتلوا المسلم. وأوصوا بالنصراني خيرا. وقالوا: احفظوا ذمة نبيكم..).

فلا تعجب أيها القارئ الكريم لأن مؤسس فكر الخوارج ومدرستهم كانوا من البدو جفاة الأعراب وهم الآن منتشرون في بعض بلاد الخليج العربي وفي ريف الجزائر وجبالها. فكلهم عرب وليس فيهم موالي كالشيعة. فالموالي في طائفة الشيعة بكثرة.

المبادئ العامة لفرق الخوارج[1]:

ومبادئهم التي توضح لنا فكرهم هي:

(١) لا يكون الخليفة إلا بالانتخاب الحر الصحيح يقوم به عامة المسلمين. ويستمر خليفة ما دام قائما بالعدل مقيما للشرع مبتعدا عن الخطأ والزيغ. فإن حاد. وجب عزله أو قتله.

(٢) لا يجب أن يكون الخليفة من قريش حتى لا تكون له عصبية تحميه إن أراد واعزله أو قتله ويجوز أن يكون من عامة الناس.

(٣) فرقة (النجدات) من الخوارج يرون أنه لا حاجة للإمام إذا أمكن الناس أن يتناصفوا فيما بينهم فإن رأوا أن التناصف لا يتم إلا بإمام يحملهم على الحق فاقاموه جاز.

(٤) الخوارج يكفرون المذنبين بالذنوب كبيرها وصغيرها. ولذا كفروا الإمام على لقبوله بالتحكيم وهذا المبدأ هو الذي جعلهم يخرجون على جماهير المسلمين ويعتبرون مخالفيهم مشركين وأقلقوا الحكام بسببه. والشواهد على هذا كثيرة في أيامنا هذه.

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية: ٦١ بتصرف.

وفرق الخوارج منها المعتدل والمغالى .

فالفرق المعتدلة ويعدون من المسلمين : الأزارقة . والنجدات . والصفوية . والعجاردة والإباضية . وهذه قريبة من أهل السنة . وهو مذهب أهل عمان .

والمغالون ولا يعدون من المسلمين كما ذكر البغدادى فى الفرق بين الفرق . فرقتان :

اليزيدية : يدعون أن الله سيبعث رسولا من العجم ينزل عليه كتاب ينسخ شريعة محمد ﷺ .

الميمونية : أباحوا نكاح بنات الأولاد وبنات أولاد الإخوة والأخوات . وقالوا : لم يذكرهن القرآن ولم يعدوا سورة يوسف من القرآن الكريم .

تتمة :

يعجب الإنسان المسلم من طائفتى الشيعة والخوارج . فقد نشأت كل طائفة منهما فى ظل الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه . والطائفتان فى مبادئهما وأفكارهما تخالفان مبادئ وفكر الإمام على رضى الله عنه . فهو لا يرضى عن فكر هؤلاء ولا هؤلاء .

وعلى كل حال لم تتأصل مذاهب فرق كل طائفة – رغم بدو بعض مبادئ الخوارج – إلا بعد وفاة الإمام على كرم الله وجهه . ولو أنهما أظهرا أفكارهما لقاومهما الإمام . لأن بعض هذه المبادئ تتعارض مع صريح النص فى القرآن والسنة .

وأتوجه إلى الله تعالى أن يؤلف بين قلوب المسلمين وأن يجمعهم على قلب رجل واحد ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾ [آل عمران : ١٠٣] سئل النبى ﷺ : ما حبل الله يا رسول الله؟ قال : « كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض » والله يقول الحق وهو يهدى السبيل . والله ولى التوفيق .

ولاية الإمام الحسن بن على

بعد رحيل الإمام على كرم الله وجهه إلى ربه عز وجل . بايع شيعته ابنه الإمام : الحسن رضى الله عنهما وكان أول المبايعين : قيس بن سعد بن عبادة فقال له : ابسط يدك أبايعك على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ . وقتال المُحَلّين . فقال له الحسن : لا يريد القتال ولكنه يريد أن يأخذ لنفسه ما استطاع من معاوية ثم يدخل فى الجماعة .

وعرف الحسن أن قيس بن سعد لا يوافقه على رأيه فعزله . وعين بدلا منه : عبد الله بن عباس ولما علم عبد الله بن عباس ما يريده الإمام الحسن . كتب إلى معاوية يسأله الأمان ويشترط لنفسه فأجابه إلى ذلك معاوية .

ثم خرج الحسن بالناس حتى نزل المدائن . وبعث قيس بن سعد على مقدمته فى إثنى عشر ألفا وأقبل معاوية فى أهل الشام ونزلوا بمكان .

ونادى منادى بعسكر الإمام الحسن ألا إن قيس بن سعد قد قتل . فانفروا . فنفر الناس ونهبوا سرداق الحسن حتى نازعوه بساطا كان تحته .

وخرج الحسن حتى نزل المقصورة البيضاء بالمدائن . ولما رأى تفرق شيعته بعث إلى معاوية يطلب الصلح . وبعث معاوية إليه : عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة بن جندب فقدما على الحسن بالمدائن فأعطياه ما أراد وصلحاه .

ثم قام الحسن فى أهل العراق فقال : (يا أهل العراق . إنه يسخى نفسى عن الإمارة ثلاث قتل أبى . وانتهاب سرادقى . ومنازعتى بساطا كان تحتى) .

ثم دخل الناس فى طاعة معاوية رضى الله عنه . ودخل معاوية الكوفة وقد كتب إليه الإمام الحسن فى الصلح وطلب الأمان .

ثم قال لأخيه الحسين وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب . إنى كتبت إلى معاوية فى الصلح فقال له الحسين : نشدتك الله أن تصدق أحدوثة معاوية . وتكذب أحدوثة على فقال له الحسن : اسكت فأنا أعلم منك .

ولما انتهى أمر الصلح وأخبر الحسن بذلك مرافقيه قام قيس بن سعيد فى الناس فقال : يا أيها الناس اختاروا إما الدخول فى طاعة إمام الضلالة - أنزه فىّ عن هذا القول - وإما القتال مع غير إمام فقالوا : بل نختار أن ندخل فى طاعة إمام ضلالة ولا نقاتل مع غير إمام .

ثم بايعوا لمعاوية فتركهم قيس بن سعد وانصرف لحاله .

وفى عام أربعين للهجرة اجتمع الناس على إمام واحد هو أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما وتحققت نبوءة رسول الله ﷺ - وهو يشير إلى الحسن - (ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين متقاتلين من أمتى) وبذلك كانت الخلافة النبوية ثلاثين عاما .

ورضى الله عن على وبنيه . لقد خذلتهم شيعتهم وكفرتهم الخوارج وبكى من أجلهم أهل السنة ويستغفرون لهم محبة فى الله ومحبة فى رسوله ومحبة فيهم رضى الله عنهم وأرضاهم .

بيت على

تزوج على بن أبى طالب كرم الله وجهه كلا من :

١ - السيدة : فاطمة الزهراء رضى الله عنها . وهى أول زوجاته ولم يتزوج عليها وتوفيت عنده . وكان له منها الحسن والحسين ومحسن - مات رضيعا - وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى وهى زوج عمر بن الخطاب .

٢ - أم البنين بنت حزام . فولدت له : العباس وجعفر وعبد الله وعثمان .

٣ - ليلى بنت مسعود التميمية . فولدت له : عبد الله وأبا بكر .

٤ - أسماء بنت عميس الخثعمية . فولدت له : يحيى ومحمدا الأصغر .

٥ - الصهباء بنت ربيعة (أم ولد) فولدت له : عمر ورقية .

٦ - أمامة بنت أبى العاص وأمها : زينب بنت رسول الله ﷺ فولدت له : محمدا الأوسط .

٧ – خولة بنت جعفر الحنفية فولدت له: محمدا. الشهير بابن الحنفية.

٨ – أم سعيد بنت عروة بن مسعود فولدت له: أم الحسين ورملة الكبرى.

٩ – محياة بنت امرئ القيس الكلبية ولدت له: جارية ماتت صغيرة.

وكان له بنات أمهاتهن أمهات أولا شتى هن: أم هانئ وميمونة وزينب الصغرى. ورملة الصغرى وأم كلثوم الصغرى. وفاطمة. وأمامة. وخديجة وأم الكرام وأم سلمه. وأم جعفر. وجمانة ونفيسة وكان النسل من ولده الخمسة: الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية. والعباس وعمر.

(أربعة عشر ذكرا وثمانية عشر بنتا وتسع زوجات. وأمهات أولاد).

* * *

خاتمة الكتاب
(عدالة الصحابة رضى الله عنهم)

لقد أكرم الله سبحانه وتعالى صحابه النبى ﷺ وآله وصحبه وسلم. فوصفهم بصفات إيمانية عظيمة. وأثنى عليهم بعبارات. ومدحهم بإشارات لم يحظ بمثلها أصحاب من سلف من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم. وأعطاهم من الفضل والإحسان ما لم يعط مثله حوارى وأنصار المصطفون الأخيار من أسلاف المصطفى ﷺ.

ورد ذلك فى آيات كثيرة فى القرآن الكريم وروى فى السنة المحمدية الشريفة.

ولقد قدم هؤلاء الأصحاب الكرام لدينهم – نشرا ودفاعا وإيمانا وعملا – ما جعلهم فى محل الرضا والتوبة والمثوبة والكرامة.

قال الله تعالى: ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ** ﴾ [الفتح: ١٨]

وقال عز وجل: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** ﴾ [التوبة: ١٠٠]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ** ﴾ [التوبة: ١١٧]

وصفهم الله عز وجل بالإيمان. وأكرمهم بالرضا وإنزال السكينة عليهم. وجعلهم المصطفين الأخيار وهم خيار الخلق بعد الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم. وهم شهداء الله تعالى فى أرضه. الظاهرون بالحق على الخلق. أقاموا الدين. وحافظوا على تراث النبيين. ونشروا العدل والسلام. وأقاموا الحجة والبرهان. كانوا رهبانا فى الليل وفرسانا فى النهار. وفتحوا البلاد والأمصار ورفعوا

عليها رايات الإسلام عالية خفاقة وحققوا لأهل الأرض الأمن والأمان والسلامة فى ظل الإسلام وعدالته . أولئك حزب الله . وحزب الله هم المفلحون ولقد نزع الله تعالى من قلوبهم الغل والحقد والحسد . وجعلهم إخوة متحابين متعاونين راشدين فجاءت لهم البشارةوالإكرام من العليم العلام على لسان النبى وفى القرآن . رضى الله عنهم ولم يسلم هؤلاء الكرام من ألسنة الحاقدين والجاحدين والجاهلين والأفاكين . من الشيعة والخوارج الذين حكموا بالكفر على بعضهم وبالفسق على أكثرهم والهجوم بالنقد والتجريح والتنقيص لغالبيتهم . وتبعهم فى هذا بعض العلماء والكتاب من أمثال :

ابن تيمية – غفر الله له – الذى انتقص من قدر الإمام على كرم الله وجهه فى عبارات قبيحة وقاسية فى كتابه (منهاج السنة) مما لست أذكره هنا رعاية لمقام الصحابة . ورفعة قدر علىّ وعلو مكانته والأستاذ العقاد فى (عبقرية الإمام على) حمل حملة شعواء ناقدا ومنتقصا لعلى ومعاوية وعمرو وطلحة والزبير وعائشة . وكذلك الأستاذ خالد محمد خالد فى كتابه (خلفاء حول الرسول) متشيعا للإمام على وناقما ومنتقصا للطرف الآخر . فهؤلاء وغيرهم من الكتاب والمتحدثين كثير قد نالوا من بعض الأصحاب الكرام . فى قراءة لروايات مزورة ومقالات تافهة لبدو من الخوارج والشيعة تعج بها كتب التاريخ الإسلامى الذى لم يدون إلا فى العصر العباسى بعد سقوط دولة الأمويين .

والمسلم الواعى العاقل هو الذى يسلك مسلك أئمة وأعلام السلف الصالح من علماء أهل السنة والذى يتمثل فيما يلى :

١ – الاعتماد على الروايات التاريخية الصحيحة وهى كثيرة فى كتب التاريخ نفسها التى تورد الروايات المزيفة . لأن المؤرخين قبل ابن خلدون كانوا رواة يسردون الروايات ولم ينظروا فيها نظرة نقد وتحرى .

٢ – يجب أن لا يغيب عن وعى الباحث ما أورده القرآن الكريم وما روى فى السنة الشريفة من إثبات عدالة الصحابة وبيان فضلهم .

٣- الصحابة مجتهدون . والمجتهد يخطئ ويصيب وهو مثاب من ربه فى الحالتين . فهم معذورون .

٤ - ان يظن بهم خيرا ويكل أمرهم إلى الله عز وجل . مثل ما كان يفعل السلف كما عبر عنه الخليفة الراشد الزاهد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فى قوله : (تلك دماء طهر الله منها سيوفنا فلا نخضب بها ألسنتنا) .

وقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت وعليها ما قد أسرفت فيه . وتلك دماء طهر الله أيدينا منها فلا نخضب ألسنتنا بذكرها) .

وقول الإمام الشافعى رضى الله عنه فى رسالته القديمة(١) .

(وقد أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله ﷺ فى القرآن والتوراة والإنجيل . وسبق لهم على لسان رسول الله ﷺ من الفضائل ما ليس لأحد بعدهم . فرحمهم الله تعالى وهنأهم بما آتاهم من ذلك . ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين . هم أدوّا إلينا سنن رسول الله ﷺ وشاهدوه والوحى ينزل عليه . فعلموا ما أراد رسول الله ﷺ عاما وخاصا وعزما وإرشادا وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا . وهم فوقنا فى كل علم واجتهاد وورع وعقل . وأمر استدرك به علم واستنبط به . وآراؤهم لنا أحمد . وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا)

ولما سمع الشافعى شتما لأصحاب رسول الله ﷺ قال : (ما أرى الناس ابتلوا بشتم أصحاب رسول الله ﷺ ورضى عنهم . إلا ليزيدهم الله بذلك ثوابا عند انقطاع عملهم) وفى رواية : إلا ليجرى الله عز وجل لهم الحسنات وهم أموات)(٢) .

وقال أبو زرعة رحمه الله : (إذا رأيت الرجل ينقص أحدا من أصحاب

---

(١) مناقب الإمام الشافعى للبيهقى : ١ / ٤٤٢ .
(٢) مناقب الإمام الشافعى للرازى : ١٣٦ .

رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق. وذلك: أن رسول الله ﷺ حق. والقرآن حق. وما جاء به حق. وإنما أدى إلينا ذلك كله: الصحابة رضى الله عنهم. وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا. ليبطلوا الكتاب والسنة. والجرح بهم أولى. وهم زنادقة).

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه: سمع رجلا وهو يتناول بعض المهاجرين. فقرأ عليه: (للفقراء المهاجرين) الآية. فقال: هؤلاء المهاجرون. أفأنت منهم؟ قال: لا. ثم قرأ عليه. ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ** ﴾ [الحشر: ٩] الآية. فقال: هؤلاء. الأنصار. أفأنت منهم؟ قال: لا ثم قرأ عليه ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ** ﴾ [الحشر: ١٠] الآية. ثم قال: أفمن هؤلاء أنت؟

قال: أرجو. قال: (لا. ليس من هؤلاء من يسب هؤلاء).

وفي رواية: (لا والله. ما يكون منهم من يتناولهم. وكان في قلبه الغل عليهم) (١).

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: (أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم) ثم قرأت هذه الآية: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ** ﴾ [الحشر: ١٠] (٢).

وروى عن على زين العابدين رضى الله عنه. وقد جاء إليه نفر من العراق. فسبوا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما. ثم عثمان رضى الله عنه. فأكثروا. فقال لهم: أمن المهاجرين الأولين أنتم؟ قالوا: لا. فقال: أفمن الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم؟ قالوا: لا.

فقال: قد تبرأتم ثم من هذين الفريقين. وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ [الحشر: ١٠] قوموا. فعل الله بكم وفعل (٣).

---

(١) الدر المنثور: ٨/ ١١٣، ١١٤. (٢) فتح القدير: ٥/ ٢٠٣.
(٣) تفسير القرطبى: ١٨/ ٣١، ٣٢.

لقد شهد القرآن الكريم والسنة الشريفة وإجماع علماء الأمة بعدالة الصحابة رضى الله عنهم فلا يجوز لأحد ما من الناس أن ينال منهم ولو بأدنى درجات اللوم. بل علينا أن نحسن الظن بهم حتى من لابس الفتنة منهم بعد النبى ﷺ. لأن من وقع فيها فهو - كما قال ابن كثير رحمه الله - منهم ما وقع من غير قصد كيوم الجمل. ومنهم ما كان عن إجتهاد كيوم صفين والاجتهاد يخطئ ويصيب. ولكن صاحبه معذور وإن أخطأ. ومأجور أيضا. وأما المصيب فله أجران إثنان والله أعلم.

ويقول إمام الحرمين رحمه الله: ومن أقوى ما يعتصم به على الجاحدين المعاندين سيرة رسول الله ﷺ فإنه كان يعرف أهل النفاق بأعيانهم. لا يخفى عليه مضمر شقاق بينهم. وقد سماهم بأعيانهم لصاحب سره ومؤتمنه: حذيفة ابن اليمان رضى الله عنهما. وكان عليه وآله الصلاة والسلام يبجل أهل الإخلاص منهم. وينزلهم منازلهم. ويحل كلا على خطره فى مجلسه مزكيًّن أبراراً وكان رسول الله ﷺ يعتمدهم فى نقل آثاره وأخباره. ويسألهم عن أخبار. غابت عنه. وكانوا عنده ﷺ ناقلين ومخبرين، واشتهر ذلك من سيرته ﷺ فيهم. وكان ذلك مسلكا قاطعا فى ثبوت عدالتهم بتعديل الرسول ﷺ إياهم عملا وقولا. ثم قال: فقد ثبت تعديلهم بنصوص الكتاب وسيرة الرسول عليه وآله الصلاة والسلام. واتفاق الصحابة والتابعين وأئمة الحديث رضى الله عنهم أجمعين. ولا احتفال بعد ذلك بمطاعن النابغة الثائرين بعد انقراض الأئمة الماضين[١]. أ. هـ.

وروى الإمام البغوى رحمه الله فى تفسيره: قال: قال الإمام الشعبى رحمه الله: (تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة:

سئلت اليهود: من خير أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب موسى.

وسئلت النصارى: من خير أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب عيسى.

---

(١) فضائل الصحابة الكرام: ٤٦٦.

وسئلت الرافضة : من شر أهل ملتكم؟ فقالوا : أصحاب محمد ﷺ . أمروا بالاستغفار لهم . فسبوهم . . . إلخ) .

ويقول الإمام مالك رضى الله عنه عن هؤلاء السبئيين والزنادقة الذين ظهروا فى العصر العباسى الأول بقول وفعل أتباع عبد الله بن سبأ اليهودى .

(إنما هؤلاء أرادوا القدح فى النبى ﷺ فلم يمكنهم ذلك . فقدحوا فى أصحابه حتى يقال : رجل سوء - حاشاه بأبى وأمى - ولو كان رجلا صالحا لكان أصحابه صالحين) وهكذا يطعن السبأيون . ومعهم زنادقة الفرس الذين جلبتهم الدولة العباسية على النبى ﷺ وصحابته الكرام البررة .

ونحن - بحمد الله تعالى - ندين بحب الله ورسوله ونؤمن بعدالة الصحابة ونستغفر لهم ونعذرهم ونظن بهم خيرا . وندفع عنهم أى اتهام ما حيينا . ولا نكفر أحدا من المسلمين مهما كان توجهه ما دام هو يؤمن بالله ورسوله وقرآنه ويعرف للصحابة قدرهم وفضلهم رضى الله عنهم . ولنا فى هذا المقام رجاء :

لقد تداعت الأمم على الأمة الإسلامية كما تداعى الأكلة إلى قصعتها وثبت بذلك معجزة الصادق المصدوق ﷺ . وزيفت الاتهامات من هنا وهناك ضد الإسلام والمسلمين وتعقد فى هذه الأيام حوارات بين أتباع الأديان وخاصة المسيحية والإسلام .

ألا يكون ذلك أدعى لأن تخلص النيات وتصدق العزائم وتعقد محاورات بناءة ولقاءات جادة بين طوائف الأئمة الإسلامية (أهل السنة والشيعة والخوارج) ومن سلك مسلكهم . لأن الذين يتربصون بالمسلمين لن يميزوا بين السنة والشيعة ولا بين الخوارج والسنة ولا بين الشيعة والخوارج فالخطر وارد والعدو بالإسلام حاقد وجاهل . ويملك القدرة العلمية التكنولوجيه والعسكرية ألا من جهود مخلصة لإنقاذ الأمة من كبوتها لتأخذ الحيطة والحذر ممن يتوعدها بالويل والثبور وخصوصا اليهود الذين ارتفع سهمهم وأصبحوا هم الذين يوجهون ويخططون للعواصم الكبرى فنحن إما أن نكون أمة عزيزة مرهوبة الجانب . نعز دين الله

وندافع عن العقيدة والأرض والمقدسات فنظفر بالكرامة فى الدين والدنيا . أو لا نكون فنذهب غير ما سوف علينا . وسوف يسألنا ربنا عما قدمت أيدينا . وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحابته الكرام البررة
وانصر المؤمنين من عبادك نصرا تحمى به الدين والعابدين والأوطان
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف
رمضان أحمد عبد ربه عصفور
كبير الأئمة بوزارة الأوقاف

أهم مصادر الكتاب ومراجعه

١ – القرآن الكريم
٢ – فتح البارى — الإمام ابن حجر العسقلانى
٣ – شرح مسلم — الإمام النووى
٤ – تحفة الأحوزى شرح متن الترمذى — المباركفورى
٥ – الجامع لأحكام القرآن — الإمام القرطبى
٦ – تفسير القرآن العظيم — الإمام ابن كثير
٧ – تفسير النسفى — الإمام أبو البركات النسفى
٨ – تفسير القرآن العظيم — الإمام أبو حاتم الرازى
٩ – الدر المنثور — الإمام السيوطى
١٠ – إحياء علوم الدين — الإمام الغزالى
١١ – معرفة السنن والآثار — الإمام البيهقى
١٢ – مناقب الشافعى — الإمام البيهقى
١٣ – أحكام القرآن للشافعى — الإمام البيهقى
١٤ – اعلام الموقعين — ابن القيم
١٥ – زاد المعاد — ابن القيم
١٦ – الطرق الحكميه فى السياسة الشرعية — ابن القيم
١٧ – الطبقات الكبرى — الإمام الشعرانى
١٨ – نور الأبصار — الشبلنجى
١٩ – الشيعة فى عقائدهم وأحكامهم — السير أمير الكاظمى
٢٠ – دولة الإمام على — محسن الموسوى
٢١ – على إمام الأئمة — أحمد حسن الباقورى
٢٢ – على إمام المتقين — عبد الرحمن الشرقاوى
٢٣ – فضائل الصحابة الكرام — خليل إبراهيم العزامى

٢٤ – على بن أبى طالب	الإمام النسائى
٢٥ – العواصم من القواصم	القاضى أبو بكر بن العربى
٢٦ – الرياض النضرة	المحب الطبرى
٢٧ – تاريخ المسعودى	المسعودى
٢٨ – تاريخ الطبرى	ابن جرير الطبرى
٢٩ – مقدمة ابن خلدون	عبد الرحمن بن خلدون
٣٠ – الفصل	الإمام ابن حزم
٣١ – الملل والنحل	الشهر ستانى
٣٢ – فقه على	محمد رواس قلعة جى
٣٣ – تاريخ المذاهب الإسلامية	محمد أبو زهرة
٣٤ – قضايا إسلامية معاصرة	المؤلف
٣٥ – مشارق الأنوار	المؤلف
٣٦ – الإمام الشافعى فقيها ومحدثا	المؤلف
٣٧ – مشهد الإمام على فى النجف	د. سعاد ماهر
٣٨ – الخلفاء الراشدون	عبد الستار الشيخ
٣٩ – الخلفاء الراشدون	عبد الوهاب النجار
٤٠ – إتمام الوفا	محمد الخضرى
٤١ – خلفاء حول الرسول	خالد محمد خالد
٤٢ – على وبنوه	د. طه حسين
٤٣ – عبقرية الإمام على	عباس العقاد
٤٤ – نهج البلاغة	الشريف الرضى
٤٥ – فقه السنة	سيد سابق
٤٦ – المغنى	ابن قدامه المقدسى
٤٧ – الاتقان	السيوطى
٤٨ – الإصابة	الإمام ابن حجر
٤٩ – الاستيعاب	ابن عبد البر

فهرس الموضوعات

الموضــوع	الصفحة

* * *

رقم الإيداع : ٨٢٩٢ / ٢٠٠٢